التِّجَانِيَّةُ الْأَحْمَدِيَّةُ
وَالسُّنَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ

دراسةٌ علميَّةٌ منهجيَّةٌ تؤكدُ مدى تطابق الطريقةِ التجانيةِ للسنةِ المحمديةِ
بحجج دامغة وبراهين ساطعة، وتدحض فقاقيع المهرفين وتحدّ من إيجاف
المغذّين في مهيع التبديع والتكفير، وتفضح فهاهة شبهاتهم
بأسلوب هادئ وتناول قريب

تأليف

شيخ تجان غاي

لوغا - السنغال

الطبعة الثالثة

1439هـ - 2018م

إهداء

إلى ساداتنا التجانيين الذين كانوا سنة نبوية شريعة في أعلى مظهرها تمشي على الأرض، نذكر منهم:

- سيدي المجاهد الكبير الشيخ الحاج عمر الفوتي رمز الصمود والعلم والتأليف.
- سيدي المزاوج بين النظرية والتطبيق في توازنٍ الشيخ الحاج مالك سي التواوني.
- سيدي مجمع البحرين محمد الحافظ التجاني المصري.
- سيدي الشيخ العارف بالله (حماه الله) الشريف المجاهد.
- سيدي الشيخ الأريحي محمد فالْ بن بابَ العلوي الشنقيطي.
- سيدي الشريف الألمعي محمد المختار ناشر الطريقة في السودان/مالي – خاي.
- سيدي الشيخ أحمد بن بدِّ التجاني العلوي الشنقيطي.
- سيدي الشيخ فريد عصره محمد بابَ بن الصديق السرليُّ/جِلُجْ Thielogne
- سيدي الحازم العازم الشيخ أبابكر سي الخليفة.
- سيدي ناشر التجانية شرقا وغربا شيخ الإسلام الحاج إبراهيم انياس الكولخي.
- سيدي العبقري السني السيخ الحاج محمد الهادي توري الفاسي.
- سيدي المحقق المدقق المتوازن الحاج ابن عباس صل التجاني.
- سيدي الشيخ الحاج عبد العزيز سي الدباغ الحليم الرزين.
- سيدي المحب الفاني الشيخ الحاج حبيب صل الدمشقي.
- سيدي بقية السلف الصالح الشيخ الحاج محمد المنصور بارو.

إلى هؤلاء وغيرهم رضي الله عنهم ممن كانوا – أو لم يزالوا – يمثلون التجانية الصافية الملتزمة المتبعة، الوافية، المتعلمة العالمة الهادية المرشدة المربية المرقية.

أهدي عملي هذا، وأرجو بجاه سيدنا الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه وعنهم أن يكون خالصا لوجه الله تعالى، وأن ينتفع به المعتقد والمنتقد، هذا في إنارة بصيرته، وذاك في تقوية اعتقاده.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جل ثناؤه، وعز كماله، وتقدست أسماؤه وصفاته. وصلوات الله وسلامه على سيدنا سيد الأولين والآخرين الإنسان الكامل رسول الله محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، وعلى آله وصحبه أجمعين، وكل تابعي السنة الغراء إلى يوم الدين.

ورضي الله عن ساداتنا الأولياء، ورجاله الأصفياء أولي المراتب العلياء، وخاصة من أحله الله بينهم أعالي مقامات الدعوة إلى الله على بصيرة منه، المستحق النداء في سائر الحضرات والمظاهر، كنز الشريعة المصون، وإبريزها الخالص، المبرز من بحار الحقيقة خصائص الفرائد، وفرائد الخصائص مولانا وشيخنا سيدنا القطب المكتوم، والختم المحمدي المعلوم، بحر العلوم والفهوم، أبي المواهب والفيوضات سميي وحبيبي الشيخ أحمد بن مَحمد التجاني السالمي الحسني، وعن سائر خلفائه، وحمّال سره من الإنس والجان.

وبعد: فإن التصوف من أجلِّ العلوم الإسلامية التي ظهرت بعد عصور التابعين كسائر العلوم الدينية والعربية التي كانت جذورها موجودة حتى في عصر الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين، ولكن أسماءها لم تكن، وقواعدها لم تقنَّن.

ففي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت درجة الصحبة تُغني عن أي وصف آخر، ثم تَسَمّى مَنْ بعدهم بالتابعين تشرفا وواقعا.

وكان الجو الروحي للصحابة صافيا إلى درجة أنهم كانوا يرون الملائكة، فقد رأى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه جبريل عليه السلام على صورته كما روى

البيهقي وابن سعد. ولأسيد بن حضير رضي الله عنه قصةٌ طريفةٌ مع نزول الملائكة والسكينة عند قراءة القرآن كما في صحيح البخاري رحمه الله.

وقد مر حارثة بن النعمان على جبريل في مقعد مع النبي صلى الله عليه وسلم، فسلم عليه، وهناك صحابي آخر رأى جبريل واقفا طويلا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فتبرَّمَ منه، فنبَّهه النبيُّ وقال له كان جبريل، كما ورد في مسند الإمام أحمد رحمه الله.

ولما تكدَّرت مشارب العلوم باتباع الهوى من ناحية، وغلبة الجهالة من ناحية وغلظت النفوس، وكثف حجابها تفرد قوم بالأعمال المرضية والأحوال السنية، فتهيأ لهم صفاء الفهوم لقبول غوامض العلوم، تَسَمَّوْا بالصوفية، كما تسمَّى آخرون بـ:فقهاء، ولغويين، ومحدثين، وأصوليين، وفلكيين، ورياضيين، ومفسرين، ومؤرخين إلى كل ما هنالك من أسماء علوم، وأوصاف علماء لم تكن معروفة لا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد الصحابة بعده أو التابعين.

غاية ما هنالك هي (الفقه في الدين) الذي كان يعني معرفة الدين بكل ما يتصل به من علوم القرآن، وسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، إلى جانب العلوم العربية المختلفة، والتاريخ بالتحديد (أيام العرب).

وعند ما تميَّز التصوف هكذا، وكان الصوفية وكان منهم الإمام مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، وأحمد، والجنيد، والحسن البصري، وسفيان الثوري، والجيلاني، رضوان الله عنهم جميعا، وإن تفاوتت درجات انتسابهم إلى التصوف. لكنهم قالوا في تحديد مشربهم:

التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية. و**الصوفي** هو: من صفت سرائره، واستقامت على الكتاب والسنة ظواهر.

فشُدَّ يديك على كنه هذا التعريف، وذاك، ولا يستخفنك المتنطعون الذين لا يحكمون على القوم بسلوكهم، وإنما بصحة اشتقاق لفظ معين أو سقمه.

و**الصوفية** رضوان الله عليهم كانوا يتنافسون في تجاوز مراحل ست، ألا وهي: التوبة والاستقامة، والتقوى، والصدق، والإخلاص، والمراقبة للوصول إلى المشاهدة، واليقين، ثم عين اليقين.

هؤلاء المنيبون إلى ربهم بفضله ومَنِّه جاهدوا في الله فهداهم سُبُلَه التي لا تعد ولا تحصى كلماته، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ٦٩﴾[1].

فتنشأت طرق أهل الله حسب الأذواق الإلهية والمعارف الربانية، والقدرات التعبدية، فهُرع الناس أصحاب النفوس الظمآنة إلى تلك الطرق، كلٌّ حسب ما ترتاح إليه نفسه، وتقدر عليه أعضاؤه.

فكم اهتدى بهم من تائهٍ، واسترشد من ضالٍّ، واستقام من مُعوجٍّ. ولا ندَّعي – أبدا – أنهم هَدوا الناس جميعا، لأنَّ في كل فنٍّ أدعياء، ودخلاء، وغير صادقين، ولا تنفعهم توجيهات الموجهين، ولا إرشادات المرشدين ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾[2]. والتصوف تضرر من الأدعياء أكثر مما تضرر من الأعداء.

ولكن الحق – والحق أقول – أنهم أنقذوا كثيرا من مخالب الضلال البعيد والكبير، ورتَّبوا لهم من الاستغفار، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم،

[1] – سورة العنكبوت، الآية 69.

[2] – سورة القصص، الآية 56.

والهيللة، وغيرها من الأذكار المعروفة أعدادا معينة، في أوقات معينة حسب الكتاب والسنة، فعالجوا بها قلوبا مرضى، وأرْوَوْا بها نفوسا عطشى، فكان الوصول إلى الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ٤٢﴾[1].

ثم تقشف التصوف:

غالى بعض القوم في بعض المبادئ الصوفية الأساسية التي نص عليها القرآن الكريم، أو السنة النبوية الغراء، مثل:

1 – التقليل من النوم، قال الله تعالى في وصف المتقين: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ١٦﴾[3].

2 – الانعزال عن الناس للتفكر والتدبر.

فعن عقبة بن عامر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يا رسول الله! (ما النجاة؟) فقال: ليسعك بيتك، وأمسك عليك لسانك، وابك على خطيئتك) رواه الترمذي وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حين سئل: (أي الناس أفضل؟ فقال: مؤمن يجاهد بنفسه، وماله في سبيل الله، قيل: ثم من؟ قال: رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه، ويدعُ الناس من شره) متفق عليه.

3 – التوسط في الطعام والشراب.

---

[1] – سورة النجم، الآية 42.

[2] – سورة الذاريات، الآيتان 17 -18.

[3] – سورة السجدة، الآية 16.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم (ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًّا من بطنه، وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، وإن كان لا بد فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسِه). وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: المؤمن يأكل في معي واحد، والمنافق يأكل في سبعة أمعاء) متفق عليه. ومن المعلوم – بدهيا – أن المقصود بالأمعاء هنا كثرة الأكل، لا اختلاف في عدد الأمعاء بين البشر، وقد صح أثر يقول: (نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع).

4 – الصمت

عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن: الصمت وحسن الخلق).

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه) رواه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب. وقد سبق في حديث قوله: (وأمسك عليك لسانك).

هذه المبادئ لا يتناطح كبشان في كونها من صميم الشريعة الإسلامية. غير أن الغُلُوَّ ممقوت في كل شيء، ولسوء الحظ فقد حدث في بعض مراحل التصوف من بعض المنتمين إليه. وإليه يرجع كل تلك الحكايات التي تصادفك في بعض التراجم، أو كتابات المغرضين الذين يتخذون الاستثناءات والشذوذات قواعد يؤيِّدون بها رعوناتهم الثقافية[1].

[1] – قد انتصب د/ محمد أحمد لوح في وقاحة مفرطة، وأنكر وجود هذه المبادئ في الإسلام، بل نسبها دون حياء إلى النيرفانا الهندية، والإشراقية الفارسية، وهو بذلك ينكر نصوصا شرعية صحيحة صريحة. فالله حسيبه. انظر جنايته من صفحة 511 إلى 521.

وعلى الرغم من ذلك التقشف، أو التشدد على النفس فقد كانت الصوفية نماذج حية للاستقامة، والتقوى، والإخلاص، والمراقبة، ومعالم بارزة في العلم والمعرفة، فكانوا في كل زمان ومكان المتعلمين، لكنهم كانوا العلماء العاملين حتى أن الحركة الثقافية الإسلامية منذ عصر التابعين لا تعرف عالما غير صوفي، أو غير متعلم من شيخ صوفي بصفة مباشرة، أو مباشرة.

ثم وصل بعون الله الصوفي التجاني

نعم، إنه تصوف بكل ما للكلمة من مدلولات عميقة، ولكنه في توسط ووضوح، وفي علم وبيان، وفي يسر وقرب، وتصوف لا يُسرف في شيء، لكنه يكثر من ذكر الله تعالى مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[1]، تصوف، بل طريقة تُعرف بتعمير المساجد بالصلاة والذكر والتسبيح آناء الليل وأطراف النهار، طريقة الالتزام بالدين الإسلامي الحنيف، طريقة العلم والعمل بالشريعة المحمدية، قد انتشرت في العالم بسرعة فائقة لم يشهد تاريخ الطرق مثلا لها، وقد ثبت اليوم أن كل بقعة في المعمور يعبد فيه الله، ويؤمن فيها برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ويقرأ فيها القرآن، يدين فيها أناس ربهم بالطريقة التجانية، ولا نعرف في ذلك استثناء، فاذهب إلى الدول الإسكندنافية، وتحقَّقْ تَجِدِ الموفَّقين منهم يرددون (ناصر الحق بالحق) وارحل إلى أقصى جنوب أو شمال أمريكا الجنوبية والشمالية تَرَ تجانيين ملتزمين، وابحث عنهم في الدول التي تجنِّد بعض مؤسساتها المكفِّرة تُلْفِ تجانيين حتى من بين الأمراء والأميرات حينا، ومن المشايخ الذين

[1] – سورة الأنفال، الآية 45.

يصفون التصوف بالبدعة والانحراف ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾[1]، حينا آخر.

وأكثر من ذلك كله، هناك أصحاب طرق أخرى يذكرون الأوراد التجانية اللازمة تعلقا، أو تبركا، وإن كانوا لا يظهرونه. وهناك «متمسلفون» يُخفون سبحاتهم التجانية، ثم يستعملونها ليلا أو خفاء.

إنها طريقة ارتياح البال، وانشراح الصدر، واطمئنان الجأش، والتعلق بالرب فهي ليست زيادة في عدد الطرق، وإنما هي ضرورة زمنية يقتضيها التصوف ليتكيّف وصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.

هذه الطريقة لا تعرف إلى تعذيب النفس طريقة، فلا تجويع، ولا تعطيش، ولا تعرية. أو لبس رثّ من الثياب، أو خشن من اللباس. وليس منها أكل القرضب[2]، أو شرب العلقم. إنها بعيدة عن الرهبانية، بعيدة عن الخلوات الطويلة الأمد التي يذكر فيها أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، ويستعمل فيها طلاسم لاستحضار الأرواح قصد تحقيق أغراض دنيوية.

إنها طريقة توسط، ونهج الاتباع، للمريد فيها أن يأكل ويشرب من الطيبات ما يشاء، ويلبس من المنسوجات ما لم يحرم، ويتزوج ما طاب له ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾[3]. يغتسل متى شاء، ويتعطر بما يشاء. ويتزين كما يشاء في تدين ومروءة، ويخالل الناس بخلق حسن، ثم يلتزم ورده اللازم والاختياري في صدق وتقوى ومراقبة ليجني ثمرة السلوك الملتزم الذي هو الاستقامة.

---

[1] – سورة غافر 28.

[2] – **القرضب**: ما يتقى في الغربال من الرذيلة فيرمى به.

[3] – سورة النور، الآية 26.

قال سيدي الشيخ أبو بكر سي الخليفة رحمه الله عن الشيخ التجاني رضي الله عنه وتربيته الفريدة:

رَبَّى بِلاَ خَلْوَةٍ أَصْحَابَهُ عَلَنًا حَتَّى اسْتَقَامُوا، فَيَا لِلَّهِ مَنْحَاهُ
بِهِمَّةٍ أَوْ بِحَالٍ حَازَ تَرْبِيَّةً نِعْمَ الْمُرَبِّي مُرَبِّ الْحَقِّ يَرْضَاهُ

هذه الطريقة تربّي بالهمة حتى ينهض المريد بمسئولياته بكفاية وأمانة، وبالحال التي تقلب نحاس المرء لؤلؤةً في طرفة عين أو أقل.

خطواتها ثلاث: الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والهيللة، وأحوالها ثلاث: التعلم وأداء الفرائض والسنن ثم الإحسان أي المراقبة الواعية المستمرة.

فالتعلم تجسيد لقوله تعالى: (اقرأ) في أول سورة نزلت، وأداء الفرائض تجسيم لقوله: (واسجد) وجاء الإحسان تمثيلا لقوله تعالى: (واقترب).

إن هذه المكانة العليا التي تتربع عليها الطريقة التجانية يجب أن تُحلَى في ثوب قشيب يلائم فهم هذا العصر لا يتعمّق في الروحانيات، لكنه يميز بين الغث والسمين. وأنا في هذا أحاول – وفي المحاولة بعض الفضل – فإن وفّقتُ فبفضل من الله تعالى، ثم بمدد من الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه.

والله أسأل أن يوفِّقني للصواب، وأن ينفع به كل من يطالعه، فإنه لا يوفِّق إلى الصواب، ولا ينفع أحدا إلا هو، وهو حسبي، ونعم الوكيل، وهو سميع قريب مجيب.

شيخ تجان غاي
لوغا 17 يونيو 2004م

الفصل الأول: التجانية والسنة المحمدية

المبحث الأول: التجانية والسنة المحمدية،

لماذا هذا العنوان؟ فما الحيلة إذن؟

المبحث الثاني: في البدء كانت الكلمة.

المبحث الثالث: ما السنة؟

الفصل الأول

المبحث الأول

التجانية والسنة المحمدية، لماذا هذا العنوان؟

إن طعن العدو في المقتل، وخاصة إذا كان رأس جيش فلسفةٌ قتاليةٌ قديمةٌ، فكل الذين يواجهون أعداء معنيين يحرصون على قطع وتين أقواهم فيولّي الآخرون أدبارهم، أو يقضي عليهم بسهولة، فتنتهي المعركة إن لم تقف الحرب بين الجانبين.

هذه الفلسفة الحربية هي ما يزاوله المتنطّعون الحاقدون على الصوفية، فهم على يقين تام بأن حربهم على التصوف – مهما كانت ضروسا – خاسرةٌ لا محالة، لقوة هذه الفرقة الربانية بإخلاصها، وباستعانتها بربها، وبأنَّ ﴿ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ٤٩﴾[1].

فما الحيلة إذن؟

إنها في منطقهم المعوجّ أن ينقضوا على الطريقة التجانية التي تشكل الصرح الصوفي الأعلى الحصين، بل هو ذروة التصوف الإسلامي، فهي عالمية منتشرة في كل أرجاء العالم يمارسها السود والبيض، والحمر والصفر، والزرق والخضر بمختلف المستويات والأعمار والمسئوليات.

إنها طريقة علم، فمن أتباعها يوجد أجل العلماء المدققين الذين برعوا في كل العلوم والفنون. هذه الطريقة لا تُبارى في كثرة المؤلفات، ولا تضاهى في توضيح أهلها، ولا تُجارى في الرد على مهاجميها، وقمعهم بحجج دامغة داحضة.

[1] – سورة هود، الآية 49.

إنها طريقة عمل والتزام واستقامة وصدق وتقوى، وصبر ومصابرة ومثابرة، وإخلاص واستمرارية، كما أنها طريقة ذكر وتسبيح، وقراءة قرآن، إلى جانب حزم شديد، وعزيمة فولاذية لا تنْثني.

ومنذ أن ابتدأت نبال الإنكار عليهم تنهال من كل حدب وصوب لم يستكينوا، ولم يضعفوا، بل تقووا بغارات الأعداء، واستمروا في أداء الورد والوظيفة، وذكر عصر الجمعة، وحضور الصلوات الخمس في الجماعات السنية، إنهم باقتصار أهل لطف إلهي، وأهل عناية ربانية، فلله الحمد والمنة كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه.

وقد أنفق الأعداء أموالا طائلة لا يتأتّى لأحد تقديرها في محاربة الطريقة التجانية، ولكنهم كانوا كأنما ينثرون الرماد في عاصفة، كيف لا؟ ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾[1].

وفي ترقب هزيمتهم النكراء يرهبون غير المتعلمين، أو غير أقوياء الإيمان من التجانيين وغيرهم بألفاظ تخيف كل مسلم حريص على السنة، وبكلمات تفزع كل غيور على دينه.

فيشهّرون أمامهم: (هذه بدعة – هذه ليست بسنة – لم يفعل الرسول ﷺ هذا – التجانيون يعصون الله كما يريدون، ويقولون إنهم يدخلون الجنة كما يشاءون – إنهم يفضِّلون صلاة الفاتح على القرآن – لا يفرقون بين المسلمين والكافرين) إلى غير ذلك من مفتريات نسجها لهم التعصب، والتحزب، والتحيز، والتَّشَيْطُن.

[1] – سورة الأنفال 36.

وقصدهم الأول والأخير أن ينفضّ الناس من حول التجانية، وينبذوا التجانيين، والله يعلم أنهم زعزعوا إيمان بعض الضعفاء أو الجهلاء، ولكن بدا قدر الله كأنه يدفع الناس إلى التجانية دفعا، فيدخلون فيها أفواجا، ويمسِّكون بها لا يزحزحهم عنها لا المقالات المغرضة في الصحف والمجلات والدوريات، ولا الكتب الكثيرة التي يؤلفها المرتزقة، والتي تُطبع منها آلاف مؤلفة، وتوزع عبر القارات مجانا، أو بثمن بخس دراهم معدودة.

وقد وصل الأمر ببعض تجّار الأوراق الملوّثة أنهم يكتبون أي شيء تافه، ثم «يُمَلِّحُونَهُ» بشتم التجانية وسبها، وإخراج أهلها من شريعة الله فتطبعها لهم المؤسسات (الشَّرِّيَّة). أو أحد (المسيئين) إلى الإسلام والمسلمين.

إن هذا الذي أقوله تجده في كل مؤلفات المأجورين أو المستأجرين سواء في المعارف العامة، أم في التفسير والحديث، أما مادة التوحيد فهي حقلهم المفضّل الذي يزرعون فيه تكفير غيرهم من المسلمين أو تبديعهم، وما أحلاه من جني في حلاقيمهم[1] التي لا تستمرئ إلا العلقم والقرضب[2].

كل هذا جعلني أحاول تبيين مدى مطابقة التجانية للسنة النبوية الشريفة، فجمعت محاضراتي التي ألقيتها في مختلف مدن السنغال منذ سنة 1986م.

هذه المحاولة أقوم بها جهد طاقتي ليقف المخطئون على أخطائهم الفادحة، وليكون بعض من يضلونهم عمدا أو جهلا على بصيرة من أمرهم، وأن يعرف الجميع أن الطريقة التجانية إذا لم تكن من السنة النبوية فليست هناك سنة على الإطلاق.

---

[1] – **الحلاقيم**: جمع الحلقوم.

[2] – **القرضب**: ما يتقى في الغربال من الرذيلة فيرمى به.

المبحث الثاني

في البدء كانت الكلمة

في مبدأ الطريقة التجانية كانت كلمة حق وتوازن، والتزام وشفافية، وانفتاح وشجاعة حين سئل شيخنا أحمد التجاني ﷺ: أيكذب عليك؟ فقال لسانُ حاله: نعم (لأنَّ الكذب على العظماء دأب السفلة والحقدة والجهلة) ولكن لسانُ مقاله نطق بالجملة الربانية الذهبية التاريخية التالية: (إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما خالف فاتركوه).

ولسنا نعتقد أنَّ زعيمًا دينيًّا متبوعًا قال – لبيان التزامه الديني وشجاعته الأدبية، وتواضعه المبدئي – أبلغ من هذه المقولة التي لا تدل على قوة الثقة بما يصدر عنه من أقوال وأفعال فحسب، وإنما انضباطه، وضبطه أتباعه على:

1 – اتباع الشريعة البيضاء جملة وتفصيلا.

2 – التبحر في العلوم المختلفة، وخاصة الشرعية منها.

3 – اتخاذ علماء الإسلام إخوانا يحسن الظن فيهم. لأن من شأن العالم أنْ لا يتعجل بموضوع بل يتبصر ويزن ويقابل، ويتجرد من أهوائه وأحكامه السابقة التي لا تتعلق بموضوع الدراسة، ثم يحكم بإخلاص وإنصاف.

فشيخنا التجاني ﷺ وضع طريقته بين أيدي العلماء من طائفته هو، ومن الطوائف الإسلامية الأخرى، ليتفحصوا، ويدققوا فيها، ويحكموا لله بالله لا غير.

لقد وضعهم أمام مسئوليتهم العلمية الدينية، فإن هم نهضوا أو لم ينهضوا بها فقد برئت ذمته هو. وإن حكموا جائرين زائغين كما يحدث كثيرا من قبل بعض

المتفيهقين[1] المتعصبين الذين لا يرضيهم إلا اختلاق أسواء عند غيرهم إن لم يجدوا عيبا حقيقيا، فهم دائما بين كشف عورات الناس وبين افتراء عيوب من العدم.

ونحن جازمون أن هؤلاء الشاردين لو وجدوا لأحد شيوخهم قيلةً كهذه لكتبوها بالإبريز أو الماس، أو بالياقوت والمرجان، إن لم يدوِّنوها بالدم، وللقَّنوها كل الناس بمن فيهم الرضع والأجنة في بطون أمهاتهم.

أما أنها (المقولة الذهبية) من خاتم الأولياء، وشيخ العارفين فقد أبى الحسد والحقد والبغضاء إلا أن تضع في أذنهم وقرا، ونصب الشيطان بينهم وبين الحق حجبا متراكمة بعضها فوق بعض، فما أصدق قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾[2]، نسأل الله السلامة والعافية.

ولكن، من ذا الذي يزن؟

إذا كان (الميزان) واضحًا (ميزان الشرع) فإنَّ الحكمَ بأنَّ هذا العمل، أو هذا القول موافقٌ للشرع، أو مخالفٌ له يحتاج إلى معرفة محيطة به، إلى جانب تجرد تام من الأهواء والنزعات، قال شاعرهم:

من لم يحط بجملة الشريعه إنكاره لمهلك ذريعه

فالقضية – إذًا – فيمن يزن، فالعقل السليم يقتضي أنه:

1 – ليس ذلك الجاهل الذي لا يعرف يمينه من شماله، فذلك واجبه أن يتعلم، بدلا من أن ينحرف وراء العواطف الجياشة التي مبناها – غالبا – قيل وقال.

[1] – **المتفيهق**: الذي يتوسع في كلامه ويفهق به فمه، والمتفيهقون هم الذين تتسع أشداقهم بالكلام.

[2] – سورة البقرة، الآية 7.

2 – ليس ذلك المتعالم الذي (لم يتب) إلا في الربيع الماضي، ولم يقرأ إلا كتابين أو ثلاثة لم يهضمهما، وقد يقتصر محصوله السُّنِّيُّ في بضعة أحاديث لا يتبيَّن معانيها، ولا يستعملها في محالِّها الحقيقة، وقد يكون قد تعلمها عن طريقة ترجمة سيئة، ثم يتصدّى للإفتاء، ويعارض العلماء الأجلاء الأتقياء، وينكر على أمثال شيخنا التجاني رضي الله عنه.

ومن غريب ما رأيت في ذلك متعالم لا يتقن تكوين جمل عربية صحيحة في أي غرض دنيوي أو أخروي يستغل فراغات إذاعة حرة معينة ليقول: هذا ما قاله مالك (يقصد إمام دار الهجرة) ولكنَّ السنةَ تقول غير ذلك. فكأنما قاله الإمام مالك يخالف السنة. إنه وقاحة غريبة، ولكنَّ الأغربَ أن يسكت عنها أهلُ نحلته الذين يُعتبر سكوتهم ذلك تواطؤًا ضد العلم والسنة.

3 – ليس ذلك العالم الذي كل ما عرفه عن التجانية شائعات، أو تضليلات، وتلفيقات اختطفها من أعداء التجانيين، ومن أصرخ أمثلته حالقتهم التي تنص على أن التجاني يقول: (إن صلاة الفاتح أفضل من القرآن بست آلاف مرة) إنها كذبة يتوارثونها كابرا عن كابر، وينسبونها إلى جواهر المعاني، ويحيلون القرّاء أحيانا إلى صفحة خيالية فيها، أو أي كتاب وسيط، ما صاحبه إلا كذاب أشر.

والحق أنهم لو اجتمعوا – والإنس والجن بعد ذلك ظهير – لا يجدون جملتهم الخطيرة هذه في أي مصدر من المصادر التجانية. بل يرون – كما هو واضح جلي – اهتماما كبيرا، وعناية خاصة بالقرآن الكريم ترتيلا وتجويدا وتفسيرا وتطبيقا في الجواهر وغيرها، كما سنبيّنه لاحقا عندما نتكلم عن التجانية بين القرآن والكريم وصلاة الفاتح إن شاء الله تعالى.

وأنت – أيها القارئ قد تكون ضُلّلت في هذا، كلّفْ نفسك عناء البحث في الكتب التجانية لمدة سنة كاملة أو يزيد، ثم ساءِلْهم أين يوجد ما يقولون؟ سيعيدون ما قالوا ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ﴾[1] فإن لم يكفروا بها فإنهم كاذبون.

4 – ليس ذلك العالم غير العادل الذي يكبّله انتماؤه إلى نحلة معينة تعادي الصوفية عامة، والتجانية خاصة، ولا يقول أو يكتب عندما تحاجّه إلا تفاهات سمع بعضها من الشيخ الفلاني، أو قرأ بعضها في كتاب كذا، فتراه ينكر السنة التي يدّعي اتباعها دون أن يدري، أليس هذا من قلب الموازين؟ اللهم بلى.

صحيح، إن لهم أن يقولوا لنا: ليس من يزن ذلك المريد التجاني الذي يسلم بكل ما قاله شيخه، ويقول سمعا وطاعة.

نعم، إذا وافقونا على المسلمات الأربع السالفة الذكر لا ننازعهم مسلمتهم هذه.

فلتحكم السنة بيننا:

إن موقفينا المختلفين يحتِّمان علينا نحن جميعا أن نتبع منهجية علمية سليمة لا نحيد عنها قَيْدَ أنملة، بل نسير عليها باحترام، وذلك بالاتفاق – أولا – على مدلول كلمة (السنة)، وعلى تحديد معنى كلمة (البدعة) – ثانيا – وبيان أنواعها، وأقوال العلماء عنها.

ثم نعرض الطريقة التجانية، وخاصة أهم أجزائها على السنة النبوية الغراء، فإذا كان هناك تطابق بينهما نكبر ونحمد الله معا، ويتركوننا نحتفل. وإذا لم يكن

[1] – سورة التوبة 74.

هناك توافق – كما يدّعون. نصفق لهم حين يرقصون، ونضمن لهم أننا ساعتئذ نلجأ إلى السنة كما يريدون لأنها أحب إلينا من آبائنا وأنفسنا، بل من كل ما تطلع عليه الشمس، والله علَى ما نقول وكيل.

وقبل ذلك نصنف فيما يلي أقسام المنكرين حتى يتضح في أذهانِ مَنْ نتعامل وإياهم، وحتى يعرفوا هم أنفسهم كيف يجابهوننا، فيعدون لها عدتها.

أصناف المنكرين على التجانية:

كان العلماء التجانيون صنَّفوا هؤلاء المنكرين ثلاثة أصناف[1]:

الأول: المنكر الجاهل الذي لا يعرف ما معنى التجانية فعارضها جهلا، فهذا أمره هيِّن إذا قبل أن يتعلم. وليس للجهل من دواء إلا التعلم، وقد تداوى به كثير، فانقشعت عنهم حجب التخبط وعدم المعرفة.

الثاني: المنكر الذي رأى من بعض التجانيين بعض تصرفات يعرف أنها لا تليق فاعتقد أنها من الطريقة. وهذا أيضا إن قبل أن يناقش يمكن تنبيهه، وإراءته أن الخطأ في المتصرف لا في التجانية.

وقد حدث ذلك – فعلا – لبعض الموفقين الذين عارضوا التجانية بشدة، ثم بان لهم الحق فأذعنوا له، وبيَّنوه للناس بكل صراحة، منهم:

1) إمام السلفية في زمانه، أبو الربيع السلطان المولى سليمان الذي كان قد أثارها شعواء على المواسم والطرق في رسالة مطبوعة، فلم يسعه في آخر عمره إلا التراجع والانصياع للتجانية وشيخها الهمام رضي الله عنه.

[1] – الفتح الرباني

2) سلطان المغرب مولاي عبد الحفيظ الذي كان يناهض التجانية، ثم تنازل عن العرش. واندرج في سلك الطريقة التجانية، وصنَّف كتبا في مدحها، ونظم قصائد مطولة في الإشادة والتنويه بها، منها:

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْمُسِيءَ الَّذِي عَصَى وَحَارَبَ جَهْرًا، هَا أَنَا الْيَوْمَ طَائِعُ[1]

الثالث: المنكر الذي ينكر، لأنه يحقد على التجانية والتجانيين، وهذا لا ينفع معه أي كلام، ولا أي نقاش، لأنه مريض يرفض الأدوية، والحقد مرض قلبي لا يعالجه إلا صوفي قدير.

الرابع: مرتزقة يتجرون بأقلامهم للتحامل على التجانية، وقد جنَّد لذلك آلاف بليارات من الريالات، يعيش بها هؤلاء الذين إن سكتوا أو أوقفوا أقلامهم تنقطع عنهم المنحة، أو تسلب منهم المنيحة، فهم دائما في هرج ومرج، في دسٍ وتدليسٍ وتلفيقٍ، في كذبٍ وتضليلٍ، ويصدق فيهم بيت لنا في قصيدتنا (نفط الشرق):

وشارب بعض النفط إن كان قيؤه لهيبا، فهذا الأمر حدّ التناسب

وهؤلاء الذين يتمتعون كثيرا بالحرام الذي نالوه من لَوْكِهم أعراض المسلمين الأبرياء لهم، بل عليهم أن يتوبوا قبل فوات الأوان، فليستحضروا قول الله تعالى: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ٢٧٩﴾[2].

[1] – ترهات الزمزمي ص 55.

[2] – سورة القرة، الآية 278.

وليسمح لنا القارئ الكريم، قبل مناقشة السنة والبدعة أن نورد نبذة تاريخية عن شيخنا مولانا أحمد التجاني رضي الله عنه حتى يتضح لديه من هذا الذي أجرى الله على يديه هذه النعمة العظمى التي تفيض على العالم. وتلحّ أناس معيّنون أن يحرموها الأبرياء. لمجرد أنها توصف بالتجانية.

الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه، من هو؟

هو أبو المواهب الإلهية، والفيوضات الربانية، والخيرات الدنيوية والأخروية مولانا وشيخنا أحمد بن مَحَمَّد (بن عمر) ابن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن العيد بن سالم ابن أحمد العلواني ابن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس بن إدريس بن إسحاق بن زين العابدين بن أحمد بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه. ورضي عنه، زوج البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنها، بنت سيد الوجود رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما أعلاه من شرف، قال الشيخ القاضي مجختي كل رحمه الله تعالى في نسب الشيخ هذا:

حَوَى الشَّرَفَ الطِّينِيَّ حَيْثُ انْتِسَابُهُ لِفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ بِنْتِ مُحَمَّدِ

والشرف الطيني هو سبب المطالبة بالمودة في القربى، كما أنه سرّ ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾[1].

[1] – سورة الكهف، الآية 82.

والده: هو سيدي مَحَمَّد (بفتح الميم) العالم السني الفقيه المحدث اللغوي العابد الأوّاه.

والدته: هي الست البارة العابدة الورعة أم المساكين، وكافلة اليتامى، الواصلة الرحم، الطائعة زوجها في رضى الله ورسوله، عائشة بنت سيدي أبي عبد الله محمد السنوسي التجاني نسبة إلى (تُجانة) بضم التاء وبكسرها، قبيلة أخواله رحمه الله وإياهم أجمعين.

ازدياد سيادته، ونشأته:

كان ازدياده يوم الخميس[1] صفر عام 1150 هـ الموافق 1734م في قرية عين ماضي نشأ في طهارة ونقاوة، فرباه والده على آداب السنة الطاهرة، وهذّبه بها، وأدَّبه بأسرار الشريعة، وأنوار الحقيقة، فتربَّى في عفاف، وتقى، في ديانة وصيانة، وكان متحليا بالخلاق المحمدية، والشمائل الرفيعة ذوقا وتحققا، مرتديا رداء العفة، لابسا علوَّ الهمة جبلة وخلقا، متأزرا بمضاء العزم، وشدة الحزم، فكان لا يريد شيئا إلا ابتدأه ولا يبتدئ شيئا إلا أتمه.

حفظ القرآن الكريم في سبع سنين من عمره على يد الشيخ سيدي محمد حمو التجاني رحمه الله، المتوفى سنة 1162هـ 1749م. فاشتغل بتحصيل فنون العلم الظاهر من سيدي المبروك بن بو عافيه التجاني رحمه الله.

[1] – لم يحدد مصدرنا تاريخ هذا الخميس في الشهر، لكن الأرجح أنه كان اليوم السابع عشر منه، وعليه فإن أهل الصحراء يحتفلون بمولد في ذلك التاريخ، ثم يحيون ذكرى الكتمية في الليلة السابعة عشرة. انظر كتاب حصول الأماني في سيرة سيدي أحمد التجاني لمؤلفه السيد أبي بكر عتيق.

ولم يتعلم لدى أي شيخ إلا وأعجب بذكائه اللماع، وبفطنته المتوقدة، وبأدبه الرفيع. كما كان مثاليا في تعامله وزملائه في الدراسة. وامتثاله لأوامر شيوخه.

ولما تفوق في العلم الظاهر، وحاز قصب السبق، درَّس جميع العلوم، وأفتى وحلَّ الْمُعميات، ووضح الْمُعْضِلات، وبيّن الشائكات وهو ابن واحد وعشرين عاما، وفي ذلك أشار القاضي الكجُوريُّ السنغاليُّ في داليته الرائعة:

مَعَ الشَّرَفِ الْعِلْمِيّ مِنْ حَيْثُ كَشْفُهُ مِنَ الْغَامِضَاتِ الْعُجْبِ مِنْ كُلِّ مَقْصَدِ

إِلَى الشَّرَفِ الدِّينِيّ حَيْثُ طَرِيقُهُ طَرِيقُ الضَّمَانِ الْهَاشِمِيّ الْمُؤَيَّدِ

لكن نفسه تاقت إلى الفهوم بعد استنفادة الرسوم، فانجذبت إلى مصاحبة السادات الصوفية، فاستسهل الصعب واستصغر المشاق، وطاف بلاد الله رغبة في العثور على من يوصله كما هي عادة كل عابد موفق حليم.

قام بثلاث رحلات صمدانية، واحدة في المشرق، واثنتين إلى المغرب.

أولا: الرحلة إلى المغرب:

غادر شيخنا قريته المباركة عين ماضي إلى المغرب، وبالتحديد فاس المحروسة التي كانت ولم تزل منبع العلوم والمعارف. وينبوع الأذواق، رجالها الربانيون لا يحصون عددا، ولا يستنفذون مددا، فكان ممن اجتمع بهم في هذه الرحلة.

1 . الشيخ الكامل والولي الواصل مولانا سيدي الطيب بن محمد اليملحي، دفين وزان، الذي أجازه في تلقين ورده، لكن الشيخ أبى أن يتصدى للمشيخة لاهتمامه بأمر نفسه في ذلك الوقت.

2 . القطب الكبير مولانا سيدي أحمد الصقلي دفين فاس، وأحد أركان الطريقة الخلوتية آنذاك.

3 . الولي العارف بالله، المكاشف سيدي محمد بن الحسن الوانجلي، الذي قال له: إنك تدرك لا بد مقام الإمام الشاذلي، قبل أن يكلمه الشيخ التجاني بشيء، ثم كاشفه في أمور كانت في خلده، وأخبره بما ينتهي إليه أمره.

4 . الولي الشهير سيدي العربي من أولاد معن الأندلسي، الذي قال له عند توديعه: الله يأخذ بيدك ثلاث مرات، لكن الشيخ التجاني رضي الله عنهما لم يأخذ عنه شيئا.

5 . الوليّ الملامتيّ الشيخ سيدي أحمد الطواش، نزيل تازه، الذي لقنه ذكرا عظيما، وقال له: الزم الخلوة والوحدة والذكر، واصبر حتى يفتح الله عليك، وذكر له مقامات عالية سيصل إليها، لكن شيخنا لم يذكر ذلك إلا مرة واحدة، ثم تركه.

وخلال هذه المدة التي كان يلتقي فيها بالأولياء والأقطاب، أخذ القادرية والناصرية، والصديقية، لكنه كان يترك كل واحدة منها بعد مدة طلبا لأعلى، شأن أهل الهمم العالية.

العدوة إلى عين ماضي:

عاد الشيخ رضي الله عنه إلى الصحراء، لأن الشيخ المكاشف الوانجلي كان قد أخبره بأن فتحه لا يكون إلا هنالك، حيث مكث يدرِّس الحديث والتفسير، ويعبد ربه، وشرع الناس يأتون إليه لما رأوا من بوارق الفتح عليه، وكان يردهم ردا لعدم حصوله على إذن بالمشيخة.

ثانيا: الرحلة المشرقية:

لما استمر في التدريس مدة حفزته نفسه التوّاقة إلى مزيد من العلم اللدني، فرحل من تلمسان سنة 1186هـ 1772م قاصدًا بيت الله الحرام للحج، ولزيارة جده الحب الأعظم ﷺ فمر بتونس، وأقام بينها وبين مدينة (سوسه) سنة كاملة. ثم غادرها وقد ألان القلوب القاسية، وتوجه إليه الناس من كل فج عميق زرافات ووجدانا.

وطلب إليه أمير البلدة أن يقيم عندهم إقامة نهائية يفيض أنواره المعرفية، وعين له مرتّبا فخما، ودارا عظيمة في رسالة، فلما قرأها غادر (سوسه) في الغد؛ لأنه كان يقصد أعلى من ذلك وأهم.

وفي هذه الرحلة التقى بالشيوخ الآتية أسماؤهم على سبيل التمثيل لا الحصر:

1 – العارف بالله سيدي مَحَمد (بالفتح) بن عبد الرحمن الأزهري الذي لقيه في طريقه في (زواوه)، وأخذ عنه الطريقة الخلوتية.

2 – كان في مدينة (سوسه) وليٌّ صالحٌ لا يجتمع به إلا أربعة أشخاص ليلتي الجمعة والاثنين، لذلك لم يسمع لشيخنا بملاقاته، فراسله عن طريق سيدي عبد الصمد الرحوي أحد أربعته الخاصة، وكان الجواب أن بشّر شيخنا بأنه محبوب عند الله تعالى، وضمن له سفرا ناجحا من كل ما يشوش ذهابا وإيابا.

3 – العارف بالله سيدي محمود الكردي العراقي، الذي بشّره بالمحبوبية بمجرد أن تراءيا، حين قال له: (أنت محبوب عند الله في الدنيا والآخرة). فقال له شيخنا: (من أين لك ذلك)؟ فقال له: من الله.

وكان قد طلب إليه الشيخ التجاني رضي الله عنهما أن يدعو له مقام القطبانية، فقال له الكردي: لك عند الله ما هو أجل من مقام القطبانية.

4 – وفي شوال عام 1187هـ 1776م وصل إلى مكة المكرمة، ووجد فيها العلامة القطب أبا العباس سيدي بن عبد الله الهندين الذي برّه بأسرار دقيقة غالية بالمكاتبة.

وكان من جملة ما قال لشيخنا التجاني﵁: (إنني سأتوفّى في العشرين من شهر ذي الحجة القادم، وأنت وريث مقامي وسري، وأوصيك بولدي خيرا) وألحّ عليه في ذلك؛ الأمر الذي أغاظ خادمه الذي اشتكى واحتج بمدة خدمته التي استغرقت ثماني عشرة (18) سنة، فقال له سيده وأستاذه: هذا مما ليس لأحد فيه اختيار، إنما هو بيد الله تعالى الفعَّال لما يريد، فلو كان لي خيار لكان الأمر لولدي.

وكان أعطاه ذكرا يداومه سبعة أيام ليظفر بالفتوحات الربانية، لكن بشرط أن ينعزل بعد ذلك عن الخاص والعام، فلا يراه أحد من الأنام، فلم يقبل شيخنا بهذا الشرط، لأنه يريد أن يكون بابا للنجاة، ومثله لا ينعزل عن الناس.

وبما أن الشيخ الهندي رحمه الله كان يعمل بهذا الشرط لم يقابل شيخنا، بل أحاله إلى القطب السمان في المدينة المنورة.

5 – القطب الكبير محمد بن عبد الكريم السمان رحمه الله.

حين وصل شيخنا إلى المدينة المنورة زار الروضة الشريفة، ثم اتجه إلى بيت الشيخ المذكور أعلاه، ولدى ملاقاتهما أخبره بما انطوى عليه باطن حاله، وكشف له بما تصير إليه نهايته في مآله، ثم قال له: (اطلب ما شئت)، فطلب شيخنا

مطالب ربانية ساعده السمّان على الحصول عليها، لكن لما طلب من سيدنا أن يدخل معه خلوة لمدة ثلاثة أيام ليصبغه صبغة تامة بما يُفاض عليه من الفتح اعتذر للرجوع إلى الصحراء.

في طريق العودة:

أناخ رحله بمصر، ومكث مع سيدي محمد الكردي مدة أفاد الناس خلالها من علومه الكثيرة، ثم أجازه في الخلوتية، لكنه أبى أن يقيم هناك، فعاد إلى تلمسان، حيث التقى بتلميذه الفقيه الصوفي سيدي محمد بن المشري[1] الحسني السائحي ولقنه الخلوتية.

ثالثا: الرحلة المغربية الثانية:

وبعد إقامة وجيزة نوعا ما توجّه لزيارة مولانا إدريس رحمه الله بمدينة (فاس) المحروسة، وفي طريقه إليها لقي في مدينة (وجده) خليفته الأعظم أبا الحسن سيدي علي حرازم براده، فعرفه الشيخ لمجرد رؤيته، ولكن المريد لم يعرفه، فذكر له رؤيا كان قد رآها الشيخ عليّ ونسبها، ثم رافقه إلى تلمسان، ثم إلى أبي سمغون، ومنها سافر إلى (تازه) لملاقاة حبيبه، وتلميذه سيدي محمد بن العربي الدمراوي التازي، الذي أوصاه به النبي ﷺ. فكان يزوره حيا وميتا رضي الله عنهما.

عام الفتح 1199هـ 1784م:

في عام 1199هـ فتح الله عليه بأن يرى سيدنا محمد ﷺ يقظة، فقال له: دع ما لديك من الشيوخ، أنا مربيك الأبر، أنت وارثي، وأنت ولدي، ولقنه:

[1] – وهو مؤلف كتاب (الجامع لما افترق من العلوم من بحار القطب المكتوم) وكتاب (نصرة الشرفاء على أهل الجفاء) وكتاب (روض المحب الفاني).

الاستغفار 100 مرة، والصلاة على النبي 100 مرة، ثم كمّل له الورد بالهيللة 100 مرة بعد ما يقرب من سنتين، وقال له: ﴿الزم هذا حتى تصل مقامك الموعود بلا خلوة، ولا اعتزال، ولا كثرة مجاهدة﴾.

وكان يقول للوافدين إليه من تلمسان، قولوا: نحن أصحاب، أما المشيخة فلا، ولم يقبل أن يكون شيخا إلا بعد أن لقنه رسول الله ﷺ هذا الورد المعروف، حيث طفق يفيض على البرايا الأنوار، وبثَّ عليهم الأسرار، وتأتيه الوفود من كل مكان ينهلون من معينه الفيّاض الذي لا ينضب.

غادر شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه قصر أبي سمغون في 17 من ربيع الآخِر عام 1213هـ الموافق 29 أغسطس 1798م متوجها إلى فاس برفقة سيدي علي حرازم رحمه الله، فلما وصلها استقبله مولانا سليمان بن السلطان بحفاوة، وأكرم وِفادته.

وهناك أمر خليفته، ورفيقه بجمع ما كان قد تفرق منه من فتاوى، ورسائل وإرشادات، وشروح، وتفسير بعض الآيات القرآنية، وتوضيح بعض الأحاديث النبوية، وتبيين بعض الحكم والآثار المنغلقة، وحل بعض الألغاز في كتاب سماه (جواهر المعاني وبلوغ الأماني، في فيض سيدي أبي العباس التجاني رضي الله عنه) بإذن من رسول الله ﷺ.

الختمية والكتمية:

قد وصل إلى مقام القطبانية العظمى (الختمية) في 1214/01/12هـ الموافق 1799/06/16م في جبل عرفة من البلد الحرام. وفي 18 صفر

1414هـ الموافق 1799/07/22م وصل إلى مقامه الأعلى الأعظم (الكتمية)، قال صاحب المنية:

وفي المحرم غدا غوثا رشيد خليفة عن المهيمن المجيد
أُعْطِي ذاك شيخَنا بعرفه حكاه من حققه وعرفه
وبعد شعر وليال ارتقى إلى مقامه العزيز المنتقى
مقامه المكتوم عن كل الورى سوى النبي، ما وراءه ورا

لطيفة:

يقصد الناظم بالغوث هنا القطبانية العظمى. أما قوله (رشيد) فهو إشارة إلى سنة الختمية والكتمية التي هي 1214هـ وهو عدد (رشيد) بحساب الجمّل. وبين الحدثين الكبيرين (35) خمسة وثلاثون يوما، وهو المعبّر عنه بـ(وبعد شهر وليال).

توضيحة:

أخذ التجانيون – وحق لهم – يحتفلون باليوم الثامن عشر ممن صفر منذ فترة ليست بوجيزة، وتتسع دائرة الاحتفال كل سنة، لكنهم يختلفون في التسمية، فبعضهم يسمونه (الختمية) وآخرون (الكتمية) لكن الخلاف لفظي محض.

فالذين يسمونه بالختمية يبررون ذلك بأنهم لا يستطيعون أن يعرفوا عن (الكتمية) أي شيء، فسموه بما يعرفون عنه شيئا قليلا.

ويقول الذين يلحون على تسميته بالكتمية: إن اليوم يومها، لكن الحدث يكون عن (الختمية) لأن الكتمية لا يعقل أمرها إلا الله ورسوله. ففي الأمر –كما

ترى – فسحة كبيرة، والمهم أن يحتفل التجانيون بمختلف بلدانهم وأحيائهم وقراهم بهذه المناسبة، ذاكرين الله كثيرا، ومبيّنين شارحين طريقتهم للناس بطرق علمية حتى يسمعوا كلام الله، ويعتصموا بحبل الله المتين فينجحوا ويفلحوا إن شاء الله.

وفاته ﷺ:

انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى صبيحة يوم الخميس 17 من شوال عام 1230هـ الموافق 15 سبتمبر عام 1815م عن ثمانين (80) عاما، بعد أن أدّى فريضة الصبح على حالة الكمال، ثم اضطجع على جنبه الأيمن، ودعا بماء فشرب منه، ثم عاد إلى اضطجاعه، فصعدت روحه الطاهرة إلى مقرها الأقدس ﷺ، وأرضاه آمين.

وقد حضر جنازته جمع غفير يستعصي على العدد من علماء، وصلحاء، وفضلاء، وأعيان، وأفراد موافقين، ومناهضين.

وقد صلَّى عليه إماما الشيخ العلامة المفتي سيدي محمد بن إبراهيم الدكالي رحمه الله. وقد ازدحم الناس على حمل نعشه الذي كسروه إثر دفنه أعوادا صغيرة ادَّخروها للتبرك بها[1]، وقد خلف من الأولاد السيدين الجليلين القطبين العظيمين:

1 – سيدي محمد الكبير.

2 – سيدي محمد الحبيب.

[1] – كان دأب الناس التبرك بكل ما يتصل بالأولياء والصالحين، منذ التابوت الذي كانت فيه ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ مارًّا بشعر رسول الله ﷺ وعرقه إلى آثار الشيخ أحمد بن تيمية، وأعواد نعشه كما أورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية جـ 14، صـ 171 و 172 وكذلك ما نشرته الصحف من أن مشيعي جنازة الشيخ عبد العزيز بن باز كسروا نعشه واقتسموه أعوادا تبركا به، ثم ينكرونه على الآخرين.

رضي الله عن والدهما وعنهما، ونفعنا ببركاتهم، بجاه ممد الأولياء شيخنا أحمد التجاني السالمي الحسني آمين.

وضريحه الشريف في زاويته المباركة يقصده الزوَّار من كل حدب وصوب على مدار شهور السنة، وأيام الشهور، يستمدون منه بركات وخيرات وفيوضات، فيقضي الله به الحوائج بمنه وفضله.﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢٩﴾[1]

تنبيــهٌ مهــمٌ:

هذا التاريخ 15 سبتمبر 1815م يُفَنِّدُ كذب هؤلاء الذين يفترون أنَّ الشيخ التجاني ﷺكان قد تزوَّج فرنسيَّةً مسيحيَّةً، أو (كافرة) كما يقولون إذْ أول كتيبة فرنسية دخلت الجزائر كانت سنة 1830م أي بعد وفاة شيخنا بخمسة عشر سنة فهو لم ير فرنسيًّا في حياته، فلم يسافر إلى فرنسا والفرنسيون لم يجدوه على قيد الحياة في الجزائر. وأكبر من ذلك كان نجله الثاني سيدي محمد الحبيب يدعو أنْ لا يقع بصره على نصراني فاستجاب الله دعاءه فَتُوُفِّيَ صباح اليوم الذي وصل الفرنسيون في مسائه إلى عين ماضي.

والحاصل هو أنَّ سيدي أحمد عمّار التجاني ابن سيدي محمد الحبيب التجاني رحمهما الله توجَّس الفرنسيون منه خيفةً فنفوه إلى فرنسا وهناك تزوَّج بمسيحيَّةٍ اعتنقت الإسلام وعاد بها إلى الجزائر ثم بنى لها قصرا على بعد كيلومترات من عين ماضي يعرف باسم (كُورْ دَامْ) وهو تحريف لـ(Cour des dames) وقبرها هناك جنب زوجها الشريف الحسني رحمهما الله.

[1] – سورة الحديد، الآية 29.

والمسألة ليست في الزواج بمحصنة من أهل الكتاب، فذلك حلال بنص قرآني محكم، إنما المسألة في كتابة التاريخ كما هو، أو تصحيحه كما هو الحال، فشيخنا ﵁ لم يتزوَّج مسيحيَّةً فحسب، وكفى. فليتق الله الكاذبون أو فليدرسوا التاريخ من مظانِّه.

من أخلاقه ﵁:

قال صاحب جواهر المعاني: «قد أكمل الله تعالى لشيخنا أبي العباس ﵁ الشريعة، كما أكمل الله فيه الحقيقة، وسلك به بين صراطهما المستقيم، فشرب منهما لبنا خالصا سائغا، وورث منهما مقاما كاملا بالغا، وتمكن من الحالتين، ورقى درجة من الكمالين، جاريا على مقتضى الأمرين، وسائرا على منهجهما الأعدلين، متكافئ الطرفين، ومعتدل الوصلين، جبلا بين سهلين، وبرزخا بين بحرين، لا يذهب بحره ببره، ولا يبعد برُّهُ عن بحره تقوية من الله له، وتمكينا وتأييدا له وتحصينا، وقد مكنه الله من الاتِّباع غاية التمكين، وأنزله الله بالمنزل المكين.

فهو ﵁ في موافقة الشريعة، ومتابعة السنة آيةٌ، قد وصل في التحافظ عليهما الغاية، وقَّافٌ على حدود الله، حافظ لحدوده، واقفٌ على أوامره ونواهيه، لا أحد في ذلك يقاربه أو يضاهيه، قد حكم السنة في نفسه وعياله، وجعلها شعاره في جميع أفعاله وأحواله، أتقن رعاية رعيته في داره على ما كانت عليه زمن أسلافه، من حفظ أمر الدين وشعاره، فازدادت كمالا على كمال، وجمالا على جمال، حتى طارت بها كل مطار الأمثال، وأعوز سيرها كثير الرجال، وتخلق بالأخلاق الشرعية وجمع آدابها المرعية، فكان خلقه القرآن، كل ما يأمر الرحمن يرضى برضاه، ويسخط بسخطه في كل أموره، ويأمر بأمره، ويحذر بتحذره،

فحسنت له السير والشمائل، وعذبت فيه الشيم والفضائل. وطابق ظاهره سيرته وفعاله باطن خلقه وخلاله، وتحقق بالإرث من رسول الله، والتحق بالسابقين من أهل حزب الله»[1]

«فأما سيرته فنجده ﷺ شديد الحزم في الدين، عالي الهمة فيه، شديد الحرص على مهماته بعد القيام بواجباته، وقَّافًا على الحدود والأحكام غاية، حاثًّا للوقوف عليها، يقول كثيرا أفضل الأذكار ذكر الله عند أمر ربه ونهيه، حافظا لحقوق الله مراعيا لها، شديد التحرز والورع في الدين، كثير التحفظ فيه، والتحرز للأحوط، ما رأيت أشد حزما، ولا أعظم ورعا منه، كله حزم وعزم، لا يحب التأويلات، ولا يميل إلى ارتكاب الرخص، عارفا عالما مدرسا للعلوم كلها، والسيرة النبوية بأسرها، بصيرا بما زاد عليها وما نقص، يعانق الكمالات، ويسابق الغايات، ويسارع إلى الخيرات، يسمع القول فيتبع أحسنه، ويبادر للعمل به، ويغري على فعل المأمورات، ويحذر من الوقوع في المنهيات، ويعظم أمر الشرع العزيز، ويجلّ أمر النبي ﷺ، أن يخالف، وكثيرا ما يستشهد بقول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ٦٣﴾[2]، ويحث أن يفعل ما فعله النبي ﷺ وإن لم يكن فعله على سبيل الأمر لنا، يقول: ينبغي للإنسان إذا سمع شيئا من هذه الآداب النبوية، والمباحثات التي فعلها النبي ﷺ أن يفعلها بقصد الموافقة، ولو مرة واحدة، ويحافظ على السنة في محاولاته ومناوراته كلها، ويحب موافقتها في كل شيء، ولا يحب الخروج عنها في شيء من الأشياء ولو دعت إليه الضرورة، وكان لا بأس به، فيقول: الخير كله في اتِّباع السنة، والشر كله في

[1] – ج 1، صـ 35.

[2] – سورة النور، الآية 63.

مخلفاتها، ويحض على العمل بالعلم كثيرا، وخصوصا من يشتغل به، فعلى قدر رياح السفينة جرياتها، وعلى قدر طبخ الحديد إحكام الصنعة فيه وإتقانها ..... فما أكثر حفظه للدين، وأشد حبه إياه، وإتقانه له تبعا لسيد المرسلين، يحب عبادو ربه، ويعظم أوامره، ويعبد عبادة العارفين بكماله، الخاضعين لجلاله ..... عاملا على ترك الحظوظ واللحوظ، دالاً غيره على ذلك بحاله ومقاله أبدا، مؤديا الفرائض والسنن ويجيء على أحسن سنن، ولا يغفل ولا يتوانى، ويحافظ على إقامة الصلاة في أوقاتها، وأدائها في الجماعات أبدا، ويتقنها ركوعا وسجودا على أكمل وجه، وأتم وصف في سكينة وطمأنينة وأدب مع الله عز وجل .... وكثيرا ما يحض على إيقاع الصلوات في أوقاتها، وفي الجماعات، وعلى قيام الليل، لا سيما آخره، يحثُّ عليه أتم ترغيب، وينشط له ويقول: فيه تتنزل الرحمات وعواطف النفحات، وإن من أيقظه فيه فقد استدعاه إلى رحمته.

واستبحر ﷺ في جميع العلوم النقلية والرسمية، حتى صار ى يضاهى ولا يقاس بحره، ولا يتناهى، كما صار كذلك في علم الحقيقة على ما هنالك، فاستجمع بذلك شروط المشيخة والاقتداء على وجهها ..... ويذكر الله عز وجل في كل أحيانه لا تفارقه سبحته، ويقول: كل شيء حدّه الله إلا ذكره سبحانه فإنه قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[2].

ويحفظ جوارحه مما نهى الله عنه، فيعرض عن اللغو، وما لا يعي، ويصون عنه لسانه، ولا يسمع الباطل، لا يقدر أحد أن يذكره بمحضره، وإن نطق أحد

[1] – سورة الأحزاب، الآية 41.

[2] – سورة آل عمران، الآية 191.

بمنهي رده للصواب لا محالة كائنا من كان، لا يتساهل في ذلك، يحذر الغيبة غاية التحذير، وينفِّر عنها كل التنفير ..... ويتحرى الصدق ﷺ في حديثه .... ويسره من صادقه في حديثه، ويسوءه من يكذب عليه .... ويحظى عنده صدوق اللسان غاية الحظوة .... ويغض طرفه ﷺ، فلا تراه ذاهبا في الطريق إلا ناظرا موضع ممره، لا يلتفت.

يصل رحمه الديني والطيني .... وما أكثر أن يعظ في شأن الوالدين، ويؤكد على حقوقهما، ويحذر من عقوقهما، ويقول: من لم يبرهما لا يتيسر له سلوك هذه الطريق، فمن صدر منه عقوق بعد أن دخل فيها قطعه ذلك عنها، ثم لا يقدر له أحد بشيء.

أما رحمه الديني فإنه من أعظم الناس مواصلة له، وأكثرهم برا وإحسانا لأحل جنابه، يواسي إخوانه وأصحابه، وكل من له معرفة في الله بأنواع المواساة، ويحسن إليهم، فيطعم جائعهم، ويشمل ضائعهم، ويكسو عاريهم، ويرفد فقراءهم، ويعين ضعيفهم، إذ هو ﷺ أشد اهتماما بأهل الأخوة الدينية، يتألم لمصابهم أكثر مما يتألم لذوي نسبه ورحمه، أعظك الناس عنده قربا أكثرهم في الله حبا، فيقرِّبُ الإنسان عنده من ذلك، ولو كان من أبعد الأجانب، ويبعد عنه البعيد، ولو كان من أقرب الأقارب .... ويقول: من ابتلي بتضييع حقوق الإخوان ابتلاه الله بتضييع الحقوق الإلهية ... ولا يحب الامتياز بثوب حسن ولا قبيح، ولا يرتكب في داره أمرا لم ترد به السنة ... إذا حكى شيئا صدر عنه من محاسن الأعمال، أو أشار إلى بعض ما له من سَنِيِّي الأحوال لغرض من الأغراض أسنده إلى مجهول، فيقول: وقع لبعض الناس ولرجل كذا وكذا، ولا يسمي نفسه ... لا يحب من

ينسب إليه شيئا، ولا من يمدحه بمحضره ... لأن الدعوى أشد بلاء من البلوى، وكثيرا ما نراه يستعيذ بالله منها، ويقول: إن عقوبتها الموت على سوء الخاتمة.

ويحب آل البيت النبوي المحبة العظيمة ... ويضرع إلى الله فيما يصلحهم، ويكرمهم غاية الإكرام، ويبر بهم أشد البر، ويتواضع لهم أشد التواضع، ويتأدب معهم أحسن الأدب، .... ويقول: الشرفاء أولى الناس بالإرث من رسول الله ﷺ، ويحض الناس على محبتهم وتوقيرهم ... ويرى أن التواني في أمورهم ومحبتهم نقصٌ في الإيمان.

وقد جمع الله فيه الذكاء والفطنة والشجاعة والنجدة والحنان والشفقة والرأفة والرحمة والصبر والاحتمال والتواضع والأدب، وعلو الهمة التي هي العفاف والصيانة والوفاء والفتوة التي هي الكرم والسخاء والحلم والأناة والعفة والإيثار والسعي في حوائج الأبرار...

فمن أدبه الظاهر مواظبته على ما ورد في السنة من الآداب الشرعية المتعلقة بأحوال الإنسان ومحافظته عليها بقدر الطاقة والإمكان في قيامه وقعوده واضطجاعه ومشيه وجلوسه. ولله در القائل:

إذا نطقت جادت بكل مليحة وإن سكتت جاءت بكل مليح[1]»

هذه نبذة يسيرة عن شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه وعجالة وجيزة عن أخلاقه المحمدية النبيلة، راجعها في الجواهر واقتد به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[2]. والله الموافق إلى الصواب.

[1] – جواهر المعاني جـ 1 صـ 36 – 39.

[2] – سورة الأنعام 90.

المبحث الثالث

ما السنة؟

فلنعد إلى تعريف السنة، كما وعدنا، ولنقل بأن العلماء اتفقوا على أنها: «أقوال رسول الله ﷺ، وأفعاله وتقريراته» وقد أضاف بعضهم إليها «وصفاته الخِلْقيَّة والخُلُقيَّة».

ولم يقل أحد (وما لم يفعله)، لأن عدم الفعل في مجال (العفو) وهو من السعة بحيث لا يحيط به غير الله المحيط، فلا يمكن أن يتخذ قاعدة للتحريم. كما أن أحدا – قبل ابن تيمية – لم يقل: (وما ترك) لأن مجرد الترك إذا لم يصحبه ما يدل على المنع فليس بحجة في المنع.

وعليه، فإنَّ أغنيةَ المبدِّعين (هذه بدعة، لأن رسول الله ﷺ لم يفعله) ضربٌ من الجهل بالسنة رهيبٌ، أو تنطعٌ على الشريعة غريبٌ.

نعم، قد شذَّ الشيخ ابن تيمية – كعادته – واختلق ما يسميه بـ(سنة الترك) فقال في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) تحت عنوان (ما أحدث من البدع لتفريط الناس): «فإن كل ما يبديه المحدث لهذا من المصلحة، أو يستدل به من الأدلة، فقد كان ثابتا على عهد رسول الله ﷺ، ومع هذا لم يفعله رسول الله ﷺ، فهذا الترك سنة خاصة مقدمة على قياس، وكل عموم».

هذه المغامرة الاستعراضية لا يحتاج إليها لا العلم ولا الدين ولا العقل، لذلك تعقبها العلماء منذ صدورها، ودَحَضُوهَا بحجج دامغة أقربها إلينا الأستاذ حامد إدريس في كتابه (إعلام النبيل بأن الترك ليس بدليل) الذي أشرفت عليه دائرة الأوقاف والشئون الإسلامية بـ(دُبَي)، قسم البحوث.

وخلاصة ما هنالك هو التفريق الواضح بين الترك وعدم الفعل، لأن هذا الأخير نوع فعل، وإن كان سلبيا، لذلك بوَّب الإمام البخاري رحمه الله تركه ﷺ التختم بالذهب بـ(باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ) ولم يقل (باب الاقتداء بترك النبي).

أما عدم الفعل فهو العدم المحض أو العفو، أي أنه باقٍ على أصل الإباحة، لا يتعلق به منه أبدًا.

فعن ابن عباس ﷺ فيما أخرجه أبو داود بإسناد صحيح. قال: (بعث الله نبيه، وأنزل كتابه، وأحلَّ حلاله، وحرّم حرامه، فما أحلَّ فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو).

ويقول الشيخ محمود حامد إدريس: «إذا كان الترك حجة، فالنهي لغو، وهو ﷺ منزَّهٌ عن اللغو، فإذا كان عدم صلاته صلى الله عليه وآله وسلم بعد صلاة الصبح دليلا على المنع من الصلاة في هذا الوقت حتى تطلع الشمس، فما الداعي لنهيه عن الصلاة فيه، طالما أن تركه يفيد النهي»[1].

وكان الصحابة يفعلون ما لم يأمرهم به رسول الله ﷺ، لكنه لم ينههم عنه، والأمثلة في ذلك لا تعد ولا تحصى، ومنها على سبيل المثال:

أولا: في العصر النبوي:

1 – (بعث رسول الله ﷺ رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ«قل هو الله أحد» فلما رجعوا، ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله

[1] – إعلام النبيل بأن الترك ليس بدليل، صـ 54 – 59.

وسلم، فقال: سلوه، لأيِّ شيءٍ يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها الرحمن، فأنا أحب أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله يحبه) رواه مسلم.

وهنا لم يقر رسول الله ﷺ أمر هذه القراءة حتى سأل عن أمر خفيٍّ، وهو النية والقصد من صنع ذلك الرجل، وبعد أن علم قصده شكر صنيعه.

2 – روى البخاريُّ عن رفاعة بن رافع الزرقي قال: كنا نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة، قال: «سمع الله لمن حمده» قال رجل وراء: «ربنا ولك الحمد حمدا طيبا مباركا فيه» فلما انصرف قال: «من المتكلم؟» قال: أنا، قال: «رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها، أيهم يكتبها أولُ».

انظر إلى هذا الصحابي الذي – في الصلاة خلف رسول الأمة – لم يقل: إن الرسول ﷺ لم يفعل أو لم يقل هذا الذي أفعله أو أقوله داخل هذه الصلاة التي أصليها خلفه.

3 – قصة الصحابي الذي رقى زعيم حيٍّ من أحياء العرب لدغته حية، فاستجعلهم[1]، فقبلوا، فرقى، فكان «كأنه نشط من عقال»، ولما ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ لم يقل إلا: «وما يدريك أنها رقية؟» ثم قال: «قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم سهما» ثم ضحك[2].

4 – عن جابر أن رسول الله ﷺ، قال: «أريت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة، ثم سمعت خشخشة، فإذا بلال»[3] وفي رواية أخرى: «دخلت الجنة فسمعت خشخشة أمامي، فقلت من هذا؟ قال: أنا بلال. قلت بم سبقتني إلى

[1] – **استجعلهم**: جعل لهم جُعْلاً أي ما يكافئ الرقية.

[2] – فتح الباري 123/13 كتاب الطب، باب النفث في الرقية رقم 5749. ومسلم باب رقية اللديغ رقم 1449.

[3] – زيادة الجامع الصغير، والدرر المنتشرة للإمام السيوطي، وفتح الباري 344/3 حرف الهمزة رقم 722.

الجنة؟ قال: ما أحدثت إلا توضأت، وما توضأت إلا أن لله ركعتين قال: بها»[1] فسيدنا بلال ﷺ قد أحدث ركعتين يصليهما حتى استحق بهما دخول الجنة ورسول الله لا يعرف، واستمر يفعل ذلك إلى أن يشعر النبي ﷺ به. فأين الترك، وأين عدم فعله ﷺ، أو وجوب العرض عليه بما أحدث في عصره؟

5 – إذا تمسك المبدِّعون بتقريره ﷺ لما مهما طال، وحينئذ سنقول لهم: ما رأيكم في الركعتين اللتين صلاهما سيدنا خبيب بن عدي عند ما أسره كفار قريش، وبلَّغوه أنهم قاتلوه لا محالة، فطلب إليهم أن يسمحوا بصلاة ركعتين ففعلوا، وصلى ركعتين وهو يعلم أنه لن يقابل رسول الله ﷺ حتى يعرض عليه عمله هذا الذي أصبح سنة لكل من يُقتل صبرًا[2].

والحق الذي لا محيد عنه هنا هو: أن سيدنا بلالا وسيدنا خبيبا رضي الله عنهما كانا يعرفان يقينا أن صلاة ركعتين لله في وقت جوازهما – وإن لم يأمر بهما الرسول – جزء من الإسلام مقبول لا يكون ردًّا أبدا، كما يحاول الْمُتَنَطِّعُونَ أن يفهموا من «مَنْ أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ[3]».

ألم يتبيَّن – أخي القارئ – أنَّ الصَّحَابَةَ كانوا يُحْدثون في الدين – والوحي ينزل – أمورا يعرضون بعضها على رسول الله ﷺ دون بعضها، بل أن خبيبا ﷺ سَنَّ ركعتين لله وهو على شفا قتل أكيد لا يرى نبيه بعده إلا في الجنة؟. نسأل الله الفهم الصحيح.

[1] – رواه الطبراني والروياني، وأبين عساكر عن أبي أمامة، والهندي في كنز العمال رقم 331.

[2] – انظر الحديث رقم 2697 ومسلم برقم 1718.

[3] – رواه البخاريُّ برقم 2697 ومسلم 1718.

ثانيا: في عهد الصحابة

1 – أحدث سيدنا أبو بكر ﵁ محاربة الذين امتنعوا عن دفع الزكاة مع صحة عدم مقاتلة أهل لا إله إلا الله. والقصة صحيحة معروفة مشهورة.

2 – جمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ الصحابة في صلاة الترويح بعشرين ركعة أمَّهم فيها أبيّ بن كعب ﵁ جميعا، قال بعدها الخليفة «نعمت البدعة هذه». فكيف يقول اليوم بعض المتعالين، إن عمر قال ذلك ولكنه ليس ببدعة؟ أهم أعلم بالسنة والبدعة من سيدنا عمر ومن جميع الصحابة الذين حضروا تلك التراويح؟ ألا يكذِّبون خليفة رسول الله بقولهم هذا؟

ولم يؤثر عن أحد من الصحابة الكرام أي إنكار، وكان بينهم العلماء أمثال ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر، وعلي ابن أبي طالب، وهم أعلم الناس بشرع الله تعالى بعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

3 – جمع القرآن الكريم في مصحف وتوزيعه على الأمصار، وكان الرسول ﷺ لم يفعله، أو على الأقل تركه.

4 – زيادة الخليفة عثمان بن عفان ﵁ النداء الثالث على الزوراء يوم الجمعة، لما كثر الناس، بعد أن كان النداء إذا جلس الإمام على المنبر في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. انظره في البخاري وابن ماجه، والترمذي عن السائب بن يزيد رحمهم الله جميعا.

5 – إحداث الخليفة علي ابن أبي طالب في خلافته صلاة العيد بالجامع حين قال: إن بالبلد ضعفاء، لا يستطيعون الخروج إلى المصلى، فاستخلف عليهم رجلا يصلي بهم في المسجد. وكانت السنة على عهد رسول الله ﷺ، والخلفاء

الثلاثة بعده أنه لا يصلَّى في المصر إلا جمعة واحدة، ولا يصلَّى يوم النحر والفطر إلا عيد واحد.

ومن الغرابة بمكان أن ابن تيمية نفسه أورد هذا في منهاج سنته 240/2

6 – أخرج أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ في التشهد: «التحيات لله، الصلوات، الطيبات: .... السلام عليك أيها ورحمة الله. قال ابن عمر: زدت فيها (وبركاته) .... (أشهد أن لا إله إلا الله) قال ابن عمر: زدت فيها (وحده لا شريك له) وأشهد أن محمد عبده ورسوله»[1].

تنبيه: ألم تر إلى هذه الصراحة من هذا الصحابي الجليل (زدت فيها) مرتين في التشهد في الصلاة؟ فهل كان أن ما تركه رسول الله ﷺ: أو ما يفعله بدعة؟ وهل أنكره عليه الصحابة؟ وما رأي العلماء في هذه الزيادة؟ نعوذ بالله من الغرور والتعالم.

ثالثا: في عهد التابعين:

أخطر ما في العهد، والمتعلق بموضوعنا اليوم:

1 – تنقيط ألفاظ القرآن الكريم، ثم تشكيله بأمر من السفاح الحجاج بن يوسف وقد شكر المسلمون جميعا له صنيعه، واستعملوه دون تحفظ في كل الأصقاع والأزمان حتى اليوم، ولا نعلم أن ابن تيمية وأذياله – هدانا الله وإياهم – تركوا استعمال المصاحف المنقوطة الكلمات، والمشكلة لأن رسول الله ﷺ لم يستعملها، أو لم يفعلها، أو أنه ترك جمع القرآن بله تنقيط كلماته، وتشكيل ألفاظه.

[1] – بذل المجهودات 293/5.

وكان منطقهم التبديعي يقتضي نبذ كل هذه المصاحف المطبوعة، والعودة إلى عسف النخل، والعظام التي كتب عليها القرآن، أو إلى الرسم العثماني على الأقل. ذلك بأن المصاحف التي بين أيدينا في أشكال وصور ما عرفها رسول الله ﷺ ولا صحابته رضوان الله تعالى عنهم أجمعين.[1]

2 – كان عمر بن عبد العزيز يقدم خطبتي العيد على الصلاة، لأن الناس كانوا ينفضون قبل سماع الخطبة، وكان النبي ﷺ وخلفاؤه الأربعة يقدمون الصلاة على الخطبة. وقد روى عن معاوية وابن الزبير رضي الله عنهما مثل ما فعل عمر بن عبد العزيز في الخطبة. راجع سير أعلام النبلاء 145/5، والمجموع شرح المهذب 14/5.

رابعا: عند ابن تيمية

استمر المسلمون يتعاملون مع السنة النبوية الشريفة لا يرون بأسا في فعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ لم يعارض نصا صحيحا صريحا. حتى جاء ابن تيمية وشذ. وفارق الجماعة، لكنه لم يسلم – كعادته – من التناقض مع نفسه، ومع النصوص الواضحة. اقرأ ما قاله في فتاويه 105/28: (وإذا كانت حاجة الناس لا تندفع إلا بالتسعير العادل سعّر عليهم تسعير عدل لا وكس ولا شطط).

فهو هنا يقول بصراحة بالتسعير على الناس، ويبرره باندفاع حاجة الناس به، مع أن رسول الله ﷺ منع التسعير مع وجود مقتضاه في زمنه.

[1] – حاول الشيخ ابن تيمية أن يبرر جمع القرآن قائلا: إن المانع من جمعه على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان نزول الوحي؛ فلما استقر القرآن بموته صلى الله عليه وسلم أمن الناس من زيادة القرآن ونقصه. انظر كتابه اقتضاء الصراط المستقيم 133 – 135.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: (قال الناس: يا رسول الله ﷺ، غلا السعر فسعِّر لنا. فقال رسول الله ﷺ: إن الله هو المسعِّر القابض الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس لأحد منكم أن يطالبني بمظلمة في دم أو مال) رواه أبو داود في كتابه البيوع، باب في التسعير. وابن ماجه 741/2. وابن تيمية نفسه في فتاويه 105/28.

أترى أن رسول الله ﷺ سعَّر يوما؟ ألم يتركه مع وجود المقتضى (غلاء السعر)؟ أليس قوله بالتسعير إحداثا في الدين؟ ألا يخالف بذلك نصا صريحا في المنع. وذلك أوغل في الإحداث من التحرك في منطقة العفو، أو البراءة الأصلية. إنه التناقض، لكنه العمى الفكريّ الحاد، وإلا، فكيف يسمح لنفسه بمخالفة النصوص الصريحة لمصلحة يراها، أو يتخللها، ولا يسمح لغيره بها. نسأل الله السلامة.

ومن الملاحظ أن البدعة لم تكن واضحة في مخيّل ابن تيمية فوقع في تناقضات غريبة، اقرأ ما يلي وقل بعد ذلك ماذا فهمت:

1 – يقول: (البدعة إذا لم تكن واجبة أو مستحبة فهي مذمومة باتفاق جميع المسلمين). الفتاوى 161/1.

2 – يقول: (وما خالف النصوص فهو بدعة باتفاق المسلمين، وما لا يعلم أنه خالفها فقد لا يسمى بدعة). الفتاوى 173/20.

3 – يقول: (فكل أمر يقتضي لفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم موجودا لو كان مصلحة ولم يفعله يعلم أنه ليس بمصلحة) الفتاوى 105/28.

أضف إلى هذا ما قاله في التسعير للناس أعلاه وبين رأيك بإنصاف وشكرا.

خامسا: بعد ابن تيمية

أحدث المبدِّعون بعد زعيمهم هذا بدعا حسنة في الإسلام من أمثلتها الصارخة:

1 – صلاة التهجد جماعة في العشر الأواخر من كل شهر رمضان في الحرمين الشريفين، وفي كل مسجد خاضع لسيطرتهم، أو يسمح لهم فيه بإقامتها. ويعلمون مثلنا أن رسول الله ﷺ لم يفعلها، ولا أحد من صحابته أو التابعين، أو تابعيهم، فما مصدرهم؟

2 – اجتماعهم في الحرم المدني في اليوم السابع والعشرين من كل رمضان لختم القرآن. فما الدليل؟ فأين الترك؟ وأين عدم فعله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

3 – إلقاء خطبة الجمعة بلغة غير عربية.

فأين المسجد الذي خطب فيه رسول الله ﷺ بلغة غير عربية؟ قد يقولون إنه لم يكن يتقن غير العربية فنقول: وماذا عن صحابته الذين كانوا يتقنون الفارسية والرومية والحبشيات؟

ومن المعلوم فقهيا واجتماعيا وأدبيا قيمة خطبة الجمعة فكيف يؤدونها بكيفية ما عرفها نبي الأمة ولا صحابته ولا تابعوهم.

صحيح أن إفهام الخطيب للمصلين ما يقوله مصلحةً متحققةً لذلك لا نلوم نحن الذين يرون أنه بدعة حسنة، أما أصحاب (كل بدعة ضلالة) فلا نرى

لهم حجة ولا نعتقد أنهم يرونها لأنفسهم، لكنهم ماضون مغمضي الأعين والعقول في بحر عميق من الضلال مما يعني أنهم لا يفقهون.

وفي مقابل تلك البدع «الحسنة» التي ابتدعتها الوهابية عمدا أو خطأ توجد لهم بدع أخرى سيئة، اخترعوها من انحرافاتهم السلوكية المضطربة التي توجهها الأهواء والشهوات، ولا يحدُّها دين أو ضمير نذكر منها:

1 – تقسيم التوحيد إلى توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

فأين الآية أو الحديث التي تنص على هذا التقسيم الذي يهدف منه افتعال سبل لتكفير المسلمين بدعوى كونهم يوحدون الله توحيد الربوبية ولا يوحدون توحيد الألوهية وذلك شأن المشركين. كما يزعمون ومن خطأ هذا التقسيم أن الذين قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[1]، يسبون الله إذا سب مؤمن آلهتهم، ويحكي القرآن عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا ٦٠﴾[2].

ويقول د/صلاح الصاوي: (وليست هناك فاصلة حدود بين ما يدخل في توحيد الربوبية، وبين ما يدخل في توحيد الألوهية، وبين ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات، بل إن هذا التقسيم ابتداء على هذا النحو لم يرد به – فيما نعلم – آية محكمة، أو سنة متبعة)[3].

[1] – سورة الزمر، الآية 3.

[2] – سورة الفرقان، الآية 60.

[3] – الثوابت والمتغيرات صـ 54.

وقد ألف الأستاذ حسن بن السقاف كتابا قيما في تبديع هذا التقسيم سماه: التنديد بمن عدد التوحيد[1].

2 – ابتدع ابن تيمية – عفا الله عنه – القول بقدم العالم النوعي ففرق بين «حدوث الشيء المعين، وحدوث الحوادث شيئا بعد شيء» على حد تعبيره، وهذا مما لا يعرفه الإسلام، ولا يعترف به. إنه تأثير فلسفي سلبي يعارض الكتاب والسنة.

3 – زواج المسيار:

وهو أن يتزوج رجل امرأة بعقد يستوفي الشروط المشروعة، ولكن في نيته المسبقة أن يطلقها بعدُ، من غير أن تدري هي بذلك.

وقد نشرت فتوى جواز هذا الزواج، وعلى قلم شيخهم ابن باز في باب (واسألوا أهل الذكر) في المجلة العربية/الرياض عدد 232 جمادى الأولى 1417هـ.

وأنت يا أخي ترى معي أن هذا الزواج غش للمرأة الحالمة بالبيت الهانئ المستقر، وأنه تشويه لصورة الزواج الشرعي الذي هو رباط قدسي، والرجل فيه تيس مستعار، يتزوج امرأة زواجا مؤقتا وهو تسمية نبوية لهذا الزواج، كما أنه تحايل على ما حرم الله.

ويا لَيْتَهُمْ يقولون لنا ما الفرق بين هذا الزواج، وبين نكاح المتعة الذي يُكفِّرون به الشيعة، فالمسيار هذا اسم جديد لنكاح المتعة، لا أقل ولا أكثر. فهل يعتقدون أن تغيير الأسماء يحلِّلُ الحرام؟ قد يكون ذلك، فقد فوجئ أحد أصحاب العمائم الفضفاضة، واللحى الطويلة الكثيفة يشرب محرما، وقيل له: أتشرب الخمر

[1] – يمكن مراجعة كتابنا: كتاب التقديس بين التلبيس والتدليس والتدنيس صـ 16 – 17.

يا هذا! فأجاب – في غير استحياء – أبدا، هذا (ويسكي) لم يذكره القرآن ولا السنة !!!

أعتقد الآن – أخي العزيز – أن غيوم التمويهات والتضليلات قد انقشعت عن عينيك، وأن خيوط العنكبوت التي نسجت بها ستائر التجهيل المتعصب المتعمّد قد تبددت وانزاحت كليا. وأن أغنية (متروكات النبي صلى الله عليه وسلم وما لم يفعله) بارت سوق تجارتها وكسدت.

ولا شك أنك قد فهمت من العرض السابق أن ما كنا نسميه الإحداث هو البدعة، لكننا نتناولها من زاوية تداولاتهم ليكون أوضح إن شاء الله تعالى.

البدعة، ما هي؟

لعل معنى الكلمة لغويا لا يهمنا اليوم. وفي اصطلاح العلماء توجد تعاريف متعددة نختار منها، من كتاب (البدعة الحسنة من أصول التشريع) لمؤلفه د/عيسى بن عبد الله الحميري صـ 27 – 42 ما يلي:

1 – «البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم» الإمام الشافعي[1]، واحتج بقول عمر بن الخطاب في قيام رمضان «نعمت البدعة هذه».

2 – «البدعة في الدين كل ما لم يأت في القرآن، ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنَّ منها ما يؤجر عليه صاحبه، ويعذر بما قصد إليه من خير، ومنها ما يؤجر عليه، ويكون حسنا ..... ومنها ما يكون مذموما، ولا يعذر

[1] – وانظر كذلك حلية الأولياء لأبي نعيم 113/9، ومذهب الشافعي للبيهقي 468/1.

صاحبه، وهو ما قامت الحجة على فساده فتمادى القائل به» الحافظ ابن حزم رحمه الله.

3 – «البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول ﷺ، وهي منقسمة إلى: بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة. والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة» الإمام العز بن عبد السلام رحمه الله.

4 – «البدعة بدعتان: بدعة هدى وبدعة ضلال .... فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه، وحض عليه أو رسوله فهو في حيز المدح» الإمام الأثير رحمه الله.

فأنت – أخي العزيز – ترى أن هؤلاء السادة الكرام العلماء المنصفون المحققون أتوا بتعاريف جامعة مانعة تنمُّ عن فهم ثاقب، وتبحُّرٍ محيط بالسنة ومقاصد الشرع. وغير هذا التقسيم لا يقبله لا عقل ولا دين، وصاحبه سيَلُفُّ ويَدُورُ ليبرر ما لا يمكن تبريره من تَنَاقُضَاتٍ وتَدَافُعَاتٍ غريبة تتعارض وسماحة الإسلام.

فلنر الآن ماذا قال الشيخ الحراني:

تعريف ابن تيمية:

أولا: قال في مجموع الفتاوى 161/1: (البدعة إذا لم تكن واجبة أو مستحبة فهي مذمومة باتفاق جميع المسلمين).

ثانيا: قال في مجموع الفتاوى نفسه جـ20 ص 163: (وما خالف النصوص فهو بدعة باتفاق المسلمين، وما لا يعلم أنه خالفها فقد لا يسمى بدعة).

وعند ما ندرس مجموع التعريفين، أو كلاًّ منهما على حدة، لا نكاد ندري ماذا يريد أن يثبت بالضبط، إذ نجد الفقرة الأولى من تعريفه الثاني (وما خالف النصوص فهو بدعة) واضحة للغاية، تبدو الفقرةُ الأخيرةُ مُنْبَهِمَةً جدا، (وما يعلم أنه خالفها، فقد لا يُسمَّى بدعة) فما القيمة الشرعية لقوله (فقد لا) هنا؟ إنه كان يهرب من تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، أو إلى بدعة هدى وبدعة ضلالة، لأن العلماء سبقوه إليه، وهو لا بد أن يخالفهم، فارتمى في أحضان التناقض والاضطراب. ويظهر لك ذلك بشكل أجلى في تعريفه الأول، حيث قلل – وقد أنطقه الحق – بوجود بدعة واجبة، وأخرى مستحبة، وثالثة مذمومة. ولم يقل من سبقوه غير هذا.

هل هناك بدعة حسنة؟

قد يستغرب القارئ هذا السؤال بعد كل التوضيح السابق، ولكنا طرحناه، لأن بعض التيميين، والمتوهبين بصفة عامة ينكرون وجود بدعة حسنة في حين أن شيخهم الذي يسبحون بحمده بكرة وأصيلا يرى أن هناك بدعة واجبة، والوجوب – في منطق الأسوياء – أعلى من الحسن. فإن هم صدقوا فقد كذب شيخهم، وإن صدق شيخهم فقد كذبوا، ألا إنهم هم الكاذبون. أفلا يعقلون؟

وكيف لا تكون هناك سنة حسنة، ورسول الله ﷺ قال صراحة: (ومن سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجرها من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن

سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) رواه مسلم وأحمد، وابن ماجه، والترمذي.

وقد أورده المنذري في مختصر مسلم في كتاب العلم، باب من سنَّ سنة حسنة أو سيئة في الإسلام، وبُوِّبَ في تحفة الأحوذي، في أبواب العلم، باب في مَنْ دعا إلى هدى فاتبع، أو إلى ضلالة صـ 364 رقم 2813.

تأمل جيدا كيف فسَّر هذا المحدِّث (حسنة) بهدى، و(سيئة) بضلالة. أما ما يحاوله المتخصصون في لَيِّ أعناق النصوص الشرعية بتفسير كلمة (سن) بأَحْيَى، فهو ضرب من الوهن الإيماني، لأن اللغة العربية لا تقبل هذا التفسير الموجه، والدين أيضا لا يرضى به، لأن كل منْ يمضي على هذا الزيغ اللغوي ينتهي إلى كفرٍ بواحٍ لا محالة، إذ فسَّر بأحيى (منْ سنَّ سنة سيئة)، لذلك تجدهم يقتصرون في تضليلهم السذج، وأرباع المتعلمين بأن قوله (مَنْ سنَّ حسنة) يعني (منْ أَحْيَى)، وقد فطنوا لخطورة ما فعلوا فأبعدوا الجزء الثاني من الحديث عمدا.

أليس هذا من تحريف الكلم عن مواضعه؟ اللهم بلى. ألا يستحق مرتكبوه بما أُوعد به اليهود؟ بلى، وألف بلى.

والله يعلم أننا لما رأينا تفسيرهم الغريب هذا لكلمة (سنَّ) استشرنا المعاجم اللغوية، فلم نشمَّ رائحة لهذا الشذوذ، بل النشوز اللغوي الخطير.

ومعنى هذا اللفظ في العربية هو: خطَّ، واختطَّ أي وضع خطة. وابتدأ، ووضع، وسرَّ، يستوي في ذلك (سنَّ) و(استنَّ). يقول ابن منظور في لسان العرب تحت مادة (سنن): والسنة: السيرة حسنة كانت أو قبيحة .... وسننتها سنا، واستننتها: سرَّتها، وسننت لكم فاتبعوها. وفي الحديث من سن سنة سيئة يريد

عملها ليقتدى به فيها، وكل من ابتدأ أمرا عمل به قوم بعده قيل: هو الذي سنّه).

وهذا المعنى اللغوي الصافي هو المفهوم من قوله ﷺ: (لا تُقتل نفس ظلما إلا وكان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سنَّ القتل) رواه الشيخان.

فهل – يا ترى – يقول أحد: إنَّ (سنَّ) هنا بمعنى (أحيى) فليتق الله المنحرفون وراء نفوسهم الأمارة بالسوء حتى في سنة رسول الله ﷺ.

وماذا عن «كل بدعة ضلالة»؟

هذه هي الجملة التي يخوِّف بها الوهابية العالمية كل المسلمين الذين يخالفونهم الرأي، وقد رأيت أنهم لم ينجوا من البدع عند ما يكون الإحداث في مصلحتهم، أو يقوم به أحد معبوديهم. ونحن إن شاء الله نتناول دراستها من نواح ثلاث:

1 – **الناحية التاريخية التشريعية** التي رأينا فيها أن الصحابة رضي الله عنهم أحدثوا أمورا في الإسلام ليست ضلالة، سواء في عهده، أو فيما بعده، وكذلك التابعون وتابعوهم، وهم خير من ابن تيمية وأمثاله بشهادة من لا ينطق عن الهوى، حيث نص على خيرية القرون الثلاثة الأولى.

وشواهدنا مُسْتَفَاةٌ من خير من كانوا في تلك القرون الخيرية: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وبلال بن رباح، وخبيب بن عدي وغيرهم كثير رضي الله عنهم، وكذلك عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين.

ويدخل في هذه الناحية الصحاح والسنن والمسانيد في الحديث، إذ أن هذه المصطلحات أو الأسماء لم تكن معروفة لدى النبي أو الصحابة.

2 – الناحية:

يقول العلماء إن هذا الحديث، أو هذا الجزء من حديث عام مخصوص بحديث آخر صحيح (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) رواه البخاري برقم 2697 ومسلم 1718 غير أن مفهوم المخالفة لهذا الحديث هو: (من سنَّ في الإسلام سنة حسنة ..... الخ.) السالف الذكر، والذي رواه مسلم.

قال الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم 423/3 (وكل بدعة ضلالة) هذا عام مخصوص ... ولا يمنع من كون الحديث عاما مخصوصا قوله (كل بدعة) مؤكدا بـ(كل) بل يدخله التخصيص مع ذلك، كقوله تعالى:﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]. ولقوله ﷺ: (كل بدعة ضلالة) نظراء في كونه عاما مخصوصا. قد قال رسول الله ﷺ: (كل عين زانية)[2] أي كل عين تنظر إلى امرأة بشهوة فهي زانية، لا كل العيون[3]. وإلا لدخل فيها الأنبياء المعصومون، وحاشاهم.

3 – الناحية اللغوية:

وردت في سورة الأحقاف، الآية 24-25: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ،تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فهل يدَّعي من به مسكة من العقل أن الريح التي أرسلت إلى قوم عاد دمَّرت كل أخضر ويابس على البسيطة؟ علما أن (كل) هنا مضاف إلى نكرة

[1] – سورة الأحقاف، الآية 25.

[2] – أخرجه أحمد 394/4، وأبو داود 4173، والترمذي 2786، والنسائي 153/8، وقال الترمذي، حسن صحيح.

[3] – التيسير بشرح الجامع الصغير للمنذري 216/2، وانظر السنة الحسنة مصدر سابق 56.

كما هو هناك في (كل بدعة ضلالة). فكيف يُستثنى هنا، ولا يُسْتَثْنى هناك. إنه هوى النفس، أو الغباوة، أو كلاهما معا لا غير.

ومثلها قوله تعالى في بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[1]، مع أنها لم تُوتَ جن سليمان، ولا ريحه التي كان غدوها شهرا، ورواحها شهرا.

فكلمة (كل) في الآيتين لا تعني أكثر من (كثيرا)، فريح قوم عاد دمرت كثيرا من مظاهر الحياة هناك، كما أن بلقيس كانت تملك كثيرا من الأشياء والأمور المتعددة العجيبة أو الغريبة.

فلا حجة – إذًا – لأحد في التمسك بـ(كل بدعة ضلالة) إلا من يجهل اللغة العربية وقواعدها، وأصول الفقه، والمنطق، وإلا مبتلى باتباع هوة، أو متعصب حقود، أو مقلد تقليدًا أعمى يردد كل ما سمع كترداد الأشرطة لما سجل فيها. أعاذنا الله من هؤلاء جميعا.

وأرجو أن الله سينور بصيرة بعض هؤلاء إذا طالعوا هذا التوضيح الذي قمنا به هنا بفضله ومنِّه، إنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[2].

[1] – سورة النمل، الآية 23

[2] – سورة الأعراف، الآية 54.

الفصل الثاني: الطريقة التجانية

المبحث الأول: الأسس والأهداف والأوراد والشروط

المبحث الثاني: الأوراد التجانية ومشروعيتها

المبحث الثالث: شروط الطريقة التجانية

الفصل الثاني:

المبحث الأول:

الطريقة التجانية:

أسسها – أهدافها – أورادها – شروطها؟

أسس الطريقة التجانية:

لهذه الطريقة الغراء أسسٌ يمكنك رجعُ كل ما يزاوله التجانيون إليها بسهولة ويسر، وإلا فهو دخيل يُرْفض وإن نُسب إلى الشيخ كائنا من نسبه إليه.

قال الشيخ عبد الله بن أحمد دام البوحَسْنِي الشاذلي طريقةً في حق شيخنا التجاني ﵁:

إن يأت منتسبٌ ينمى إليه بما يخالف الشرع عقَّ الوالدَ الوَلَدُ

الأول: إقامة الكتاب والسنة اعتقادا، ومعاملة، على الوجه الأكمل، ولكن على الشكل الأحوط.

الثاني: التزام أعمال الطريقة اللزومية كالوردين الصباحي والمسائي، والوظيفة اليومية، والهيللة الجُمُعيَّة. وهي أذكار شرعية أصولها قائمة في الكتاب والسنة، ولها نظائر بهما، كما سنرى في الأوراد إن شاء الله، والالتزام بها من باب ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾[1].

الثالث: ممارسة الأذكار الاختيارية وغيرها من الأعمال الخيرية، وهي من باب التقرب إلى الله – بعد القيام بما افترضه علينا – بالنوافل، تطبيقا لحديث المحبوبية الصحيح الشهير، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله

[1] – سورة الإنسان، الآية 7.

قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته» رواه البخاري تحت رقم 6137.

وتحت هذا تندرج:

القاعدة التجانية العامة:

لا حكم إلا لله ورسوله، وكل قول لا سند له في القرآن والحديث فباطل، قال شيخنا التجاني رضي الله عنه في جواهر المعاني[1]:

«ولنا قاعدة واحدة عنها تُنْبِئُ جميع الأصول أنه لا حكم إلا لله ورسوله، ولا عبرة في الحكم إلا بقول الله ورسوله ﷺ، وأن أقاويل العلماء كلها باطلة إلا ما كان مستندًا لقول الله وقول رسوله ﷺ وكل قول لعالم لا مستند له من القرآن، ولا من قول رسول الله ﷺ فهو باطل، وكل قولة لعالم جاءت مخالفة لصريح القرآن المحكم، ولصريح قول رسول الله ﷺ فحرام الفتوى بها، وإن دخلت في كتب الفقه، لأن الفتوى بالقول المخالف لنص القرآن أو الحديث كفر صريح، مع العلم به، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2] وقال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[3]».

[1] – جـ2 صـ195 ط دار الجبل بيروت لبنان أو 206 ط دار الفكر.

[2] – سورة المائدة، الآية 44.

[3] – رواه مسلم.

وقد كتب شيخنا ﷺ رسالة مفتوحة إلى تلاميذه بفاس والمغرب عامة، وبعد مقدمة طويلة دعا لهم فيها أن يبعد الله عنهم شرور الدين والدنيا ويَقِيهِمْ منها، وأنْ لاَ يترك لهم ذنبا كبيرا ولا صغيرا إلا أغرقه في بحر عفوه وكرمه وحتى لا يترك حاجة ولا مطلبا في غير معصية الله إلا أسرع لهم بإعطائه-:

«وأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى، وارتقاب المؤاخذة منه في الذنوب، فإن لكل ذنب مصيبتين لا يخلو العبد عنهما، والمصيبة واحدة في الدنيا، وواحدة في الآخرة، فمصيبة الآخرة واقعة قطعا إلا أن تقابل بالعفو منه ﷻ. ومصيبة الدنيا واقعة بكل من اقترف ذنبا إلا أن يدفعها وارد إلهي بصدقة لمسكين أو صلة رحم بمال أو تنفيس عن مديان بقضاء الدين عنه، أو بعفوه عنه إن كان له، وإلا فهي واقعة.

فالحذر من مخالفة أمر الله، وإن وقعت مخالفة – والعبد غير معصوم – فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله، وإن لم يكن ذلك عاجلا فليعلم العبد أنه ساقط من عين الحق، متعرض لغضبه إلا أن يمنَّ عليه، ويستديم في قلبه أنه مستوجب لهذا من الله، فيستديم بذلك انكسار قلبه، وانحطاط رتبته في نفسه دون تعزز، فما دام العبد على هذا فهو على سبيل خير.

وإياكم – والعياذ بالله – من لباس حلة الأمان من مكر الله في مقارفة الذنوب باعتقاد أن العبد آمن من مؤاخذة الله له في ذلك ..... فاتركوا مخالفة أمر الله ما استطعتم، وقوموا بأمره حسب الطاقة، واجعلوا لأنفسكم عدة من مكفرات الذنوب في كل يوم وليلة ..... وعليكم بصلة الأرحام من كل ما يطيب من القلب ويوجب المحبة، ولو بتفقد الحال، وإلقاء السلام. وتجنبوا معاداة

الأرحام، وعقوق الوالدين، وكل ما يوجب الضغينة في قلوب الإخوان، وتجنبوا البحث عن عورات المسلمين، فإن من تتبع ذلك فضح الله عورته، وهتك عورة بنيه بعده، وأكثروا العفو عن الزلل، والصفح من الخلل لكل مؤمن، وآكد ذلك لمن واخاكم في الطريقة، فإن من عفا عن زلة عفا الله له عن زلات كثيرة، ومن وقع فيكم بزلة وجاءكم معتذرا فاقبلوا عذره، وسامحوه، لكي يقبل الله أعذاركم، ولا يقيل عثرة، وتأملوا قوله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ١٣٣ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ١٣٤﴾[1]».

أهداف الطريقة التجانية ووسائل تحقيقها:

أولا: تزكية النفس من الأدران والرعونات التي تُكَدِّرُ صفوها الطَّبَعِيَّ، وتطهيرها من كدورات المعاصي التي ترين على القلوب وتحجبها عن مشاهدة الحق بالحق، أي تربيتها على التخلي عن كل ما يشين من اعتقاد وقول وعمل.

ثانيا: تحليتها بكل ما يزين عن طريق:

1 – غرس عقيدة صحيحة لا تتزعزع.

2 – اتباعٌ واعٍ لسنة سيدنا محمد ﷺ في كل صغيرة وكبيرة.

3 – تجسيم مقام الإحسان الذي يتلخص في «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أي دوام المراقبة في صدق وإخلاص.

4 – جعل لسان المريد رطبا بذكر الله، ومن ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[2].

[1] – سورة آل عمران، الآيتان 133 –134.

[2] – سورة الأحزاب، الآية 35.

5 – تسوير المريد التجاني بحائطٍ سُنِّيٍّ محكم لا يقدر على اختراقه بحول الله.

فالتجاني الذي يلتزم أن يذكر الله بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، لا يُتصور أن ينام حتى تشرق عليه، بله ألاَّ يصلي الصبح، وأكثر من ذلك فإننا سنرى في شروط الطريقة الكمالية أن يستيقظ المريد التجاني قبل الفجر، ويتهجد – على الأقل – بركعتين.

وقد حث شيخنا التجاني كثيرا على التهجد والاستغفار، والصلاة على النبي في السحر عند ما تنزل النفحات الربانية بنزول ربنا إلى السماء الدنيا كما في الحديث الصحيح.

هذا التجاني الذي لا يذكر أوراده إلا بطهارة مائية غالبا، لا يُعقل أن يصلي بلا طهارة أو يَتَيَمَّمُ بلا عذر شرعي.

إنها طريقةُ استقامةٍ وتقوى، طريقةُ التزامٍ واتباعٍ، طريقةُ علمٍ وعملٍ، طريقة السعي وراء رضوان الله تعالى.

إنها ليست طريقة كرامات، ولا خرق عوائد، أو التطلع على الغيب، أو اكتشاف الغرائب والعجائب، أو الجري وراء المال والمناصب. مع أنَّ أي شيء من هذه كلها لا يمتنع للمريد التجاني إذا حقق الهدف الأسمى من طريقته، ومنَّ الله عليه بما شاء، فكان محمديًّا أحمديًّا في قلبه وقالبه.

يقول شيخنا عباس صل التجاني ﷺ مترجما الأهداف في أبيات بديعة:

طريقتنا – والحمد لله وحده – طريقة شكر، وهو أخصب مرتع
فليست لنيل الجاه تُكسب والغنى ولا لمقام للتصدر أرفع

ولا لكرامات بخرق عوائد وليست لكشف الغيب للمتطلع ولكن لتطهير وتصفية بلا توقف سير فى صفات المشفع

وثمرة تحقيق هذه الأهداف هي الاستقامة والمعرفة بالله والحصول على رضوانه.

المبحث الثاني:

الأوراد التجانية ومشروعيتها:

تنقسم الأوراد التجانية إلى أوراد لازمة، وأخرى اختيارية.

أولا: الأوراد اللازمة:

إنها مجموع ثلاثة أشياء يلزم المريدَ التجانيَّ أداؤُها جميعا، فلو قام باثنين منها فقط، وترك الثالث لا يعد تجانيًّا، وهي:

1 – الوردُ الصباحيُّ والمسائِيُّ اللازم[1].

2 – الوظيفةُ اليوميةُ.

3 – الهيللة الأسبوعية التي تذكر بعد عصر يوم الجمعة.

ويتكون الورد اللازم بعد التعوذ وفاتحة الكتاب من:

أ – أستغفر الله مائة (100) مرة.

ب – الصلاة على النبيّ بأي صيغة كانت، غير أن صلاة الفاتح لما أغلق أفضل مائة (100) مرة.

جـ – لا إله إلا الله مائة (100) مرة.

وصلاة الفاتح هي:

(اللهم صلِّ على سيدنا محمَّدٍ الفاتح لما أُغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم).

[1] – وقد وصف الورد الصباحي والمسائي باللازم لبيان أهميته فحسب، وإلا فالوظيفة لازمة وذكر عصر الجمعة لازم.

تنبـــيه: بعد الصلاة على النبي يقرأ آخر سورة (اليقطين) وهو «سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

وعند انتهاء الهيللة يقال: سيدنا محمد رسول الله عليه سلام الله، ثم: «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

وتتكوَّن الوظيفة بعد التعوذ وفاتحة الكتاب من:

أ – أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، ثلاثين مرة.

ب – صلاة الفاتح لما أغلق، خمسين مرة. ولا تجزئ صلاة أخرى في الوظيفة[1].

جـ – جوهرة الكمال، اثنتي عشرة (12) مرة. ومن لا يحفظ الجوهرة أو لم يتوضأ فيبدلها بعشرين من صلاة الفاتح لما أغلق.

وجوهرة الكمال هي:

(اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَيْنِ الرَّحْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالْيَاقُوتَةِ الْمُتَحَقِّقَةِ الْـحَايِطَةِ بِمَرْكَزِ الْفُهُومِ وَالْمَعَانِى وَنُورِ الْأَكْوَانِ الْمُتَكَوِّنَةِ الْآدَمِيّ صَاحِبِ الْحَقِّ الرَّبَّانِى الْبَرْقِ الْأَسْطَعِ بِمُزُونِ الْأَرْبَاحِ الْمَالِئَةِ لِكُلِّ مُتَعَرِضٍ مِنَ الْبُحُورِ وَالْأَوَانِى وَنُورِكَ اللاَّمِعِ الَّذِى مَلَأْتَ بِهِ كَوْنَكَ الْحَايِطَ بِأَمْكِنَةِ الْمَكَانِى.

[1] – وعليه فمن لا يتقن صلاة الفاتح تسقط عنه الوظيفة حتى يتقنها، ويمكن قراءتها في كتاب أو ورقة حال الذكر.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلَّمَ عَلَى عَيْنِ الْحَقِّ الَّتِي تَتَجَلَّى مِنْهَا عُرُوشُ الْحَقَايِقِ عَيْنِ الْمَعَارِفِ الْأَقْوَمِ صِرَاطِكَ التَّامِ الْأَسْقَمِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى طَلْعَةِ الْحَقِّ بِالْحَقِّ الْكَنْزِ الْأَعْظَمِ إِفَاضَتِكَ مِنْكَ إِلَيْكَ إِحَاطَةِ النُّورِ الْمُطَلْسَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ صَلاَةً تُعَرِّفُنَا بِهَا إِيَّاهُ)

تنبيه:

بعد صلاة الفاتح يقرأ آخر سورة اليقطين. وبعد انتهاء الهيللة يقول الذاكر: «محمد رسول الله عليه سلام الله، أو سيدنا محمد رسول الله عليه سلام الله».

يقول شيخنا الحاج عمر الفوتي رحمه الله تعالى: «ويقول بعد الفراغ من المائة في الهيللة: (محمد رسول الله عليه سلام الله) مرة واحدة، وإن شاء قال: (سيدنا محمد رسول الله عليه سلام الله) بزيادة التسويد فحسن» وأضاف قائلا: «وفي القواعد الزورقية ما خرج مخرج التعليم وُقف به على ما ورد من غير زيادة ولا نقص. فلذا روي أن رجلا كان يذكر دبر كل صلاة سبحان الله والحمد لله والله أكبر مائة مرة من كل واحدة، فرأى كأن قائلا يقول: أين الذاكرون في دبر الصلوات؟ فقام، فقيل له: ارجع فلست منهم، إنما هذه المزية لمن اقتصر، على الثلاثة والثلاثين، **فكلما ورد عدد اقتصر عليه، وكذا اللفظ**[1]»

وفي «قصد السبيل في الطريقة التجانية» يقول الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري: (ويقول بعد الفراغ من المائة من لا إله إلا الله، فيها أي في الوظيفة محمد رسول الله عليه سلام الله، وإن قال سيدنا محمد رسول الله فحسن).

[1] – الرماح مع الجواهر الفصل الثالث جـ 1 صـ 381.

ومهما يكن من شيء فإن في الأمر فسحة، وعلى المريد أن يساير إخوانه فيما وجدهم عليه من تصرف، وليعرف أن هذه الأمور لا يتعلق بها صحة أو بطلان، والشيطان دائما يتغطى بالتفاصيل، فانتبهوا، وتأملوا.

أما هيللة عصر الجمعة فتتكون من:

أ – فاتحة الكتاب مرة.

ب – أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم 3 مرات.

جـ – صلاة الفاتح 3 مرات.

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه الخ.

«لا إله إلا الله أو الله الله أو كلاهما» ألف مرة. أو ألف إلى ستمائة مرة. أو ذكر بدون عدٍّ لمدة ساعة متصلة بغروب الشمس.

ويختم هذا الذكر بفاتحة الكتاب مرة، وصلاة الفاتح 3 مرات، و«إن الله وملائكته يصلون الخ»

ملحوظة مهمة:

هذا الذي قلناه في ذكر عصر الجمعة هو السائد فإذا وجد المريد التجاني إخوانا له يفتتحون أو يجتمعون بغير ما ذكر فليفعل دون أي حرج، لأن الأمر فيه فسحة كبيرة، فالركن الضروري في هيللة الجمعة هو «لا إله إلا الله، أو الله الله» ألف مرة.

ثانيا: الأوراد الاختيارية:

وللتجانية أذكار وأدعية وأحزاب أخرى اختيارية، أي غير لازمة يزاولها حسب ما يسعه وقته، أي أنها إذا تركها بعض الوقت لا يعدّ متهاونا. وهي على

كثرتها من باب التقرب إلى الله بالنوافل والأعمال الخيرية، وتحتاج إلى إذن صحيح خاص أحيانا، وإن كان هناك إذن عام لكل مريد تجاني في:

1 – تلاوة القرآن الكريم بآدابها.

2 – أدعية السنة النبوية الصحيحة.

3 – الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصيغتها المختلفة.

ومن أورادها الاختيارية العامة التي تجمع خيري الدنيا والآخرة:

1 – صلاة الفاتح لما أغلق 100 أو 200، أو 313، أو 489، أو 500

2 – جوهرة الكمال 66 أو 65 أو 114 أو 80 أو 92

3 – سورة القدر 41 – 114 – 150 – 313

4 – سورة الشرح 77 – 129 – 314 – 510

5 – سورة الإخلاص 100 – 114 – 313 – 500 – 1002

6 – حسبنا الله ونعم الوكيل 450 – 690 – 900 – 1111 – 4500

7 – لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم 500 – 1000 – 1500 – 5000

8 – يا لطيف 129 – 1000 – 4444 – 16641 – 116487

9 – اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي. قدر الطاقة.

10 – استغفار سيدنا الخضر وهو:

اللهم إني أستغفر من كل ذنب تبتُ إليك منه، ثم عدتُ فيه، وأستغفرك من كل وعدٍ وعدتكُ به من نفسي ثم لم أوفِ لك به، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك، فخالطني فيه غيرك، وأستغفرك من كل نعمة عليَّ فاستعنتُ بها على معصيتك. وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أذنبته في ضياء النهار، أو سواد الليل، في ملأ أو خلاء، أو سر أو علانية، يا حليم.

11 – المسبعات العشر، وهي:

الفاتحة 7 – سورة الناس 7 – سورة الفلق 7 – سورة الإخلاص 7 – سورة الكافرون 7 – آية الكرسي 7، ثم:

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما علم وملء ما علم وزنة متا علم 7 مرات.

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك، النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم 7 مرات.

اللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، 7 مرات.

اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل، ولا تفعل بي وبهم يا مولانا ما نحن له أهل، إنك غفور رحيم جواد كريم رؤوف رحيم، 7 مرات.

12 – دعاء (يا من أظهر الجميل الخ) 20 مرة في اليوم.

13 - الحزب السيفي مع حزب المغني.

14 - ياقوتة الحقائق.

15 - الصلاة الغيبية.

16 - الدور الأعلى.

17 - حزب التضرع والابتهال.

ويمكن الاطلاع على نصوص هذه الأربعة الأخيرة في مطوّلات الطريقة بفضائلها وكيفياتها العامة.

وهناك أوراد اختيارية خاصة يُستأذن فيها أصحابها المؤهّلون الذين يأذنون المستحقين بشروطها عندهم.

ولا يُدخلنّ أحد ذلك في باب كتمان العلم كما عوَّد المرجفون أن يفعلوا، إذ تخصيص الإنسان بشيء دون الآخرين أصل أصيل في السنة النبوية، ودونك ثلاثة أمثلة لا يتناطح كبشان في صحتها.

1 – خصَّ رسول الله ﷺ سيدنا حذيفة اليماني رضي الله عنه بمعرفة المنافقين، وكان كبار الصحابة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم موجودين. فهل من أحد يعتبر ذلك كتما للعلم؟

2 – يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثتُه، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم) رواه البخاري في كتاب العلم، باب حفظ العلم، رقم 120 من صحيحه.

والسؤال المهم هنا هل يعد أبو هريرة كاتما للعلم باحتفاظه بنصف ما حفظ عن رسول الله ﷺ؟!.

3 – عن عائشة، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (اللهم إني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت، وإذا استُرْحِمْتَ به رحمت، وإذا اسْتُفْرِجْتَ به فرَّجتَ) قالت: وقال ذات يوم" (يا عائشة، هل علمت أن الله قد دلني على الاسم الذي إذا دعي به أجاب؟) قالت، فقلت يا رسول الله: بأبي وأمي: فعلمنيه.

قال: (إنه لا ينبغي لك يا عائشة) قالت، فتنحيت، وجلست ساعة. ثم قمت فقبلت رأسه ثم قلت يا رسول الله علمينه، قال: (إنه لا ينبغي لك يا عائشة

أن أعلمك، إنه لا ينبغي لك أن تسألي به شيئا من الدنيا) قالت فتوضأت ثم صليت ركعتين، ثم قلت: اللهم إني أدعوك الله، وأدعوك الرحمن، وأدعوك البر الرحيم، وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم أن تغفر لي وترحمني. قالت: فاستضحك رسول الله ﷺ، ثم قال (إنه لفي الأسماء التي دعوت بها). راجع سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم رقم 3859.

لاحظ جيدا جملة (لا ينبغي لك يا عائشة) وقل لي بربك: هل هو كتمان للعلم؟ ألم تفهم من (لا ينبغي لك) أنه ينبغي لغيرها؟ قل: اللهم، بلى. وذلك التخصيص هو الإذن الخاص.

مشروعية الأوراد أو سنيتها:

أخي القارئ، قد اتضحت الآن في ذهنك السنة ومعالمها، وانبلجت أمامك البدعة وحقيقتها، والأوراد التجانية وكيفياتها. وقد تحققت أنها: (استغفار – وصلاة على النبي – ولا إله إلا الله) ثم ذكر وتسبيح وقرآن وابتهال.

ولا يختلف عاقلان مجردان من الهوى والتعصب أن هذا من صميم الشريعة الإسلامية، ومن لب السنة النبوية. وفيما يأتي مزيد بيان:

أولا: الاستغفار:

1 – قال تعالى في أهمية الاستغفار، وفي الحث عليه:

أ – ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا١١٠﴾[1]

[1] – سورة النساء، الآية 111.

ب - ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ١٣٥أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ١٣٦﴾[1]

جـ - ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ٥٥﴾[2]

د - ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٠﴾[3]

هـ - ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٦﴾[4]

و - ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[5]

2 – قال رسول الله ﷺ في الموضوع ذاته:

أ – (إنه ليغان على قلبي، وإني أستغفر الله في اليوم مائة مرة) رواه مسلم عن الأعز المزني.

ب – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) رواه البخاري.

جـ – (طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا) رواه ابن ماجه بإسناد حسن عن عبد الله بن بسر.

د – (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولَجَاءَ بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى، فيغفر لهم) رواه مسلم.

---

[1] – سورة آل عمران، الآيتان 135 – 136.

[2] – سورة غافر، الآية 55.

[3] – سورة المزمل، الآية 20.

[4] – سورة النساء، الآية 106.

[5] – سورة محمد، الآية 19.

هـ – (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا، ومن كل هم فرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب) رواه أبو داود، وابن ماجه عن ابن عباس ﵄.

و – عن أنس بن مالك ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم أتيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

ثانيا: الصلاة على النبي ﷺ:

1 – قال الله تعالى في الحث على الصلاة على النبي ﷺ:﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[1].

2 – قال رسول الله ﷺ:

أ - (من صلَّى عليَّ صلاة واحدة، صلَّى الله عليه عشرا، ومن صلى عليَّ عشرا صلى الله عليه مائة، ومن صلَّى عليَّ مائة كتب الله بين عينيه براءةً من النفاق، وبراءة من النار، وأسكنه الله تعالى يوم القيامة مع الشهداء) رواه الطبراني.

ب - (من صلَّى عليَّ صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، ويُحِطّ عنه بها عشر سيئات، ويرفعه بها عشر درجات) رواه أحمد والنسائي والحاكم عن أنس.

جـ - (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود.

[1] – سورة الأحزاب، الآية 56.

د - (حيثما كنتم فصلُّوا عليَّ، فإن صلاتكم تبلغني) رواه الطبراني عن الحسين بن علي.

هـ - (من صلَّى عليَّ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة) رواه أبو الشيخ عن أنس.

ثالثا: أهمية لا إله إلا الله وفضلها:

1 – قال الله تعالى:

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾[1].

2 – قال رسول الله ﷺ:

أ – (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وابن حبان والحاكم.

ب – (لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب) رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو.

جـ – (ما قال عبد لا إله إلا الله قط مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر) رواه الترمذي عن أبي هريرة.

د – (ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت ولا في القبور ولا في النشور، كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) رواه الطبراني عن ابن عمر.

[1] – سورة محمد، الآية 19.

هـ – (ليس من عبد يقول لا إلا الله مائة مرة إلا بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ولا يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله إلا من قال مثل قوله أو زاد) رواه الطبراني عن أبي الدرداء.

و – (..... وخير ما قلته أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) الأذكار النووية.

ز – (من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة) رواه السيوطي في الجامع الصغير رقم 8896.

ح – عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: (يا معاذ: قلت: لبيك، قال: بشِّر الناس أنه من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) رواه الطبراني.

ط – (أفضل الذكر لا إله إلا الله) أخرجه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي حديث حسن.

ي – (جدِّدوا إيمانكم، قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله) رواه أحمد بإسناد حسن.

رابعا: الحث على مطلق الذكر والإكثار منه:

1 – قال الله تعالى:

أ – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا٤١وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا٤٢﴾[1].

ب – ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[2].

[1] – سورة الأحزاب، الآيتان 41 – 42.

[2] – سورة الأحزاب، الآية 35.

ج – ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾[1].

د – ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[2].

هـ – ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾[3].

و – ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4].

ز – ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ٨﴾[5].

2 – قال رسول الله ﷺ:

أ – «سبق المفرِّدون» قالوا: (وما المفردون يا رسول الله؟) قال: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» الأذكار النووية وصحيح مسلم، وتحفة الأحوذي وزيادة الجامع الصغير.

ب – قال رجل لرسول الله ﷺ: «إن شرائع الإسلام كثرت عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبَّث به، فقال له رسول الله ﷺ: لا يزال فُوكَ رطبًا بذكر الله». رواه أحمد في مسنده والسيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور بلفظٍ مختلفٍ وروى ابن ماجه والترمذي الفصلَ الأخيرَ بلفظ (لا يزال لسانك).

[1] – سورة الجمعة، الآية 10.

[2] – سورة الرعد، الآية 28.

[3] – سورة الأحزاب، الآية 21.

[4] – سورة الشعراء، الآية 227.

[5] – سورة المزمل، الآية 8.

ج – عن معاذ بن جبل أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله» الجامع الصغير للسيوطي باب حرف الميم رقم 7947 وأحمد في مسنده والترمذي كنز العمال.

د – عن معاذ أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بخير الأعمال وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله عز وجل» أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

هـ – عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ: «أي الجهاد أفضل أجرا؟» قال: «أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا». ثم ذكرنا لنا الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: «أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا». فقال أبو بكر: «يا أبا حفص! ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: أجل». أخرجه الطبراني والدار القطني.

والمستفاد من هذه الأحاديث:

أولا: أن الاستغفار والصلاة على النبي والهيللة مطالب شرعية لا يتأتى لأحد ينشد رضوان الله أن يهملها.

ثانيا: أن الذكر بصفة عامة هو روح العبادات والطاعات.

ثالثا: أن الذكر في الشريعة غير محدد العدد، فوصفُه أبدا «كثيرا».

رابعا: أن كثرة الذكر تعين على استجابة الدعاء. وذلك ما عقله نبي الله موسى عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي٢٩ هَٰرُونَ أَخِي٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١

وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِى ٣٢ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ٣٥ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦﴾[1].

وقد أمر الله نبيه زكرياء عليه السلام بالذكر الكثير حين دعاه قائلا: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾[2]. وطلب آية، فكانت ثلاثة أيام لا يكلم فيها أحدا إلا رمزا، أضاف إليها ربه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ٤١﴾[3].

والجدير بالتذكير أن زكرياء كان طاعنا في السن، وامرأته كانت عاقرا، لكن مطلبه تحقق بعون الله وقدرته، ثم بفضل الذكر الكثير، والحمد لله.

خامسا: أن الذكر يورث القلب اطمئنانا ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨﴾[4]، والاطمئنان مصدر التوازن، وضمان استقراره، ومنبع الرصانة واستمراراها.

سادسا: أن الذكر ينهى عن ارتكاب المعاصي، واتباع الهوى، وفعل المنكرات ﴿... إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ٤٥﴾[5].

[1] – سورة طه، الآيات 25 – 36.

[2] – سورة آل عمران، الآية 38.

[3] – سورة آل عمران، الآية 41.

[4] – سورة الرعد، الآية 28.

[5] – سورة العنكبوت، الآية 45.

أوقات الذكر:

1 – قال الله تعالى:

أ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾[1].

ب - ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[2].

جـ - ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥﴾[3].

د - ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩﴾[4].

هـ - ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾[5].

2 – قال رسول الله ﷺ:

أ – «لأن أصلي الصبح ثم أجلس في مجلسي فأذكر الله عز وجل إلى أن تطلع الشمس أحبّ إليّ من شدٍّ على جياد الخيل في سبيل الله من حين أصلي إلى أن تطلع الشمس» كنز العمال، المجلد الثاني، باب ما يقال بعد صلاة الصبح، وفضل المكث بعده رقم 3554.

---

[1] – سورة الأحزاب، الآيتان 41 – 42.

[2] – سورة الكهف، الآية 28.

[3] – سورة غافر، الآية 55.

[4] – سورة ق، الآية 39.

[5] – سورة الطور، الآية 49.

ب – «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من الغداة حتى تطلع الشمس أحب إليّ من أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحبّ إليّ أن أعتق أربعة» الجامع الصغير للسيوطي باب حرف اللام رقم 7203، وأبو داود رقم 3663، وكنز العمال للمتقي الهندي رقم 3552، ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي رقم 66947.

وفي رواية: «لأن أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة حتى تطلع أحبّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحبَّ إليّ من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل عليه السلام دية كل واحد اثنا عشر ألفا» كنز العمال/ المجلد الثاني رقم 1800.

وكان رسول الله ﷺ فيما يذكره من رحمة ربه يقول: (إنه قال: يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة، وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما) رواه الحسن ابن علي في الزهد.

أقول: إن كل من به مسكة من عقل يفهم من هذه الآيات والأحاديث أن الأوراد التجانية التي وقَّتوها صباحا ومساء، بعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العصر، والوظيفة التي يوقعونها بين صلاة الغداة وطلوع الشمس لَمِنْ صميم الشريعة الإسلامية، ومن لب السنة النبوية.

أما ذكر عصر الجمعة فيدخل في عموم ذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس، لكنك إذا قرأت الحديث التالي تدرك أن التجانية ليست إلا سنة مجسمة في أوراد محددة يمارسها أناس موفقون، ساقهم سائق السعادة إلى حضرة أبي الفيوض والبركات شيخنا أحمد ابن محمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه.

فعن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئا إلا أتاه إياه، والتمسوها آخر ساعة بعد العصر». رواه النسائي وأبو داود والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم وحسّن الحافظ إسناده في الفتح.

وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيرا إلا أعطاه إياه، وهي بعد العصر» رواه الإمام أحمد، وقال العراقي: صحيح.

وتنص التجانية على أن هيللة الجمعة تكون بعد صلاة العصر، ولمدة ساعة متصلة بغروب الشمس.

وشيخنا التجاني ﷺ ارتأى أن يشغل أتباعه بأفضل الذكر، بخير ما قاله سيدنا محمد ﷺ والنبيئون من قبله، وهو لا إله إلا الله، بدلا من أن يترك الناس يدعو كل واحد منهم حسب هواه، وقد يكون في بعض الأغراض نوع من الإعراض، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ٤٣﴾[1].

كيفيات الذكر:

للذكر كيفيات متعددة، أو صور كثيرة، إنه يكون سرًّا، وجهرًا، ويكون جماعةً، وفرادى، وهذه الكيفيات تكون أحيانا في هيئات مختلفة:

1 – يقول الله تعالى:

أ – ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[2].

ب – ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[1].

[1] – سورة العنكبوت، الآية 43.

[2] – سورة آل عمران، الآية 191.

2 – عن عائشة رضي الله عنها، قالت:

أ – «كان رسول الله ﷺ يذكر الله عز وجل على كل أحيانه» مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

ب – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله تِرَة، وما مشى أحد فمشى لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله تِرَة[2]» أبو داود.

الكيفية رقم 1

ذكر الفرادى: وهو الأصل في الذكر، أو الأكثر ممارسة. قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨﴾[3].

وعن عبد الله بن بسر أن رجلا قال: يا رسول الله: إن شرائع الإيمان قد كثرت عليَّ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله تعالى» صحيح الكلم الطيب 23.

وعنه ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» المرجع نفسه.

وقال أيضا: «أكثروا ذكرَ الله حتى يقولوا: مجنون» الطبراني والحاكم وصححه، ورواه أحمد عن أبي سعيد الخدري مرفوعا.

---

[1] – سورة النساء، الآية 103.

[2] – **التِّرَةُ**: النَّقص.

[3] – سورة المزمل، الآية 8.

الكيفية رقم 2

الذكر جماعة:

هناك أحاديث صحيحة تنص على الذكر جماعة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ – عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا. وقالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر» أخرجه الترمذي والبيهقي.

ب – وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «يقول الرب عز وجل يوم القيامة، سيعلم أهل الجمع مَنْ أهل الكرام، فقيل: ومن أهل الكرام يا رسول الله؟ قال: مجالس الذكر في المساجد» أخرجه الهيثمي وأحمد بإسنادين.

ج – وعنه أيضا قال: «خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله عز وجل. قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستخلفكم تهمة لكم، وما كان بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: نذكر الله عز وجل ونحمده على ما هدانا للإسلام، وما منَّ علينا بك. قال: ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستخلفكم تهمة لكم، وإنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة» أخرجه النسائي والترمذي.

د – عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم

الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن أبطأ به عمله لم يُسْرِع به نسبُه[1]» أخرجه مسلم وغيره.

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وتغشتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده» أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه.

يضاف إلى هذه الأحاديث بعض ما كنا أوردناه في أوقات الذكر مثل أحاديث الذكر مع قوم من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس، أو من صلاة العصر إلى غروب الشمس.

هـ – في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ. وقال ابن عباس كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته.

و – وفيه أيضا: «جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم هم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا على الإسلام ما بقينا أبدا

وهو (الرسول) يجيبهم: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة».

ز – وعن يعلى بن شداد قال: حدثني أبي عن شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه قال: «كنا عند النبي ﷺ فقال: هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب، قلنا: لا يا رسول الله. فأمر بإغلاق الباب، وقال: ارفعوا أيديكم

[1] – ومعنى: (**ومن أبطأ به عمله لم يُسْرِع به نسبُه**): أنَّ مَنْ أخّره عملُه السيءُ لم ينفعه في الآخرة شرفُ النسب، فالذي يعتمد على علو نسبه وعراقة أصله، ظانًّا أنه بذلك تعلو مكانته عند الله، فقد أخطأ الطريق، وأضاع عمره فيما لا ينفع.

وقولوا لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا **ساعة**، ثم قال: الحمد لله، اللهم أنت بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وأنت لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا فإن الله قد غفر لكم» رواه الإمام أحمد بإسناد حسن، والطبراني وغيرها.

ح – والذكر جماعة في أيام الحج، وفي أيام التشريق. متفق عليه.

ويستفاد من هذه الأحاديث كلها:

1 – أن الاجتماع على الذكر مطلب شرعي تحث عليه السنة.

2 – أن الصحابة كانوا يجتمعون على الذكر (خرج على حلقة من أصحابه). والتابعون فعلوا مثلهم.

3 – أن الاجتماع على الذكر يقتضي الجهر بالذكر، وإلا فلا معنى للاجتماع. ولو اجتمع الناس وكل واحد يذكر بمفرده لكان التشويش والفوضى حَكَمَ الموقف، وسنعود إلى ذلك لاحقا إن شاء الله.

4 – أن التجانية في حلقاتها الصباحية والمسائية تطبّق السنة المحمدية في أحسن مظاهرها. وذلك توفيق من الله، وتوجيه من شيخهم التجاني ﷺ.

5 – أن على الذين لم يُوفَّقُوا إلى تطبيق سنة نبينا الغراء – فلا يجتمعون للذكر لا صباحا ولا مساء، ولا يجالسون من يذكرون الله بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس – أن يراجعوا موقفهم، وأن ينضمُّوا إلينا فيفلحوا، وإلا فليصمتوا، ولأن من العار أن يُعَيِّرَ عاجز عن اتباع السنة مَنْ لا يحيد عنها. ونحن نفعل ما امتدحه رسول الله ﷺ، وكان صحابته يفعلونه.

فما أعظم توفيقك أيها التجاني! وما أوضح اقتفاءك أثر خير الأنام سيدنا محمد ﷺ. فطوبى لك.

تنبيه مهم: لا يستخفنك ما يسميه المتنطعون (قصة أبي الأشعري وابن مسعود). حيث وجد الأول في المسجد قوما حُلُقًا جلوسا ينتظرون الصلاة، لكنهم كانوا يكبرون مائة، ويهللون مائة، ويسبحون كذلك مائة بأمر من بعضهم، فذهب إلى ابن مسعود، وحكى له القصة، فقال له: فما قلت لهم؟ قال: فما قلت لهم شيئا، انتظار رأيك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أَنْ لا يُضيّع من حسناتهم شيء، ثم ذهب هو أي ابن مسعود، وقال لهم: «لقد جئتم ببدعة ظلما، أو لقد فقتم أصحاب محمد علما».

أقول: هذه قصة غريبة المضمون، مضطربة المحتوى، خطيرة المرمى.

أولا: تتجلّى غرابة مضمونها في كون صحابي جليل كابن مسعود ﷺ يطلب من مكبّرٍ مهلّلٍ، مسبّحٍ أن يستعيض ذلك كله بِعَدِّ سيئاته!!! ثم يضمن «لهم أنْ لا يُضيع من حسناتهم شيء».

أكان يريد منه أن يجلسوا في مسجد رسول الله ﷺ فيقول هذا: تركت صلاة الظهر أمس عمدا. ويقول آخر: أنا زنيت بفلانة. وثالث يضيف: أنا سرقت، وغبت وهكذا إلى أن تقام الصلاة فتغفر لهم خطاياهم؟!

ثانيا: يظهر اضطراب محتواها في أن أبا موسى الأشعري، وهو الصحابي الجليل كان يجهل حكم ما رأى وشهد (الاجتماع على الذكر ورفع الأصوات) شرعا، حتى اضطر إلى الرجوع إلى ابن مسعود لأخذ رأيه. ولم يصل إلينا أن الصحابة كانوا يأخذون رأي أيّ شخص فيما هو معروف خروجه من الشرع بدءً.

أضف إلى ذلك أن الذين كانوا يذكرون جماعةً في المسجد إما صحابة وإما تابعين، أو صحابة وتابعين لكنهم جميعا – على ضوء هذه القصة المضطربة –

جهلوا حكم ما كانوا يفعلونه، أليس في هذا تنقيصا من حق الصحابة أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام؟ اللهم، بلى.

ثالثا: إن خطورة مرماها تكمن في كون عدِّ السيئات في مسجد رسول الله ﷺ عبادة، إنه في رأيهم أفضل من التهليل والتسبيح والتحميد، حتى أن من يفعل من ذلك شيئا يضمن له ثبوت أجره !!!

ومن الغرابة والاضطراب والخطورة أن ينسب إلى مثل ابن مسعود أنه يبدِّع ما نص رسول الله ﷺ على شرعيته، وحثَّ عليه (حلق الذكر، والاجتماع على الذكر في المساجد خاصة).

والقصة – بعد – غير صحيحة، لأن في السند مجالد بن سعيد وهو لا يحتج به. قال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ. وقال الإمام أحمد: مجالد بن سعيد ليس بشيء[1].

الكيفية رقم 3

الذكر سرًّا، لعله الأصل في الذكر

1 – قال الله عز وجل:

أ – ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ٥٥﴾[2].

ب – ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٣﴾[3].

[1] – أهل الحق العارفون بالله / الشيخ محمد الحافظ التجاني 117، وانظر كتابنا: التقديس بين التلبيس والتدليس والتدنيس 153-162.

[2] – سورة الأعراف، الآية 55.

[3] – سورة الأنعام، الآية 63.

2 – قال رسول الله ﷺ:

عن سعيد بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وخير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي».

وقد أجمع العلماء على أن أفضلية الإسرار تختلف «باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون الجهر أفضل إذا أُمِنَ الرياء، وكان في الجهر تذكير للغافلين. وقد يكون الإسرار أفضل إذا خُشِيَ الرياء أو التشويش على نحو مصلٍّ[1]».

الكيفية رقم 4

الذكر جهرا

كنا قلنا – ونحن نورد أحاديث الاجتماع على الذكر –: أن الاجتماع عليه يستلزم الجهر به تلقائيا، وإلا فلا فائدة في الجماعة إن كان كل واحد يذكر في نفسه.

يقول الشيخ عمر الفوتي رضي الله عنه: «فإن قيل يجتمعون وكل على ذكره، فالجواب: إن كان سرا فجدواه غير ظاهر، وإن كان جهرا (كل على حدة) فلا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغيره مما لا يُسوَّغ في حديث الناس فضلا عن ذكر الله تعالى[2]».

ويجب أن يكون الجهر بالذكر على نسق ورفق، وذلك ما يفهمه العقل السليم من قوله ﷺ لأصحابه رضوان الله عنهم حين كانوا يجهرون بالذكر جهرا

[1] – الذكر في القرآن الكريم والسنة المطهرة / محمود الصباغ ط دار الاعتصام ص 41.

[2] – الرماح 4 / 146.

شديدا .... أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا. فالرسول ﷺ في هذا الحديث:

أ – لم ينههم عن الجهر، فلو كان لقال: لا تجهروا بالذكر، أو أسرُّوا به[1].

ب – لم ينههم عن الذكر، فلو كان لقال: اسكتوا.

ولكنه ﷺ ردهم إلى الرفق على أنفسهم بالجهر الذي لا يلقاهم معه ضرر يتأذون به.

كان يكفي ما أوردناه دليلا على شرعية الجهر بالذكر لو حكم العقل، وساد الإنصاف، وبما أن بعض المشككين لا يقفون عند حد معلوم، وددنا لو زدنا أدلة وبراهين على ما سبق، فنقول:

1 – روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم مرفوعا: يقول الله عز وجل: «أنا عند حسن ظن عبدي بي، وأنا معه، إذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه».

ومن المسلم به أن الذكر في الملأ لا يكون إلا جهرا.

2 – عن زيد بن أسلم قال: قال ابن الأردع: انطلقت مع النبي ليلة فمر برجل في المسجد يرفع صوته، قلت: يا رسول الله عسى أن يكون مرائيا؟ قال: «لا، لكنه أوّاه» أخرجه البيهقي.

3 – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء أنْ قوموا مغفورا لكم، فقد بدِّلت سيئاتكم حسنات» رواه أبو يعلى،

[1] – المرجع السابق 1 / 165.

والبزار، والطبراني عن سهل بن نظلة، والبيهقي عم عبد الله بن مغفل، والإمام أحمد ورواته ثقات.

4 – تقدم أنه ﷺ قد جهر ببعض الذكر في بعض المواقع، ومنها جوابه لأهل الخندق: «لا خير إلا خير الآخرة فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة».

5 – قال ابن عباس رضي الله عنه: «ما كنت أعرف انصراف الناس من الصلاة على عهد رسول الله ﷺ إلا بالذكر» رواه البخاري.

6 – والجهر بالذكر في العيد، وفي الثغور، وفي الحج (تلبية) وفي الأسفار معلوم متواتر.

7 – قد ثبت أن أبا بكر الصديق كان يخافت في صلاته في الليل، ولا يرفع صوته، وكان عمر يجهر في صلاته، فسأله رسول الله ﷺ عن فعله فقال: «الذي أناجيه يسمع كلامي، وسأل عمر، فقال: أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان، وأرضي الرحمن، فأمر رسول الله أبا بكر برفع الصوت، وهو الجهر، ولم يأمر عمر بالإسرار، بل بخفض الصوت. فإذا كان هذا في القرآن وهو أفضل الذكر فغيره كذلك».

وهذا هو المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[1]. لأن الله تعالى أعقبه بـ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١١٠﴾[2]، فلا سبيل بين الجهر والمخافتة إلا الجهر بالرفق.

إن هذا من الوضوح بحيث لا يماري فيه مؤمن بالله لم يتوهب، وكان المتوقع من مسلمين ابْتُلُوا بإهمال بعض السنة النبوية:

[1] – سورة الإسراء، الآية 110.

[2] – سورة الإسراء، الآية 110.

أ – أن يؤنبهم ضمائرهم لما يفوتهم من الخير الكثير بعدم الاجتماع على الذكر.

ب – أن يريحوا الآخرين الذين منَّ الله عليهم بإحياء سنة الاجتماع على الذكر، والجهر به بسلام وعافية إن كانوا يعقلون.

ومهما يكن من شيء فإنك تفهم بسهولة:

أ – أن الجهر بالذكر مأمور به شرعا، والنصوص الشاهدة كثيرة للغاية.

ب – أن الرسول ﷺ وصحابته مارسوه في المساجد وغيرها.

جـ – أن الجهر بالذكر المطلوب وَسَطٌ بين الإسرار والصراخ.

د – أن الذكر الخفي يكون أفضل إذا خُشِيَ الرياء والتشويش على نحو مصلٍّ.

هـ – أنَّ التجانيين يجهرون الوظيفة وهيللة عصر الجمعة جهرا متوسطا ﴿وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾[1]. تطبيقا لمطلب الجهر. فالتجانية تنص على أن جهر الإخوان – إذا اجتمعوا – يكون كدويِّ النحل، وذلك معنى ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾[2].

الكيفية رقم 5

الذكر بالاسم المفرد

قد اتفق المسلمون منذ عهد الصحابة رضوان الله تعالى عنهم – غير ابن تيمية وتلاميذه – على جواز ذكر الله تعالى بأي من أسمائه أو صفاته، وبأي

[1] – سورة الإسراء، الآية 110.

[2] – سورة الإسراء، الآية 110.

صيغة من الصيغ أو الجمل الدالة على معنى يتضمن حكما من أحكام التوحيد أو التنزيه، قال الله تعالى:

أ – ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾[1]، واسم ربنا هو الله، وقد سموه الاسم المفرد لأنه الاسم الوحيد الذي يدل على الله ذاتا وصفات وأسماء، بينما غيره يدل على ذات وصفة، ثم هو لا يُسمى به غير الله، فهو مفرد من بين الأسماء كلها، ومن قال (الله) لا شك أنه ذكر عز وجل وحقق الأمر القرآني ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾[2].

ب – ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[3]. فيها إشارة واضحة إلى جواز ذكر الاسم المفرد (الله أو الرحمن أو غيرهما من الأسماء الحسنى). فالذكر عبادة لكنه حاجة نفسية، فالفقير يدعو الغني، والذليل يدعو العزيز، والضعيف يدعو القوي وهلم جرا. فما المانع من أن يكرر كل واحد منهم الاسم الذي يلائم حالته قدر ما يشعر الحاجة إلى ذكره؟

يقول د/محمد سعيد رمضان البوطي[4]: «إن بعضهم يغالط في هذا المقام فيقول: لو أنك تذكر اسم إنسان (فلان فلان فلان) فإنه يتضايق من ذلك، ولا يكون لفعلك معنى. وهذا قياس خاطئ، فإن مجرد ذكر الله نحن مطالبون به، ونفع ذلك لنا كثير، إذ أن ذكر الله هو الذي يوقظ قلوبنا ويحييها، فإن نقل: (الله الله الله) فذكر لله، ونافع لقلوبنا، لتبقى متذكرة ربها» إن ذكر الله بذكر أسمائه كلها هو

[1] – سورة الإنسان، الآية 25.

[2] – سورة الإنسان، الآية 25.

[3] – سورة الإسراء، الآية 110.

[4] – السلفية مرحلة زمنية لا مذهب إسلامي 295.

ذكر، والإنسان مأجور عليه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾[1].

«ومن خالف في جواز هذا أو ذاك، أو قطع الطريق على هذا فإنه خاطئ، فمعرفة الله تتعمق في قلوبنا من خلال كل الأذكار، ومن خلال كل الدعوات المأثورة، ومن خلال ذكر أسماء الله كلها .... فإذا استقر هذا فإن اسم الله المفرد هو الذي تنطوي فيه كل الأسماء، فلو أنَّ إنسانا كرره ليستقر في قلبه الشعور بالإلهية وصفاتها وأسمائها فمن أين يكون الإثم؟ إن الأجر لا شك حاصل بإذن الله، والأثر في القلب موجود بإذن الله[2]».

تحديد الذكر:

قال رسول الله ﷺ:

1 – «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» رواه الشيخان.

2 – «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل» رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عمر بن الخطاب.

وبدهي – عند من له أدنى إلمام بالعربية – أن العبادة المداوم عليها لا تكون إلا معلومة محدودة، وإلا فكيف يقضيها. وهذا التحديد موكول إلى طاقة الإنسان.

[1] – سورة الأعراف، الآية 180.

[2] – تربتنا الروحية للشيخ سعيد حوى رحمه الله تعالى 262.

وهذا التحديد هو الذي يجعل صاحب الحزب أو الورد يستطيع أن يقضيه بين الصبح والظهر، أقصد أن الإنسان لا يقضي ما لا يعرف. وذلك أوضح من أن يوضح.

والصحابة رضوان الله عنهم أجمعين حددوا لأنفسهم نوافل وتطوعات كانوا يعرفون جيدا أن رسول الله ﷺ لم يفعله، ومن أصرخ أمثلة ذلك:

1 – صلاة التراويح، فقد جمع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الصحابة على عشرين ركعة ثم الشفع والوتر، ورفعها الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى ست وثلاثين ركعة، ثم الشفع والوتر، ولم ينقل إلينا التاريخ أن عالما واحدا من الصحابة أو التابعين أنكر عليهم عملهم هذا. على الرغم مما ثبت أن النبي ﷺ لم يزد على ثلاث عشرة ركعة، لا في رمضان ولا في غيره.

2 – أخرج أبو داود رحمه الله أن أبا هريرة ﷺ كان له كيس به حصى أو نوى يسبح به. ونقل الحافظ ابن رجب الحنبلي أنها اثنتي عشرة ألف حصاة.

وعن صفية رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: «دخل عليها وبين يديها أربعة آلاف نواة تسبّح بهن، فقال: يا بنت حيي، ما هذا؟ قالت: أسبّح بهن، قال: قد سبحتُ منذ قمت على فراشك أكثر من هذا. قالت علمني يا رسول الله. قال: تقولين: (سبحان الله عدد ما خلق من شيء)». أخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان وصححاه. ومثله حديث جويرة وحديث سعد رضي الله عنهما.

والذي يستوقف القارئ من هذه الأحاديث:

أ – أن الذي يتخذ وسيلة لعد ذكره، لا بد أن يكون قد حدده أولا، وإلا لكان عبثا.

ب – أن الرسول ﷺ لم يَنْهَ صفية عن العد بالنوى، وإنما وجهها إلى تسبيح أكثر وعلمها إياه.

وفوق كل ذلك ألم يقل رسول الله ﷺ بأنه يستغفر الله في اليوم مائة مرة، كما في رواية مسلم. والمائة عدد محدد، لا يتناطح في ذلك كبشان.

ألم يقل كذلك: «من صلى عليَّ مائة كتب الله بين عينيه براءة من النفاق، وبراءة من النار، وأسكنه الله تعالى يوم القيامة مع الشهداء» رواه الطبراني.

وقد روى أحمد والنسائي مثل ذلك باختلاف يسير في الألفاظ.

فالتحديد – إذًا – وارد نصا واستنتاجا، وضروري عقلا وسلوكا، وعليه فإذا حدد مسلم يعرف طاقته قدرا من أي عبادة لا يشق عليه، أو قلد فيه من يثق به، وداوم عليه، فإنه يأتي بأحب الأعمال إلى الله بنص المعصوم عليه الصلاة والسلام. ولا جناح أن نضرب عرض الحائط رأي كل من لا يولي بقول رسولنا ﷺ أيَّ اهتمام.

وتحديد الأوراد الذي يقتدي فيه الطرق غير مفروض إلا على من يطلبه منهم عن طيب خاطر. فالمذهب لا يفرض، وإنما يتطوع له، وكذلك الطريقة. ومتى كان كذلك والتزمه الشخص يصبح فرضا عن طريق النذر.

وإذا كان إمام دار الهجرة لم يقبل فرض كتابه الموطأ على الأمة، ولم يقل لنا أي شيخ طريقة أن ورده فرض على المسلمين، فكيف نقبل أن يفرض علينا المخطئون المغالطون عدم تحديد الذكر، وما أنزل به من سلطان؟!

معالم تجانية

هذه المعالم التي نوردها فيما يلي، والتي تتميز بها التجانية نتائج مباشرة لممارسة الأوراد اللازمة والاختيارية، فلا بد لذكر الله وعبادته من آثار إيجابية تشاهد في الذاكر إذا تحرك أو سكن، إذا تكلم أو صمت، ومنها:

1 - التجانية والاستقامة

قال رسول الله ﷺ لمن طلب إليه شيئا يلتزمه مع شرائع الإسلام الكثيرة: «قل آمنت بالله ثم استقم».

والتجانيون بعد أن آمنوا بالله ربهم ورب كل شيء، وانخرطوا في سلك شيخهم الأبرّ بتوفيق من الله وجدوا أوقاتهم موزعة بين الصلاة والذكر والتسبيح والعمل، فليس لهم فراغ يملأونه بالحرام أو المكروه.

فهم لا يعرفون المخدرات، لكن سجون الأوغاد لا تعرفهم، فإن وُجد واحد منهم هناك تجده إلى جانب مئات بل آلاف من غيرهم. أما سجون الأبرار، أو قبور الشهداء فهم مرتادوها بكثرة لأن تأشيرة الدخول إليها هي الصدق والثبات ورفض الظلم وعدم الاستسلام.

إنهم يتركون ما لا يعنيهم، ويكفون ألسنتهم وأيديهم عن خلق الله، فلا شغل لهم غير ربهم عز وجل، وغير رسولهم ﷺ، وغير شيخهم رضي الله عنه. ومن شذ – تاب الله عليه – فهو مدّع كاذب. وفي كل قوم أدعياء.

إنهم دائما يسعون إلى تحقيق إنسانية الإنسان، والله هو الموفق، يقول سيدي الشيخ أحمد التجاني سي في نونيته الرائعة:

فَإِلَيْكَ يَا ابْنَ مُحَمَّدِ نَادَانِي شِيَمٌ تُحَقِّقُ جَوْهَرَ الْإِنْسَانِ

2 - التجانية وتعمير المساجد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان»، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾. رواه أحمد والترمذي وابن مردويه والسيوطي وصححه العراقي. وروى الحافظ أبو بكر البزار عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما عمّار المساجد هم أهل الله».

وإذا كان تعمير المساجد بالاختلاف إليه، ومراودته في كل الأوقات، وأداء الصلوات الخمس فيه، وبالذكر والصلاة على النبي ﷺ والتهليل والتكبير فيه فليس هناك من يباري التجانية في ذلك حتى يتفوّق عليهم. آية ذلك أن التجانيين لو أضربوا عن الأذان والإمامة، والذهاب إلى المساجد لظل معظم المدن والقرى بمساجد مغلقة مدة إضرابهم. أقصد أن نسبة حضورهم في المساجد من أرفع النسب في العالم.

ومن نعم الله على المساجد أن يكون هناك تجانيون يعمرونها بعد صلاة الغداة بالوظيفة – مستغفرين، مصلين على نبيهم مهللين – إلى أن تطلع الشمس، وكذلك يعمرون ما بين العشاءين[2]. ومن يعتقد أن مسجدا يُذكر فيه اسم الله تعالى صباحَ مساءَ يستوي والمسجد الذي يُغلق بعد الصلاة مباشرة فهو واهم، أو

[1] – سورة التوبة، الآية 18.

[2] – من حسن استغلال الوقت في التجانية أن الأوراد اللازمة في أوقاتها المختارة تقع في أوقات تُحرم أو تُكره الصلاة فيها. فبدلا من أن يخلد المريد التجاني إلى النَّوْم يَعْمَد إلى الذكر بشكل واجب. وهذا ما لم يفهمه المتنطعون.

غير فاهم أو مبتلى بحرمان الخير الكثير، والله فعال لما يريد، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ٢٩﴾[1].

3 - التجانية والاستمرارية، أو خير الأعمال

كنا أوردنا قوله ﷺ: (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) رواه البخاري ومسلم. والتجانيون يلتزمون أورادا بأعداد معينة يمارسونها كل يوم في كل صباح وفي كل مساء، ويكونون بها من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات، بل من أكثر الناس ذكرا على وجه المعمورة. والعملية الحسابية التالية تبين لك صدق ما أذهب إليه. فكل تجانيٍّ ملتزم في سنة واحدة يذكر:

1 – من الاستغفار 94600.

2 – الصلاة على النبيّ ﷺ 118260

3 – الهيللة أو لفظ الجلالة 198000.

وهذا في سنة واحدة، وفي الأوراد اللازمة فقظ، فما بال عشر سنوات، وما شأن الخمسين والثمانين بالأوراد اللازمة، والاختيارية، والتطوعات الأخرى؟

هذا في العدد، ووصف ذكر الله في القرآن، هو «كثيرا»[2] دائما. أما النوع فمن أرفع ما يكون لأنه:

---

[1] – سورة التكوير 29.

[2] – قال ابن عباس في قوله تعالى: (اذكروا الله ذكرا كثرا) إن الله تعالى لم يفرض لعباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحد في تركه إلا مغلوبا على تركه، فقال: (اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر وفي الحضر، والغني والفقير، والسقم والمرض، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال عز وجل: (وسبحوه بكرة وأصيلا) فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته. مختصر ابن كثير للصابوني جـ 3 سورة الأحزاب، شرح الآية 41.

أ – «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه» رواه مسلم 63/1.

ب – «إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» البخاري 61/3 رقم 1186.

جـ – «إن أولى الناس بي يوم القيامة **أكثرهم** عليَّ صلاة» النسائي وابن حبان عن ابن مسعود.

د – «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم **أكثر** من سبعين مرة» البخاري.

ويؤَدَّى في المساجد، في أفضل الأوقات، بأحسن الهيئات، في أتم الآداب، والسر بعدُ من العدد والمدد بحول الله تعالى، لله الحمد والمنة.

4 - التجانية والتزكي:

﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ٨٢﴾، و﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ٥٦﴾[1] يشهد بذلك الأعداء قبل الأحباب، والواقع قبل المدافع، وهم بذلك – إن شاء الله – من محبوبي رب العالمين عز وجل الذي قال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ٢٢٢﴾[2].

فحيثما تلقَهم تُمَيِّزْهم بالمظهر الخارجي الجميل الذي كله نظافة وطهارة في الجسم والملبس، في المحيط المباشر، في الأدوات المستعملة، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم

[1] – سورة الأعراف، الآية 82، وسورة النمل، الآية 56.

[2] – سورة البقرة، الآية 222.

مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾[1] ومن الذكر الكثير، الدائم لله الذي يسري في كل شرايينهم فيفعل فعلته في القلوب التي تظمئن بذكر الله.

وإذا اطمأن القلب أورث بشاشة وطلاقة وبراقة في وجه صاحبه، فتراه في أحلك الظروف وأشدها رابط الجأش راضيا سعيدا بما قسم الله له. وإذا ما انفرجت الأزمات وتيسرت السبل تراه رزينا رصينا متواضعا خاشعا هادئ البال حامدا رب النعم تبارك وتعالى، لا تفارقه المهابة والجلال مهما تبدلت الأحوال وتغيرت (فالذكر والسكينة توأمان).

أقصد أن وجوه التجانيين التي تراها تتلألأ دائما ثمرة صفاءٍ باطنيٍّ حقيقيٍّ (كل إناء بما فيه ينضح). ولكن الأهم من ذلك كله سلوكهم اليومي اللائق المنضبط موظفين كانوا أم تجارا، حكاما أو محكومين، سائقين أم حجامين، رعاة أو مزارعين؛ ينبذون الحرام نبذا، ويتجنبون الشبهات تجنبا، ويفرون من المعاصي فرارهم من الأسود، وإن وقعوا في شيء من ذلك يتوبوا «وخير الخطَّاءين التوابون».

كيف لا، وهم أكثر عمار مساجد الله، كما أسلفنا، وذلك مَدْعاة للنظافة والطهارة؟ كما أنهم أهل الذكر «وأهل الذكر هم أهل الله» وذلك مَجْلبة للنظافة والطهارة، حتى أنه لم يعد من قوة الفراسة أو معرفة الباطن أن تلقى رجلا في شارع، أو تجده في سيارة، أو يبيعك سلعة أو يبتاع منك بضاعة، أو تشهده يَسْبَح أو يُسبِّح أو يصلي فتعرف أنه تجاني دون أن يذكر ذلك. فهل يتأتَّى لأحد أن يكون سُنِّيًّا ولا يتطهر، ولا يتزكى؟!

[1] – سورة الفتح، الآية 29.

5 - التجانية والجهاد في سبيل الله:

إنهم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1]. مقاتلون بارعون، لا يهابون الموت، إذا حضر، فلا تزلزل قلوبهم حمأة الوطيس، هذا ما يفعله الذكر في الذاكرين، فمن يستشعر عظمة الله وجلاله في قلبه لا يخاف إلا إياه. ولكن ذلك ما يشهده لهم التاريخ، وخاصة تاريخ غرب أفريقيا الذي نسكنه نحن وبعض المبدِّعين الذين يخرجون الناس من الإسلام تبعا لهواهم.

ومن فضل الله على التجانية أن زعيمهم الأول في غرب أفريقيا شيخنا الحاج عمر الفوتي ﷺ هو أكبر مجاهد في هذه المنطقة على الإطلاق. بل إنه الزعيم الدينيُّ الوحيد الذي كان يجمع بين السبحة والقلم والبندقية، وقد بلغ في كلٍّ منها مبلغا بعيدا لا ينازعه فيه منازع.

ومن لطائف الرموز المعبرة في ذلك أن الحروف الثلاثة التي يتكون منه اسمه المبارك (ع =70) – (م = 40) – (ر = 200) تشير إلى:

أ – سنوات عمره (70) سبعون سنة.

ب – عدد معاركه (40) أربعون معركة.

ج – عدد مؤلفاته (200) مائتا كتابٍ.

ولعل المقصود بالمؤلفات هو الكتب الكبيرة، وإلا ففي المتحف الوطني الفرنسي في باريس أربعمائة وسبعة وعشرون (427) مخطوطا، لهذا العالم العارف المجاهد الخارق للعادة.

[1] - سورة الفتح، الآية 29.

وقد ورث أتباعه منه سنة الجهاد (عند الضرورة) فلا تزال أصوات بنادق الشيخ أحمد شيخو (التجاني[1]) وجنده رحمهم الله تدوّي في الآذان، وما زالت سيوفهم تقطر من دماء الوثنيين والمرتدين.

والشيء ذاته يقال في الشيخ مَابَهْ جَخُو بَهْ رحمه الله، وحتى لَتْجُورْ انْغُونِ لَتِّرْ جُوبْ – في أواخر عمره – كان يحارب الوثنيين، والفرنسيين المحتلِّين، وهو ذلك التجاني الذي لقنه الشيخ مَابَهْ الورد التجاني في انْيُورُو NIORO.

والحماهيُّون – أتباع الشيخ الكبير حماه الله رحمه الله تعالى في موريتانيا وهم التجانيون الأصوليون – جهادهم غير خاف إلا على الصم البكم العمي الذين لا يعقلون.

ولا يضر أن الذين أتوا بعدهم من علماء وشيوخ ولم يجدوا للجهاد المسلَّح دواعي، ركزوا جهودهم على التعلم والتعليم والتربية والإرشاد، وهي لا تقل خطورة عن الجهاد بالسنان. فالإسلام – دائما – كلمة وسيف ولوح، فبالكلمة يتضح، وبالسيف يحتمي، وباللوح يتطور كمًّا وكيفًا.

وأدعياء (السنة) الذين يتغنّون بملء أفواههم: (هذه بدعة، تلك ليست بسنة، هذا ما فعله محمد .....) لا نعرف لهم معركة ساخنة واحدة ضد أرنب أو ثعلب، ولم نشهد لهم جهادا في تعمير الأرض، ولم نحضر لهم كفاحا في تنوير العقول، ولا نضالا في توجيه القلوب. فأين السنة؟ وأين الالتزام بها؟ ادِّعاء بلا دليل.

والدعاوي إن لم يقيموا عليها بيّنات أبناؤها أدعياء

[1] – كان أحمد شيخو معروفا بهذا الوصف لدى كل الأوساط.

6 - التجانية وأهل الإنكار:

هذه الطريقة المحمدية الأحمدية ''أمرها قائم بالله'' فالتجانيون من الطائفة التي لا تزال قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي الله بأمره.

إنهم أهل الأذكار يُبْتَلُون - حتما - بأهل الإنكار. والتجانية تتغذَّى بالإنكار وتتقوّى به، ذلك أن ''الذين تكلموا عن الشيخ أحمد التجاني ﷺ وعنهم - قبله - كانوا قالوا: إنه يولد في المغرب الأقصى سنة 1150 ويقطنه، وأنه يكنَّى بأبي العباس، وأنه يكون مبتلى بالإنكار''.

فلو صدق فيه المغربية، وسنة الميلاد والكنية، ولم ينتقده أراذل الناس لتخلفت علامة من تلك العلامات الثلاث التي تجعل منه (خاتم الأولياء وممدهم).

ومن الملحوظ أن الإنكار عليه صادق فيه كالعلامات الأخرى. ألم تر إلى الكتب التي ألفتها مرتزقة اليوم والأمس، ومغفلو البارحة والليلة في السودان والسعودية، ونيجيريا وعانا والمغرب وغيرها من الدول، وما نشر من انتقادات في الصحف والمجلات منذ أكثر من مائة سنة، وما جُنِّد من أموال طائلة، وما مُنِح من شهادات عالية في الشرق والغرب ضد انتعاش التجانية وانتشارها. وكأن ذلك كله يتحوّل إلى (بنزينٍ) يتوقد منه (مُتُورُ) التجانية في انطلاقة مندفعة نحو الآفاق البعيدة، وكأن الناس إذا قرأوا انتقادات المنتقدين يزدادون حبا لهذه الطريقة الغراء، فيتمسكون بحبالهم، ولسان حالهم ينشد قول الشيخ عباس صل ﷺ في دالية كوناكري:

بذا نحن من أمسى يُشمّر كاشفا عن الساق بالإنكار أتْهَم وأنجدا
يزيد لنار الحب فينا تأججا وتصديق ما فوق الذي منه أُوطدا[1]

نعم، إن إنكار المنكرين يزيدنا ثقة بطريقتنا السَّنِيَّة السُّنِّيَّة، لأنه من علامات صدقها، ولأن أمرها قائم بالله، لذلك نتغنَّى – في تَحَدٍّ سافرٍ – قول الشاعر:

كناطحٍ صخرةً يوما ليوهنا فلم يَضِرْها وأوهى قرنَه الوعلُ[2]

ومن سخرية القدر على المنكرين ومجنديهم أنهم – مع كل ما يكتبون أو يستكتبون – لا يصمدون أمام توضيحات التجانيين لطريقتهم أو دفاعهم عنها، فهم (المنكرون) يخافون من الحق، ويفرون من الحقيقة، فحتى كتابي هذا سيكون لهم شجى في الحلاقيم، سيصلح كثيرا مما أفسدوا، وسيهدي – إن شاء الله – عديدا مما أُضِلُّوا، وسيثبِّت جمعا غفيرا من الملتزمين، وندعو الله تعالى أن ينور به بصائر كثير من المتنطعين فيهتدوا، تاب الله عليهم وعلينا بمنه وفضله، ثم بهمة الشيخ التجاني رضي الله عنه.

وأعرف أن بعضهم سيحاولون قصارى جهدهم أن يصرفوا أذنابهم عن قراءة الكتاب لئلا يروا ما فيه من حقائق تفضح زيف مذهبهم، وقد يذهب بعضهم إلى شراء كميات كبيرة منه ثم حرقها، كما تعودوا أن يفعلوا بكل الكتب التي تزعجهم في معتقداتهم، ولا يعرفون أن هذا التصرف الأرعن كستر الشمس بالغربال.

ومهما يكن من شيء فإننا متيقنون من شيئين اثنين:

---

[1] – راجع كتابنا: كتاب التقديس بين التلبيس والتدليس والتدنيس، مرجع سابق، الدرس الثالث في أن التجانية تتغذى بالإنكار وتتقوى به، ص 234 -236.

[2] – **فلم يضرها**: من ضار يضير: أضرَّ به. **أوهى**: أضعف.

1 – أن الإنكار على التجانية قوة دفع لها أكيدة.

2 – أن المنكر عليها أحد هؤلاء الذين يذكرهم شيخنا عباس ﵁ في جيميَّتِه البديعة: (بشرى لمن في ضمان المصطفى ولجا):

ما معرض عنه يوما رب تعصمنا إلا الذي قد قضى المولى به هوجا[1]
إلا الذي شُغْله في غير خالقه وليس يرغب للعليا بأن درجا
إلا الذي لا يَمِيزُ الجدَّ من هزل إلا الذي رأيه في الله ما نضجا

لكن الأمور كلها بيد الله ''وكل شيء عنده بمقدار [2]'' وقد قال: «وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ [3]».

7 – التجانية ووحدة المسلمين:

سترى – يا أخي – في شروط الطريقة أن منها شرطا ينص على أن يتودد المريد التجاني إلى خلق الله، ولا يقاطعهم إلا لموجب شرعي أكيد. والواجب هنا التودد إلى (خلق الله) عامة لما ورد في الحديث: (الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) وفي رواية (لخلقه) رواه البيهقي في الشعب. والطبراني في الكبير والأوسط، والنووي في الأذكار.

ومن يتودد إلى الخلق عامة، فالمسلمون بالأولى لما لهم من مكانة خاصة بقوله تعالى: «إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»[4] ولقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وفي رواية (لا يكمل إيمان أحدكم) انظر تحفة الأحوذي

[1] – الضمير في (عنه) يعود إلى الشيخ التجاني المذكور سابقا. **الهوج**: حمق وطيش وتسرعه، فهو أهوج. وهي هوجاء.

[2] – سورة الرعد، الآية 8.

[3] – سورة التكوير، الآية 29.

[4] - سورة الحجرات، الآية 10.

للمباركفوري، وتخريج أحاديث الإحياء للعراقي. وقد رواه الشيخان بلفظ (المؤمن يحي لأخيه ما يحب لنفسه).

فالتجانية لا يكفرون أحدا من أهل القبلة حتى هؤلاء الذين يكفرونهم ظلما وعتوًّا، فرحمة الله تعالى تسع جرائمنا وجرائم كل المسلمين، ومغفرة الله أوسع من ذنوبنا وذنوبهم وذنوب جميع المسلمين، لذلك تجدنا ندعو لهم في التشهد، وفي الأدعية العامة الأخرى الكثيرة.

ولعل من آكد الأدعية علينا المُسَبَّعَتَيْنِ الأخيرتين في دعاء المسبعات العشر الذي من أهم أورادنا الاختيارية ونصهما:

أ – اللهم اغفر لي ولولديّ وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، 7 مرات.

ب – اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا وبهم يا مولانا ما نحن أهل، إنك غفور رحيم حليم جواد كريم رؤوف رحيم، 7 مرات.

هذا دعاء عن ظهر غيب لإخواننا المسلمين والمسلمات كما أُمِرْنا به، نقرأه صباحا ومساء مخلصين لله تحقيقا للأخوة الإيمانية.

أما ساداتنا الأولياء فيدخلون ضمن هذا الدعاء بطريقة أولى لمراتبهم الربانية الرفيعة عند الله وعندنا. ثم إن أحد شروط الصحة المتعلقة بالشخص يأمر المريد التجاني: «أن يعظم جميع الأولياء، لأنهم أحباب الله، فبتعظيمه واحترامه لهم يصطفيه الله ويقربه إليه. وباستهانته بهم يهينه الله، ويغضب عليه، والعياذ بالله».

قال سيدنا ﷺ وعنا به في رسالة التحدث بالنعمة – بعد كلام – ما نصه: «فعظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات، فإن من عظّم حرمتهم عظم الله حرمته، ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه، فلا تستهينوا بحرمة الأولياء[1]».

وكان من تعظيم شيخنا ﷺ لجناب الأولياء أنْ منع أحد مريديه أن يمد رجله إلى روضة مولاي إدريس أحد الأولياء المدفونين في فاس، لما اشترى ذلك المريد بيتا بجانب الروضة.

وقد نص الشيخ في جواهر المعاني أن الطريق كلها موصلة مسلكة إلى الله تعالى[2]. وقد نظم سيدي الحاج مالك سي ﷺ هذه المقولة الذهبية التي قد تكون الأولى من نوعها، فقال في كتابه نيل المرام:

فالطرق كلها إلى الرحمن موصلة مسلكة يا جاني

وقد قال الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي:

ربي إني صدقت كل ولي راعيا قدرهم بعين احترام
غير أن ابن سالم هو شيخي وملاذي وعهدي وإمامي

ولسان حال تجاني ينشد قول الشاعر:

أحب الصالحين ولست منهم وأرجو أن أنال بهم شفاعه
وأكره من تجارته المعاصي وإن كنا سواءً في البضاعه

[1] – جواهر المعاني جـ 2 صـ 197، والفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد لسيدي محمد بن عبد الله بن حسين، ص 39.
[2] – جواهر المعاني جـ 1 صـ 53.

إنها نحبهم جميعا، ونحترمهم كلهم، ونستعيذ بالله أن نستخف بهم، ولكنا نعلنها مدوّية في الآفاق (نكتفي به وحده في الاستعداد) وليس ذلك تكبرا منا، أو تنقيصا لحق أحد، إنه احترام لمبدإٍ صوفي رئيس (ضرورة اقتصار مريد واحد على شيخ واحد) فمتى استشعر المريد بأن شيخه لا يفيده تخلّى عنه وانتقل إلى غيره، لكن الاحتفاظ به وضم شيخ آخر إليه نوع من العبث أو ضرب من اللهو.

فكما أن مريضا واحدا بين أطبّاء متعددين كل يصف له لا يُشفى غالبا، فكذلك المريد لا يفلح بين شيوخ كثير لكل منهم تربيته الخاصة. وحتى الجهاز الواحد (التلفزة أو الحاسوب) لا ينجو من العطب السريع إذا كانت تتصرف فيه أيدٍ كثيرة. والمرأة الواحدة في زمن واحد لا تنكح إلا رجلا واحدا في منطق العقل، وتعاليم الدين. ومن يقل غير ذلك فخلقه ودينه في أزمة خانقة، نسأل الله العافية والسلامة.

والمشكلة – بعد – قد انجلت بقول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٢٩﴾[1].

فأين إيمان الذين يدعون المريدين إلى أن تتجاذبهم أحوال الشيوخ وطرائق تربيتهم، وما أنزل الله به من سلطان؟ لماذا يريدون منا هذا الذين يرفضه القرآن؟

لطيفة لافتة للنظر: التجانية أفضل طريقة بعد .....؟

اسأل يا أخي أهل أي طريقة في العالم ما أفضل طريقة؟ يجيب كل منهم طبعا طريقتي وإذا قلت: وبعدها؟ يقول الجميع: التجانية، واسأل أدعياء السنة ما

[1] – سورة الزمر، الآية 29.

أقرب الطرق أو الطوائف إلى السنة بعدكم؟ يقولون التجانية. والمعادل الرياضية لهذا هي: أن التجانية (أكثر الطرق والجماعات انتشارا في العالم على الإطلاق) هي الأولى من حيث سنيتها عند أهلها، ولأنها هي الثانية عند أهل الطريق والجماعات الأخرى بعد كل واحدة منها فهي إذن الحائزة قصب السبق دون امتراء، فقد انبلج الحق لذي عينين.

المبحث الثالث:

شروط الطريقة التجانية:

إذا اقتنع مسلم أيّ مسلم بأسس الطريقة التجانية، وأهدافها، وتيقّن من سنِيَّة أورادها، وأراد الانخراط في سلكها المحمدي الصافي يتحتَّم عليه أن يقف على شروط معيّنة ويتعهّد عليها ليتمّ قبوله في الطريقة، ولكن ليبقى عضوا فيها على الدوام.

والطريقة التجانية إذ تضع هذه الشروط التي سنتحدّثُ عنها، والتي نجد لكلّ واحد منها أصلا أصيلا واضحا في الشريعة الإسلامية، لا تتميَّز فقط في الالتزام بمرتبة الإحسان، وإنما تتقوّى في ضبط المريد داخل جدران الشريعة الفولاذيَّة حتى أنه لا يستطيع بعون من الله أن يفسق منها. وقد قدمنا أن من يرتّب لك أورادا بعد صلاة الصبح لا يقبل منك أن تتهاون بالصلاة ذاتها، كيف لا، والورد المسائي التجاني لا يصح إلا بعد صلاة العصر.

(والمسلمون على شروطهم ما لم يحلِّلوا حراما أو يحرِّموا حلالا) وكان بعض الصحابة لا يسألون الناس شيئا، حتى السوط إن سقط، لأنهم بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك.

فعن أبي مسلم عوف بن مالك الأشجعي قال: (كنا عند النبي ﷺ سبعة أو ثمانية أو تسعة فقال: ألا تبايعون رسول الله، فبسطنا أيدينا، فقال قائل: يا رسول الله، كنا قد بايعناك، فعلام نبايعك، فقال: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا،

وتقيموا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا (وأسر كلمة) ولا تسألوا الناس شيئا، قال: فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا يناوله إياه[1])

أوردت هذا الحديث بهذا الشرط حتى لا يتطاول المتنطعون على العلم والعلماء ويقولوا: هذه الشروط شريعة جديدة. إنها موضوعة لمن يريد أن يكون تجانيا ويقتدي بشيخنا أحمد التجاني فيما رتّبه له جده سيدنا محمد ﷺ، أما هؤلاء الذين لا يريدون، فنقاشنا وإياهم في غير هذه الشروط، ونقنعهم إذا تخلوا عن التعصب والهوى إن شاء الله.

ونحن سنتحدث عن واحد وأربعين شرطا تتأرجح بين شروط صحة وشروط كمال، ولا يضر أن يكون هناك بعض الخلاف في العدد أو في التقسيم، فبعض ما يسميه كتاب معين شرطا مثلا تجده أدبا في كتاب آخر. أما شروط الصحة فلا خلاف فيها بين العلماء التجانيين إلا في شرط واحد سَنُبَيِّنُهُ في محله إن شاء الله.

واعتمادنا في هذا المبحث على:

1 – رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لسيدي الشيخ عمر بن سعيد الفوتي الذي عد شروط الطريقة واحدا وعشرين لكنه أتى بثلاثة وعشرين.

2 – فاكهة الطلاب أو جامع المرام لسيدي الحاج مالك سي الذي نظم الشروط الثلاثة والعشرين التي أتى بها شيخنا الفوتي.

3 – الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني لسيدي الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري الذي أتى بسبعة وعشرين شرطا، وقسمها تقسيما تعليميا بديعا، رحمهم الله جميعا – ونفعنا بركاتهم آمين.

[1] – ابن ماجه رقم 2867 والنسائي 2580 وأبو داود 164 صحيح مسلم شرح النووي – كتاب الزكاة.

ولما تأملنا أعمالهم الجليلة التي استقوها من جواهر المعاني ارتأينا أن نقوم بالتقسيم التالي:

أولا: شروط أساسية تلزم المريد مدى الحياة:

ولا تتعلق بعبادة معينة، ولا بوقت معين، أي أنها لا تقبل المساومة بأي حال من الأحوال.

وهي قسمان:

أولا: قسم يحدد دخول المريد في سلك الطريقة التجانية، وهو:

1 – صحة إذن الملقن، بأن يكون أهلا للتقديم ومأذونا له بإعطاء الورد من صحيح الإذن عن صحيحه إلى الشيخ التجاني رضي الله عنه.

2 – أن يكون طالب التلقين مسلما صحيح العقيدة عاقلا مميزا، غير مرتبط بورد آخر في طريقة أخرى.

ويلقّن الرجل والمرأة والشيخ والصبي والطائع والعاصي والحر والعبد، والغني والفقير والعالم والجاهل. كيف لا وهي سفينة نجاة؟!

ثانيا: قسم يضمن احترامه للمريد بقاءه تجانيا، ومعنى ذلك أنه إذا أخل بواحد من تلك الشروط ينقطع كليا، ولا يشفعه إلا التوبة النصوح، والتجديد، وهي سبعة:

1 – الانفراد بهذه الطريقة طول الحياة، فلا يجمع بينها وبين غيرها من الطرق بأي حال من الحوال.

2 – عدم زيارة أي ولي غير تجاني حيا كان أو ميتا زيارة استمداد.

يقول الشيخ محمد الحافظ رضي الله عنه: «وقد نص أكابر أهل التربية في كل طريق على ذلك، فذكره سيدي محيي الدين ابن العربي، وسيدي علي الخواص، وابن حجر الهيثمي، والشعراني، والشيخ زروق، والشيخ السمنودي، والدردير، والشريشي، وابن البنا السرقسطي، وابن عجيبة، وسيدي عبد العزيز الدباغ، والشيخ الكنتي، والإمام الفاسي، والشيخ محمد بن عبد الله الخاني الخالدي النقشبندي وغيرهم من سائر الطرق (فهو أمر متفق عليه)[1]»

أما زيارة أخوة وصداقة وإمداد فمأمور بها شرعا، ومؤكدة طريقةً نصت عليها الكتب التجانية، وبيَّنتها بكل وضوح.

ومن الجدير بالذكر هنا أن شيخنا التجاني رضي الله عنه قد أذن لأصحابه إذنا عاما في زيارة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأصحاب النبي ﷺ.

3 – مداومة الورد بلا انقطاع إلى الممات. فلازم الطريقة (الورد الصباحي والمسائي والوظيفة وذكر عصر الجمعة) يداوم عليه، ولا يتركه أبدا إلا لعذر.

4 – استمرارية الاعتقاد في الشيخ رضي الله عنه، وتصديقه في جميع أقواله التي صحت عنه. وهذا معلوم عقلا ونقلا بالضرورة، فالذي لا يُصدّق مخبره لا يمكنه أن يعتمد عليه، وبالتالي لا يتأتى أن يكون شيخا له.

5 – عدم الانتقاد على الشيخ، فلا بد من الثقة به، والتسليم له، فإذا خفي له وجه مما يأتي به يبحث له وجه شرعي مقبول، وإلا يكن متيقنا أن الشيخ أعلم بالشريعة وأحرص عليها منه.

[1] – قصد السبيل في الطريقة التجانية 13.

6 – دوام محبة بلا انقطاع، وهنا مكمن صدق الاعتقاد، والسلامة من الانتقاد. وعلى قدر المحبة يكون سريان المدد منه، ومن علامتها أن تكون راحته في ذات شيخه.

7 – عدم صدور سب أو بغض أو عداوة للشيخ رضي الله عنه، أو سقوط لحرمته. وعلامة سقوط الحرمة أنْ لا يبالي بأمره أو نهيه كما ذكره الشيخ في الجواهر.

«فمن خالف شرطا من هذه الشروط فقد انقطع ورفع الإذن عنه في الحال، ولا يعود إلى الاتصال بالشيخ حتى يتوب ويجدد له الإذن»[1].

ثانيا: شروط صحة تتعلق بالشخص:

1 – المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها، في الجماعة إن أمكن، مع استكمال شروطها وأركانها وهيئاتها، ودوام الخشوع له. وكذلك المحافظة على جميع الأمور الشرعية.

2 – عدم الأمن من مكر الله في أي حال من الأحوال. قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩٩﴾[2].

وقد كان سيدنا الشيخ رضي الله عنه يؤكد هذا الشرط في غالب أقواله، وكان كثيرا ما ينشد لأصحابه هذين البيتين:

وآمن مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله عارف

ولا جاهل إلا من الله آمن ولا عارف إلا من الله خائف

[1] – قصد السبيل في الطريقة التجانية.

[2] – سورة الأعراف، الآية 99.

ومن أقواله ﷺ: أبشروا، إن كل من كان في محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أيِّ حالةٍ كان ما لم يلبس حلة الأمان من مكر الله.

3 – أن يَبُرَّ والديه لأنهما السبب الوحيد في إنشاء الإنسان ووجوده في الدنيا.

4 – أن يكون صادقا في أقواله. والصدق أول قدم يضعه المريد على طرق السادة الصوفية. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ١١٩﴾[1]

5 – أن لا يؤذي أخاه في الطريقة. «قال شيخنا ﷺ، قال لي ﷺ: قل: لأصحابك: لا يؤذوني بإذاية بعضهم بعضا». قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَٰخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ٥٧﴾[2].

6 – أن يتجنب من يبغض الشيخ ولا يجالسه، فالبغض يسري في قلب المجالس كالسم. «إن اطباع تسرق الطباع» قال في المنية:

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك وضل في مَهَامِهٍ وفي حَلَكْ

7 – عدم التصدر لإعطاء الورد من غير إذن صحيح.

8 – أن لا يتهاون في الورد، فلا يؤخره عن وقته إلا لعذر.

9 – أن يحترم كل من ينتسب إلى الشيخ لا سيما أهل الخصوصية.

10 – أن يكتم أسرار الطريقة عن غيرها.

11 – أن يعظم جميع الأولياء، لأنهم أحباب الله، وبذلك يصطفيه الله، ويقربه إليه، واستهانته بهم يهيبه بهم يهينه الله، ويغضب عليه، يقول شيخنا

[1] – سورة التوبة، الآية 119.

[2] – سورة الأحزاب، الآية 57.

التجاني رضي الله عنه: «فعظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات، فإن من عظم حرمتهم عظم الله حرمته، ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه».

ثالثا: شروط صحة تتعلق بالورد:

1 – النية، فإن الأوراد أصبحت واجبة للالتزام كسائر العبادات المنذورة، فلا بد من نية تميزها عن مطلق النفل.

2 – طهارة الحدث بالماء، أو التيمم بموجبه على الحد الشرعي.

3 – طهارة الخبث من البدن والثوب والمكان على الحد الشرعي.

4 – ستر العورة كالصلاة.

5 – عدم الكلام من ابتداء الورد إلى انتهائه إلا لضرورة فيشير، فإن لم تفهم الإشارة تكلم كلمة أو كلمتين.

تنبيهان:

أ – ليس من الكلام الممنوع إجابة الولد لوالده ولوالدته، والزوجة لزوجها، والمريد لشيخه الملقن ولو كثر الكلام.

ب – يستشكل بعض القوم رد السلام أو عدمه عند الذكر. علما بأن رده واجب، والمحقق فيه أن من العلماء من يوجب على الذكر عدم رد السلام، لأنه مشغول بالله تعالى، فلا يصح أن يصرف عن حضرته عز وجل كما لم يوجبوه على الآكل والمتوضئ وغير ذلك. قال العلامة سيدي عياض رضي الله عنه: وهذه إحدى النظائر التي لا يسلّم فيها على الإنسان، وإن سلّم فلا يرد، قال بعضهم:

رد السلام واجب إلا على من في صلاةٍ اَو بأكل شغلا

أو شربٍ أو قراءة أو أدعية أو ذكرٍ اَو بخطبة أو بتلبيه

أو قضاء حاجة الإنسان أو في إقامة أو في الآذان
أو سلم الطفل أو السكران أو شابة يخشى بها افتنان
أو فاسق أو ناعس أو ناعم أو حالة الجماع أو تحاكم
أو كان في الحمام أو مجنونا فواحد من بعده عشرونا[1]

6 – عدم الأكل والشرب، ويبطل الورد بقليله وكثيره[2]. أما الوظيفة فلا تبطل إلا بالكثير منه.

7 – الطهارة المائية للجوهر، إلى جانب مكان طاهر يسع ستة أشخاص.

ملحوظات:

أ – لا تقرأ جوهرة الكمال على ظهر دابة، ولا على سفينة صغيرة، ولا داخل سيارة.

ب – إن كلا من المتيمم، ومن في ثوبه أو في بدنه نجاسة، أو كان في مكان ضيق جدا أو داخل سيارة يقرأ عشرين من صلاة الفاتح في الوظيفة بدل الجوهرة.

ج – يستثنى من المكان الضيق بيوت الخلوات، والأماكن المخصصة للعبادة التي الطهارة الكاملة فيها مضمونة معتادة.

شروط كمالية تتعلق بالشخص:

1 – أن يأتي بالبسملة متصلة بالحمد لله رب العالمين في جميع الصلوات، يجهر بها في الفريضة الجهرية.

[1] – قصد السبيل في الطريقة التجانية 20 و21.

[2] – تجد في بعض الكتب جواز أكل وشرب قليلين أثناء الورد ولكن إن الذي يجعل عدم الأكل والشرب بعد الورد مباشرة شرطَ كمال هل يعقل أن يسمح لك بالأكل والشرب خلاله.

2 – أن يطمئن في الركوع والسجود بقدر قوله سبحان الله العظيم، ثلاثا.

يقول سيدي الحاج مالك ﷺ في كتابه فاكهة الطلاب:

لا بد من ثلاث تسبيحات على التراخي فزت بالخيرات
أقلها فنقرة الغراب وقد نهاها الهادي للصواب
وجاء في عوارف المعارف أن الكمال العشر عند العارف
تأتي بذا العدد بالخشوع بعد التمكن من الركوع
ولا تكن آخره ممتزجا بالرفع، ولتك بذا منتهجا
ولا تصل خلف من لا يأتي قدر الثلاث مدة الحياة
بذاك أفتى شيخنا التجاني وراجعن جواهر المعاني
في غنية الجيلان ما معناه موافق لما روى الأواه
إن خفّف الإمام الاطمئنانا أدّى لمقتدٍ به البطلانا

3 – أن يتهجد ولو بركعتين يقرأ فيهما ما تيسر من القرآن. وقد كان سيدنا ﷺ يرغب في ذلك غاية الترغيب حتى كاد أن يجعله ركنا من أركان طريقته، وقد زجر من قال له: «يا سيدي أنا لا أقدر أن أقوم قبل الفجر بقوله: أنت رجل لا تصلح لطريقتنا، فاترك سبحتنا عنك»[1]

4 – أن يلازم رواتب الفرائض، وقد حثت السنة الشريفة على ذلك كثيرا.

5 – أن يفتتح الأذكار بالمقاصد المعهودة عند أهل الطريقة.

[1] – الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني، مصدر سابق ص 26.

ومن الكيفيات المختصرة أن يتعوذ ويقرأ الفاتحة وصلاة الفاتح مرة ثم (سبحانك رب العزة الخ). ثم يتلو عند بداية كل ركن آيةً مناسبة له.

مثل ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. ثم لبيك الله ربي وسعديك والخير كله في يديك، وها أنذا عبدك الضعيف الذليل قائم لك بين يديك أقول مستعينا بحولك وقوتك امتثالا لأمرك وتعظيما وإجلالا: أستغفر الله أستغفر الله، ثم لبيك اللهم ربي وسعديك الخ.

ومثل ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[2]. ثم لبيك الله ربي وسعديك الخ لا إله إلا الله لا إله إلا الله. وهناك مقصد يذكر مرة واحدة في افتتاح الورد وقد لخصه سيدي الحاج مالك سي ﷺ في أبيات نوردها فيما يلي من فاكهة الطلاب يسهل حفظها بإذن الله تعالى:

إني نويت رب بالتلاوهْ ذا الورد تعظيما لذي الجلالهْ
كذا لإجلال ولابتغاء مرضاتك العليا بلا خفاء
قصدا لوجهك الكريم العالي ومخلصا لك مع ابتهال
ربي مِنَ اَجْلك وقد أقول بحسن إمدادك يا مقيل
عونك حولك ومعْ قوتكا وما وهبتنيه من نعمكا
توفيقك المرجوّ مستعينا بك وأنت خير من معينا
أعوذ بالله من الشيطان رجيمك اللعين ذي العدوان

[1] - سورة المزمل، الآية 20.

[2] – سورة البقرة، الآية 152.

6 – السكوت والسكون عقب الأوراد. يقول سيدي النظيفي في الدرة الخريدة:

ولازم سكونا، والسكوتَ لوارد فتظفر بالمُنَى بأسرع لحظة

وقال في شرح هذا البيت: (أنه إذا ختم سكت وسكن، واستحضر الذكر بإجرائه على قلبه مترقبا لوارد الذكر، فلعله يرد عليه وارد في لمحة، ويعمر وجوده في لحظة ما لا تعمره المجاهدة والرياضة في ثلاثين سنة. وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع أو تحمل أذى أو سخاء أو كشف أو محبة أو غيرها. فإذا سكت وسكن وكتم نفسه مرارا دار الوارد في جميع عوالمه، فيجب عليه التمهل حتى يتمكن وإلا ذهب .... (أن يَزُمَّ نفسه حتى يدور الوارد في جميع عوالمه، لأنه أسرع لتنوير البصيرة، وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشياطين)[1]

شروط كمالية تتعلق بالورد:

1 – الجلوس للورد فلا يذكره مضطجعا، ولا قائما إلا لعذر، ويصح ذكره ماشيا إن تحرزت النجاسة.

2 – استقبال القبلة إلا لعذر كمسافر لا يستطيع استقبالها.

3 – الإسرار في الورد، وحدُّه أن يسمع نفسه، والجهر في الوظيفة وهيللة الجمعة إن كان في جماعة.

4 – استحضار معاني الذكر ما استطاع مع الترتيل. واجتناب اللحن.

[1] – الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة جـ 3 ص 243.

5 – استحضار صورة الشيخ رضي الله عنه، وأعظم منه استحضار النبي ﷺ، فإن لم يقدر لا على هذا ولا ذاك فَتَصَوُّرُ صورة شيخه الملقن قد يكون سهلا عليه.[1]

ومهما يكن من شيء فإن هذا التصور يشغل الخيال عن التصور الباطل، ويجمع الفكر، فلا يشتت فيما لا فائدة فيه.

6 – ترتيل الأوراد، فلا يسرع في قراءتها ولا يلحن فيها.

7 – الاجتماع للوظيفة، ولذكر الهيللة بعد عصر يوم الجمعة إن كان معه إخوان إلا لعذر شرعي.

هناك من يجعل عرض شروط الطريقة الأساسية على المريد عند التلقين شرطا في صحة التلقين حتى أن المقدم الذي يلقن الطريقة من غير عرض الشروط على المريد يرتفع عنه الإذن. راجع ذلك في:

1 – النفحة الفضلية للشيخ بدر عبد الهادي سلامة في آخر الشرط التاسع والعشرين.

2 – فصل المقال في رفع الإذن عن المريد التجاني في الحال للشيخ محمد الحافظ التجاني المصري.

3 – أصفى مناهل الصفا للشيخ محمد الحافظ التجاني المصري.

4 – الجواهر العلية في فقه الطريقة التجانية للشيخ محمد سعد الرباطابي.

5 – الدرر السنية في شروط وأحكام الطريقة التجانية محمد سعد الرباطابي.

6 – اليواقيت والجواهر المضيئة في التعريف بسيدي أحمد التجاني وسيرته الرفيعة للشيخ الحاج مكي عبد الله التجاني.

[1] – وهذا الاستحضار ينافي الاستماع إلى الإذاعة والتفرج على التلفاز أثناء الورد. أو أداء الورد في مكان يسوده فيه الضوضاء بالغناء وغيره.

أقول: لما كانت الشروط موضوعة لتحترم ولا يمكن للإنسان أن يحترم ما لا يعرف فإن أهمية هذا الشرط الذي تحدث عنه كل هؤلاء السادة الأجلاء رحمهم الله تتجلى للأذهان بكل وضوح.

ملحوظة:

1 – من نظر في كتب الطريقة يجد أن هذا الشرط يتأرجح بين أن يكون شرط كمال كما أورده صاحب الفتح الرباني، وبين أن يكون شرط صحة كما ذهب إلى ذلك كل من الشيخ البعقيلي في الإراءة (الجزء الأول)، وصاحب السر الأبهر في أوراد القطب الأكبر، وكذلك الشيخ إبراهيم انياس في جواهر الرسائل فهؤلاء الثلاثة – وهم حجة في الطريقة – نصوا على أن من قرأ الوظيفة وحده من غيره عذر شرعي لا تجزئه نسأل السلامة والعافية.

2 – يشترط للاجتماع للوظيفة التحليق أو الصف والجهر. أما نشر الثوب الأبيض فمندوب فحسب.

صفات المقدم:

1 – الحصول على إذن صحيح بإعطاء أذكار الطريقة اللازمة.

2 – أن يكون ذا أهلية للتقديم، وذلك بأن يكون على الأقل:

أ – عالما بأحكام الطهارة استبراء ووضوء، وغسلا وتيمما، وكذلك كل ما لا تصح الصلاة إلا به.

ب – ملما بشروط الطريقة الصحية والكمالية، وإلا فكيف يوجه ويرشد المريدين؟

جـ – عارفا بالمقصود من الدخول في طرق المشائخ، ولماذا يُصْحبون وأهمه:

أن تجذبه موالاة الشيخ إلى موالاة الله تعالى، لأن الشيخ المصاحب من أولياء الله تعالى، وأنه يعرف أدب الحضرة الإلهية ويدل من يصحبه بصدق على ذلك.

3 – أن يعرض الشروط الأساسية على طالب الورد الذي يجب عليه أن يقبلها صراحة.

4 – أن يكون متدينا، 5 – ذكيا، 6 – أمينا، 7 – حليما، 8 – عالي الهمة، 9 – لا يسأل المريد شيئا، 10 – يصلح بين الإخوان، 11 – يلين لهم، 12 – يمنع الوشاية والسعاية بلين، 13 – منهجه «يسروا ولا تعسروا».

تفريع وتنبيه:

❶ – التفريع: جواز تقديم المرأة:

إن الأهلية وما فُسِّرت به هي المدار في الطريقة، ومعنى ذلك أنها حيثما وجدت في أهل الطريقة، فذلك محل التقديم سواء أكان رجلا أم امرأة.

وقد ألَّف شيخنا العارف بالله سيدي أبو بكر عتيق بن خضر التجاني رحمه الله رسالةً عَنْوَنَهَا بـ(رفع الاعتراض والملام عمّن قدم المرأة لتلقين ورد خاتم الأعلام) قال فيها: «اعلم – أيها الأخ – أن تقديم النساء لإعطاء الورد التجاني اللازم وغيره من أسرار الطريقة وأورادها الخاصة جائز لا اعتراض على فاعله ولا لوم بشرط الأهلية في ذلك».

والدليل على جواز ذلك أن جميع مشايخ الطريقة الذين وضعوا التآليف في شأن الورد ما اشترطوا الذكورة في المقدم، وإنما اشترطوا الأهلية فقط، كما هو

مبسوط في كتبهم كبغية المستفيد، وشهدة الجاني وشرحها تيسير الأماني ودرة التاج، وشرحها المسمى بالكوكب الوهّاج[1].

ومن المقدمات البارزات:

1 – الشيخة العارفة خديجة القارعة شيخة المغرب في زمنها، التي قدمها الشيخ العارف بالله سيدي محمد فال بن باب بن أحمد بيب. وقد أجازت بعض الشيوخ في دائرة الإحاطة والاسم الأعظم الخاص، وغير ذلك من أوراد الطريقة.

2 – الشيخة العارفة الملقبة بـ«الله حيّ» لكثرة تكرارها هذه الجملة، وقد قدّمها الشيخ محمد الفوتي الشهير بألفا هاشم رضي الله عنه وأذن لها في جميع أوراد الطريقة وأسرارها. وهي «الله حيّ» قدَّمت قبل وفاتها بقليل السيدة البارة سكينة المصونة رضي الله عنها.

3 – السيدة فاطمة الخيّرة زوجة سيدي محمد الحافظ العلوي الشنقيطي رضي الله عنه، وهو الذي قدَّمها، وقد بلغت مقام التربية في الطريقة التجانية.

هذا وقدَّم الشيخ محمد الحافظ العلوي المذكور والدة الشيخ محمد الحنف، وجعلها من العشرة الذين أمره الشيخ رضي الله عنه بتقديمهم، كما في (روض الشمائل).

ملحوظة: إن قلة المقدمات التجانيات لا تعود إلى الجنس، وإنما إلى عدم تعلم جلهن أحكام وشروط الطريقة التجانية، أي عدم الأهلية، وذلك يصدق في الرجال، فمتى فُقِدت الأهلية يمتنع التقديم، وإن قلّت يقلّ.

[1] – أربعة كتب لسيدي أبي بكر عتيق التجاني/ الرسالة الثالثة صـ 28.

❷ - **تنبيه**: تقديم من لا أهلية له جريمة نكراء لا تغتفر، لكنه تقديم لا يفيد شيئا، إن لا معنى له على الإطلاق.

هناك تساهل لافت للنظر لدى بعض ساداتنا في إعطائهم الإجازات لأشخاص لا يستحقون في الظاهر الإجازة التي يتحلون بها من طرف مجيزهم عفا الله عنا وعنهم جميعا.

ذلك بأننا نرى مقدِّمين لا يعرفون من شرائط الطريقة وأركانها شيئا تقريبا، ولا يدرون لما أجيزوا في الطريقة إن لم يكن:

① - الهدايا الثمينة التي يقدمونها إلى ذلك «الشيخ» السخي «ينشر» الإجازات ويوزعها، كما تنشر حبوب الدخن على الدجاج والحمام.

② - كون المقدّم رئيس دائرة نشيط خبير في حصد مريدين «للشيخ» المجيز.

③ - قرابته بالمجيز حسبا أو نسبا أو صداقة.

والحق أن بعض ساداتنا يرد إليهم مريد يطلب إجازة لأنه ممثل «الحضرة» في مكان كذا، أو هو ابن فلان التابع المعروف، أو أن أبي توفي ولم يجزني وأنا ابنه الأكبر وخليفته، أو أن ممثل الشيخ الفلاني عندنا قد أجيز. وهو كذا كذا. وإن لم أحصل على الإجازة مثله فسيكون كذا كذا، ويقدمونهم دون أدنى تحقق من أهلِيَّتهم المشروطة في الطريقة.

وهناك من يطلب التقديم لأنه سمع أن بعض أذكار الطريقة يحتاج إلى إذن فأعتقد أن الإجازة تسمح له بذكر تلك الأسرار، وهيهات، فإجازات العواطف هذه لا تسمن ولا تغني من جوع.

يقول الشيخ عباس صل التجاني في كتابه تحقيق المباني في أحكام طريقة الختم الأكبر أبي العباس أحمد التجاني: «فإن قلتم فما بالُ الْكُمّل من المقدمين من أهل الإذن في التقديم والحلفاء القائمين بالنيابة عن الشيخ رضي الله عنه وعنهم يسارعون في إعطاء التقديم لمثل هؤلاء الموصوفين بالصفات المتقدمة في أغراضهم الفاسدة، كأنهم يرضون لهم ذلك مع ما لهم من العلم الصميم بالوعيد الوخيم على التساهل بذلك العهد القديم، قلت: سبحان الله، فالكمَّل منهم لا يخالطون العامة غالبا، فلا يعلمون ما هم عليه إنما يحكمون بالظواهر، ويأتون إليهم بوجه من التلبيس والخديعة وما يحجم القلم عن التلويح به فضلا عن التصريح، جهلا منهم أنهم ولو ساعدهم أرباب الإذن الصحيح بذلك مع عدم الأهلية لا ينفعهم ذلك شيئا لا في الحال ولا في المآل. قال الله تعالى ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[1].

والمعلوم من القواعد الشرعية أن المعدوم شرعا كالمعدوم حسا، قال شيخنا وعمدتنا خاتمة السلف وقدوة الخلف مولانا الحاج مالك بن عثمان عليهما من الله أكمل رضوان:

ولا تظن نيلك التقديما أو العمامة كفى تقديما

رضي الله عنه وجزاه عن الإسلام وعن الطريقة خيرا»[2].

تحذير: لا تقبل التجانية تلقينها مع طريقة أخرى أو أكثر من شخص واحد أو لشخص واحد.

[1] – سورة النساء من الآية 142.

[2] – تحقيق المباني في أحكام طريقة الختم الأكبر أبي العباس أحمد التجاني صـ 1و2.

نسمع من حين لآخر أن الشيخ الفلاني كان – أو ما زال – يلقن جميع الطرق الصوفية بما فيها التجانية.

فالحق – والحقَّ أقول – أن الطريقة التجانية لا تقبل هذا الخلط أو هذا الغلط الخطير من أي أحد كائنا من كان، ولا نعرف في ذلك أي خلاف بين ساداتنا خلفاء الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه وعنهم.

وقد أفرد خديم الحضرة المدقق المحقق سيدي الشيخ أحمد سكيرج رضي الله عنهم تأليفا فريدا لهذا سمّاه: (تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان، ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان)[1].

هذا ما يقوله أهل الطريقة، ولا يُعقل أن يكون غيرنا أعرف منا بشرائطها. فأهل مكة أدرى بشعابها كما يقول المثل العربي.

كيفيات التلقين:

لتلقين الورد كيفيات متعددة الأصل فيها – بعد عرض الشروط على طالب الورد وقبوله إياها – أن يقرأ المقدم فاتحة الكتاب، مرة، والاستغفار القيّومي، 3 مرات وصلاة الفاتح، 3 مرات ثم يختم بإن الله وملائكته الخ، أو بآخر سورة اليقطين فقط، ثم يصرح بأني أعطيتك الورد التجاني الذي طلبته بعد عرض الشروط عليك وقبولك إياها. أو أي صيغة أخرى تدلُّ على مثل هذا المعنى. ثم

[1] – كتاب مطبوع في مطبعة النهضة – تونس سنة 1921م فليراجع.

يصافح الرجل[1] ويقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ﴾[2].

ويمكن استعمال الكيفيات التالية بالتلقين عن طريق:

الهاتف – البريد – الفاكس – الإنترنت.

إذ كلها وسائل معتمدة سُخِّرت للإنسان عليه أن يستغلها لنشر الطريقة، والله أعلم.

[1] – أما المرأة فلا يصافحها أجنبي عنها أبدا. وكذلك الخنثى مشكل.

[2] – سورة الفتح، الآية 10.

الفصل الثالث: شبهات وردود

المبحث الأول: شبهات وردود

الفصل الثالث:

المبحث الأول:

شبهات وردود:

نعتقد أن شَبَحَ تبديع الطريقة وأورادها الذي كان يجثم على مخيلات بعض قد اندحر، وانزاح كليا بالبحث العلمي الذي قدمناه في الفصلين السابقين.

ونؤمن أن أحدا لا يقرأ هذه التوضيحات – وهو مؤمن حر مستقل ماديا – ثم يتردد في الحكم على أن التجانية من صميم الشريعة الإسلامية، ومن لب السنة النبوية.

نعم، قد يقول: إن السنة من السعة بحيث لم يكن يعرف كل هذا منها. أما الآن فهو يعرف ويعترف بالواقع: أن التجانيين سنِّيّون من الدرجة الأولى، ونحن إذ نشكر له أوبته هذه نرجو أن يبلغ كل المناوشين قول الشاعر:

من لم يحط بجلة الشريعه إنكاره لمهلك ذريعه

غير أن تغطرف بعض المباطلين ينهمك – دائما – في غلوائه حتى إذا انسدت أمامهم أبواب التبديع، وانغلقت نوافذ التكفير، ونفذ لديهم (بنزين) شق وحدة المسلمين بالخلافات الاجتهادية، أثاروا عواصف من شبهات، وزعازع من تشكيكات، وسوافي من تضليلات قد تنطلي على السذج وبعض المتسرعين لكنها لدى الموفقين ليست إلا سحب صيف تنقشع سريعا بمجرد تسليط بعض الضوء عليها، وذلك ما سنحاول القيام به فيما يلي:

الشبهة الأولى:

يقولون: إذا كان الورد استغفارا، وصلاة على النبي ﷺ وهيللة، فلماذا يطلب الإذن من أحد في ذكره؟ ولماذا يهلك المرء إذا تركه، كما تقول الصوفية عامة، والتجانية خاصة؟

الردّ:

أقول: إن أوراد المشائخ استغفار وصلاة على النبي ﷺ وهيللة وتكبير وتسبيح وتلاوة للقرآن وأدعية خاصة للمسلمين والمسلمات، وأدعية خاصة للإنسان في حوائجه، وكل ذلك قرآن وسنة يعرفها القاصي والداني إن غاب التعصب والتحزب.

غير أن الترتيب والتوقيت والتكييف خصوصية لكل شيخ، من يريدها يجب عليه أن يأخذ الإذن، فكما أن (فورد) و(فليب) ماركة خاصة بشركة معينة معلومة، من استعملها بدون إذن صاحبه يقاضى ويُدان، مع أن المواد الخام ملك للجميع.

والشيوخ لم يجبروا أحدا على أن يأخذ أورادهم، فقد تركوا للناس حرياتهم في الاتصال بهم، أو الابتعاد عنهم. ولكن عند الاتصال لا بد من احترام أمور معينة لا غير.

وكنا قد قلنا إن أهل التصوف اتفقوا على إطلاق الإذن لمريديهم في قراءة القرآن، واستعمال الأدعية المأثورة الصحيحة. ولا يوجد استثناء في ذلك – فيما نعرف – بل فرض كلهم آيات أو سورا أو أحزابا وأدعية نبوية على أصحابهم

يرددونها صباح مساء ولا ينافي ذلك وجود إذن خاص في استعمال سورة خاصة في غرض خاص.

خذ مثلا سورة «والفجر» فكل من قرأها تعبدا يحصل له الثواب إن شاء الله، وذلك إذن قرآني ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾[1]. لكن هذا الثواب الحاصل لا يحول دون أن يأذن شيخ معين لتلميذ معين بقراءتها لطرد المردة. وشيخ آخر لمريد له بقراءتها لتفريق المجتمعين على المعصية، وهلم جرا.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ٥٧﴾[2] وما في الصدور يعم طَرْدَ المردة من الجن إذا هجموا مسلما بريئا. ورغبة في الزواج، وشعورا بتغيير المنكر، فكلهم يقرأ القرآن الكريم، ولكن كل واحد يقضي حاجته حسب معرفته أو معرفة شيخه لأسرار القرآن التي لا تنقضي ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾[3].

وإذا ما اتضح هذا نضيف:

1 – إنَّ أَخْذَ الورد نَذْرٌ على عبادة، وبيعةٌ تساعد المبايع على الالتزام بتلك العبادة، فالشيخ المبايَع دالٌّ على الخير، والمريد المبايع ناذر أن يفي بعمل إسلامي معين أوجبه على نفسه. والوفاء بالنذر – إن لم يكن معصية – واجب مع القدرة.

وقد عرف العلماء النذر بأنه:

أ – أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر.

[1] – سورة المزمل، الآية 20.

[2] – سورة يونس، الآية 57.

[3] – سورة لقمان، الآية 27.

ب – مَا أَوْجَبَهُ الْمُكَلَّفُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ مِمَّا لَوْ لَمْ يُوجِبْهُ لَمْ يَلْزَمْهُ. (الإمام القرطبي)، فطالب الإذن أو آخذ الورد ليس إلا ناذرا على نفسه قدرا يسيرا لا يشق عليه – بمحض إرادته من الاستغفار – والصلاة على النبي ﷺ والتهليل والتحميد والتكبير والتسبيح.

والشيوخ الكرام يذكرون من يبايعونهم قوله تعالى – بعد وضع يد على يد – : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا١٠﴾[1].

2 – المبايعة سنة نبوية ثابتة، فقد بايع رسول الله ﷺ صحابته ﷺ أجمعين – وهم أصدق الناس إيمانا به في الحديبية على السمع والطاعة بالقتال، وفيها نزلت: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[2].

ولم يكتف النبي ﷺ بأنهم مؤمنون كما نصت عليه الآية، ولكن طلب إليهم أن يبايعوه على عمل معين قد طرأ.

وهذا شأن كل المبايعات التي بايعها الصحابة أي بعد إيمانهم بالرسالة الجديدة، حتى أنك رأيتهم يسألونه (فعلام نبايعك؟)، (إنا قد بايناك)، فنقول: «أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وتقيموا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا».

وكانوا قد بايعوه على ذلك كسائر المسلمين، فتكون هذه المبايعة خاصة بهؤلاء، وإلا لكانت تحصيلا لحاصل، غير أن الحديث واصل على هذا النحو

[1] – سورة الفتح، الآية 10.

[2] – سورة الفتح، الآية 18.

(وأسر كلمة)، ولا تسألوا الناس شيئا، قال أبو مسلم عوف بن مالك الأشجعي: (فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه)[1].

وخلاصة القول: إن أخذ الورد أو طلب الإذن من شيخ للانخراط في طريقته نذر وبيعة، والوفاء بالأول واجب، والاحترام بالثانية فرض.

وماذا عن الهلاك الموعود به؟

من البدهي أن نقض عهد شرعي (بيعة) خيانة، وأن عدم الوفاء بالنذر جريمة، والخيانة والجريمة مدانتان في كل الشرائع السماوية، والقوانين الوضعية، فماذا تقول – إذن – فيمن خان الله تعالى ورسوله ﷺ وأولياءه رضوان الله عنهم أجمعين؟

أقل ما يقال فيمن أخلف نذره، وخالف بيعته من غير عذر أنه قد عرّض نفسه للعقوبة الإلهية. إن شاء الله عجَّلها، وإن شاء أجَّلها، وإذا أراد أظهرها، وله أن يخفيها، إنه فعال لما يريد.

فرق كبير بين من ترك التجانية، ومن طردته التجانية:

إذا انخرط إنسان عاقل واع في الطريقة التجانية بمحض إرادته، والتزم بلوازمها (الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، ولا إله إلا الله، وقراءة القرآن، وصلاة الجماعة) ثم تمرد عليها وتركها، فإنه هالك لا محالة دنيا وأخرى إن لم يتب، أو أدركته العناية الإلهية، والأمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى.

هذه حقيقة ثانية لا تزعزعها عواصف العواطف الجياشة، كيف لا، وقد ترك الرجل:

[1] – انظر الحديث كاملا في ابن ماجه، والنسائي وأبو داود، وشرح النووي لصحيح مسلم، وقد سبق إيراده في هذا الكتاب في مستهل شروط الطريقة التجانية، صـ 163.

أولا: ما هو معلوم مطلوب في الدين بالضرورة.

ثانيا: قد خان عهدا كان أبرمه لله في الله، ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا٣٤﴾[1]، إنه آثم – لا ريب لأنه كان قد نذر أن يعبد الله بكيفية معينة صحيحة، ثم تخلى عنها بلا عذر شرعي، وكل معصية مدعاة لعقوبةٍ عَلِمَ مَنْ عَلِمَ، وجَهِلَ مَنْ جَهِلَ.

استشكال وحلٌّ:

يُستشكل أن بعض الناس قد نبذوا الطريقة التجانية بعد الانضمام إليها، ولم يصبهم شيء، بل قد يبدون في صورة من يزدادون مالا وجاها، فكيف ذلك؟

الجواب هو:

1 – أنَّ الهلاك أنواع:

إنَّ أنواع الهلاك مختلفة، فهناك مصاب بفاجعة في النفس، أو بمصيبة في الولد، أو بجائحة في المال، أو ببلية في المنصب، ولكن هناك مبتلى بالمعاصي والمخالفات، فماذا تعتقد في هؤلاء الذين لا يأكلون إلا الحرام، ولا يلبسون إلا إياه، ولا ينامون إلا عليه، بالحرام تزوجوا، وبه أنجبوا، وعليه ينتقلون، تقاريرهم (مفبركة) مضامينها أكاذيب بعضها فوق بعض، فهل هناك هلاك أكبر من هذا؟!

وماذا تقول في أولئك الذين يكبّون على أعراض الناس؟ أعراض المسلمين الأبرياء بكل سوء يعلمونه فيهم. ثم إذا ما نفد ما علموا، أو لم يعلموا شيئا افتروا عليهم كذبا، يروجونه في النوادي شفويا وتحريريا باسم السنة والدعوة والسلفية وغيرها، وهؤلاء الذين لا يحترمون صالحا لصلاحه، ولا يكفون عن وليٍّ لولايته، هؤلاء الراجمون في الغيب ألم تفتح لهم أبواب الهلاك واسعة لينة يأكلون به لحوم

[1] – سورة الإسراء، الآية 34.

إخوانهم ميتين، ويأثمون راضين مطمئني البال ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. فهل هناك هلاك أشد من هذا؟ وما رأيك في الذين دفعهم حظهم العاثر أن أعرضوا عن التجانية – والعياذ بالله – وأصبحوا ينامون كثيرا، بعد أن كانوا هجَّدًا سجَّدًا، وأمسوا لا يذكرون الله إلا قليلا، بعد أن كانوا في عداد ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[2]. وصاروا يلهثون وراء النفس الأمارة بالسوء، وكانوا وصلوا إلى النفس الملهمة التي هي مزيج من الخطأ والتوبة ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[3]. فهل هناك هلاك أبين من هذا؟! كل هؤلاء هالكون وهالكون، وهالكون.

2 – انتظار الهلاك باستمرار هلاكٌ أكيدٌ:

إن أكثر الذين أخذوا الورد التجاني وتخلوا عنه – بلا عذر لضعف في نفوسهم في المال والجاه والمنصب قلقون باستمرار، مذعورين دائما، قلوبهم مرتاعة، وأفئدتهم منخوبة، لأنهم في انتظار مستمر لنوع الهلاك الذي سيصيبهم بما صنعوا.

قال لي أحدهم في محاضرة عامرة عارمة: تركتها، ولكن لم تصبني مصيبة حتى الآن! قلت له: أنت في مصيبةٍ بل في طامةٍ كبرى، لأنَّ انتظارك الهلاك على الدوام أشدُّ من الهلاك ذاته. ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[4]، فما دمت تستعمل «حتى الآن» هذا في اضطراب نفسي قاهر قاسر يجعلك من هؤلاء الذين ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾[5]، والدنيا صياح وصراخ، وأعتقد جازما أني صادق.

---

[1] – سورة القلم، الآية 44.

[2] – سورة الأحزاب، الآية 35.

[3] – سورة الشمس، الآية 8.

[4] – سورة البقرة، الآية 191.

[5] – سورة المنافقون، من الآية 4.

3 – التجانية تطرد من سبقت فيهم كلمة الشقاء:

إن جل الذين يزعمون أنهم تركوا الورد التجاني ولم يُفْتنوا، ليسوا في الواقع إلا منبوذين طردتهم الطريقة لكونهم غير صالحين للتجانية؟ إما لأنهم ليسوا صادقين معها في البدء (من غشنا فليس منا) وإما لأنهم أمنوا مكر الله، فأصروا على المعاصي، وقد يكون أن قدر الله قد سبق في كونهم من الهالكين، قال شيخ الطريقة ﵁: «سائق السعادة يسوق إلى حضرتنا أقواما، والصارف الإلهي يصرف عنا أناسا»، فالأمر كله لله من قبل ومن بعد، فالتجانيةُ طريقةُ خِيَرَةٍ وصَفوةٍ، وأهل الجنة إن شاء الله تعالى، ولكن ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ﴾[1].

الشبهة الثانية:

لماذا يُصَلَّى على النبي ﷺ بغير الصلاة الإبراهيمية التي علمها أصحابه ﵃، ولا خلاف في صحتها؟

الرد: نقول واله المستعان:

«إننا نؤمن ونصدق أن سيدنا محمدا ﷺ علَّم صحابته ﵃ صلاة إبراهيمية معينة ونحن نصلي بصيغة أو أكثر من صيغها على رسول الله ﷺ، وأغلب الطرق الصوفية تلتزم وردا بهذه الصلاة لازما أو اختيارا.

ولكن الصلاة الإبراهيمية، ما هي بالضبط؟ أهي كل صلاة على النبي ﷺ تحتوي على إبراهيم؟ فإن كان كذلك يكن من الصعب أن تكون هذه الصيغ البالغ عددها خمسا وأربعين (45) باختلاف في عدد الكلمات، وأنواعها، وترتيبها كلها صادرة عنه ﷺ»[2]. ولقد جمع الشيخ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي في كتابه

[1] – سورة مريم، الآية، الآية 11.

[2] – يمكن مراجعة هذا الموضوع في القول البديع للحافظ السخاوي، وسعادة الدارين للنبهاني.

(لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة) بعض صيغها وقال: «فالأول والثاني أخرجه الشيخان، والثالث: انفرد البخاري بإخراجه في صحيحه، والرابع: انفرد مسلم بإخراجه في صحيحه. والخامس والسادس أخرجهما النسائي في سننه، والسابع أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والثامن أخرجه البزَّار في مسنده، والتاسع أخرجه الطبري في معجمه .... وهكذا دواليك».

وتكاد تجد في كل كتاب حديث تفتحه صيغة أو أكثر تختلف عن صيغ أخرى موجودة في كتب أخرى، حتى أنك تجد عالما مثل ابن عبد البر في كتابه (الاستذكار) يقول: «رُويت الصلاة على النبي ﷺ من طرق متواترة بألفاظٍ متقاربة، وليس في شيء منها، وارحم محمد، فلا أحب لأحد أن يقوله»[1]. في حين أنك تجد في كتاب (الشفا) للقاضي عياض بسنده إلى الإمام علي ابن أبي طالب صلاة إبراهيمية في آخرها: «اللهم وترحم علي محمد، وعلى آل محمد، كما ترحمت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد» قال فيها: إن جبريل عليه السلام، قال: «هكذا نزلت من عند رب العزة».

فإذا كان هذا الخلاف، أو الاختلاف في عدد الكلمات وأنواعها وترتيبها من الرواة – وهو المحتمل بقوة فذلك تقرير لحقيقتين مهمتين:

1 – إن الصحابة رضوان الله تعالى عنهم أجمعين كانوا قد أعطوا لأنفسهم بعض الحرية في رواية الحديث بالمعنى كما هو معلوم، وأن بعض الاختلاف في الحديث مسموح به.

[1] – وقد نقل هذا جماعة منه، منهم الحطّاب في حاشية الرسالة لأبي زيد القيرواني، والزرقاني في شرح الموطأ، باب ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ.

2 – كل من يعرف العربية يعلم أن «زيادة المبنى زيادة في المعنى» وأن تغيير ترتيب أي جملة تغيير لمعناها. أما تغيير كلمة أو إبدالها بغيرها، وما يحدثه من تغيير في المعنى فأوضح من أن يوضّح للمبتدئين[1].

وقد ثبت أن الصحابة والتابعين وتابعيهم جميعهم صلوا عليه بصيغ مختلفة. كما أن السلف الصالح بلا استثناء لهم صلوات غير إبراهيمية:

أولا: انعقد إجماع الأمة على جملة (صلى الله عليه وسلم) عند ما يذكر اسم سيدنا محمد، يستعملها الجميع فيما نعلم، وليست هذه الجملة صلاة إبراهيمية، فهل أخطأت الأمة كلها بمن فيهم أدعياء السنة والسلفية؟!

ثانيا: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ، فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يُعرض عليه، فقالوا: علمنا. فقال: قولوا: الله اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيئين محمد عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، إلى آخر الحديث الذي رواه ابن ماجه وحسنه الحافظ المنذري.

ثالثا: رُوِي عن سيدنا علي ابن أبي طالب ﷺ كما في نهج البلاغة، (ومشكل الحديث) لابن قتيبة: «اللهم داحي المدحوات، وبارئ المسموكات، وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، وفضائل آلائك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق، والهادي إلى صراط الله المستقيم الخ».

قال ابن كثير: هذا مشهور من كلام علي ﷺ.

[1] – كتاب التقديس مرجع سابق

رابعا: ورد في مجلة منبر الإسلام / السنة الخامسة / العدد 7 بتاريخ رجب 1413هـ الموافق يناير 1993م أن سيدنا محمدا ﷺ طلب من ربه ليلة الإسراء والمعراج أن يجعله فاتحا خاتما، وهما عنصران مهمان في صلاة الفاتح، وغير موجودين في الإبراهيمية.

خامسا: كان الإمام الشافعي رحمه الله يفضل في الصلاة على النبي ﷺ صلاة الشمول والعموم التي نصها: (صلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون، عدد ما غفل عن ذكره الغافلون)، ألم يكن الشافعي وهو الإمام الثَّبْتُ الثقة، اللغوي، الفقيه، المحدث، يعلم الصلاةَ الإبراهيمية. أكان بدعيا أم كان يفهم أن في الأمر فسحة؟

سادسا: كنا قلنا: إن صيغ الصلاة الإبراهيمية بلغت (45) فيما نعرف، فهل كلها من رسول الله ﷺ.

سابعا: ألف الشيخ يوسف النبهاني كتابا سماه: (سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين) جمع فيه 130 صلاةً من مختلف المعروفين بالولاية والصلاح، واتباع السنة. وليست صلاة الفاتح إلا واحدة من تلك المائة والثلاثين.

ثامنا: إن الشيوخ والعلماء بمن فيهم ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والألباني وغيرهم من المبدعين صلوا ويصلون على النبي ﷺ بصلوات غير إبراهيمية:

أ – يقول ابن تيمية رحمه الله في مقدمة كتابه (الكلم الطيب): (اللهم صل على أشرف خلقك محمد، ولله الحمد وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى).

ب – قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مقدمة كتابه (كتاب التوحيد) الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وسلم.

جـ – ابن كثير رحمه الله في مقدمة كتابه (البداية والنهاية) صلّى على رسول الله ﷺ هكذا: (صلَّى الله عليه وعلى سائر إخوانه من النبيئين والمرسلين، وسلَّم وشرَّف وكرَّم أزكى صلاة وتسليم، وأعلى تشريف وتكريم) صـ 13.

د – في الكتاب (تمام المنة في التعليق على فقه السنة) يقول الشيخ الألباني مقدمة الطبعة الثانية: (الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين) وفي مقدمة الطبعة الثامنة لكتابه (صحيح الكلم الطيب) كتب (الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اتبع هداه).

هـ – وفي مقدمة كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ تجد: (اللهم صلِّ على محمد وعلى محمد وعلى آل محمد وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلِّمْ تسليما كثيرا).

و – وفي بداية الكتاب (حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها) للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز: (الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده).

ز – حتى المتطرف محمد حامد الفقي الذي كان يكفر غير الوهابيين من المسلمين، لأنهم مبتدعون أو غير سنِّيِين – فالله حسيبه – قال في تقديمه لكتاب الشيخ ابن القيم الجوزي (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان): صلِّ اللهم عليه أفضل صلاة، وسلّم عليه ربنا أتم سلام وأكمله وأعلاه[1]).

ح – وفي ختام الكتاب (علم الحديث) قال الشيخ ابن تيمية: «وصلى الله على **سيدنا** محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين وعلى آله وأصحابه وأزواجه والتابعين».

[1] – لاحظت أن صلوات المبدعين كلها في مقدمات كتبهم، ويعني ذلك أنهم لا يصلون كثيرا على النبي ﷺ. فقد يذكرونه ولا يصلون عليه، ويكتبون كتبا ولا يصلون عليه في مقدماتهم.

ط – قال الشيخ ابن القيم الجوزي في ختام كتابه المشهور: أذكار اليوم والليلة: «وصلى الله على **سيدنا** ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسوله، وخيرته من بريته، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فاتح أبواب الهدى، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، إلى صراط العزيز الحميد الذي بعثه للإيمان مناديا، وإلى الصراط هاديا، وإلى جنات النعيم داعيا، وبكل المعروف آمرا، وعن كل منكر ناهيا، فأحيى القلوب بعد مماتها وأنارها بعد ظلماتها، وألّف بينها بعد شتاتها، فدعا إلى الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وجاهد في الله تعالى حق جهاده، حتى عُبِد الله وحده لا شريك له، وصارت دعوته صيرورة الشمس في الأقطار، وبلغ دينه الذي ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار، وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرّف بالله تعالى ودعا إليه وسلم تسليما».

ملاحظة: انظر إلى هاتين الصلاتين وكيف نمّقتا وخاصة الأخيرة، هل فعل المتصوفة أكثر من هذا؟ وانظر أيضا إلى لفظ **سيدنا** المستعمل في كلتا الصلاتين، فلماذا بعد كل هذا يعارض من يدّعون أنهم ينتمون إليهم صلوات الصوفية بدعوى أنها ليست الصلاة الإبراهيمية، أو أنها تحتوي على لفظ **سيدنا؟**

فعلى هؤلاء أن يراجعوا كتب شيوخهم الذين يسبحون بحمدهم بكرة وأصيلا، فإنهم يقولون ما نقول، ويفعلون ما نفعل، ولكنَّ أتباعهم لا يعلمون.

فهنا – يا أخي – سؤالان أساسيان:

1 – أين الصلاة الإبراهيمية التي يجب أن يُصلَّى بها وحدها على النبي ﷺ؟!

2 – لماذا يعارضون الصلاة على النبي بصلاة الفاتح، ويصلون هم عليه بصلوات نسجوها من قرائحهم؟!

من كل هذا نستنتج أن الإبراهيمية لم تفرض على أحد، وأن الذي يزعجهم في صلاة الفاتح كونها انتشرت على يد الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه، وأنها أكثر صلاة يصلى بها على رسول الله ﷺ الذي هو:

أ – سيدنا وسيد ولد آدم، وسيد خلق الله بلا منازع.

ب – محمد في الأرض والسماء، في الملأ الأعلى، وما تحت الثرى، بلا جدال.

ج – فاتح لما أغلق من أبواب الخير، والبركة، والاستقامة والتقوى، والصلاح والإيمان بلا شك.

د – خاتم لما سبق من الرسالات والنبوات، ومن مكارم الأخلاق بلا ريب.

هـ – ناصرٌ الحقَّ بالحقّ، والفعل الصدق، والإيمان المطلق والعدل التام بلا خلاف.

و – هاد إلى صراط الله المستقيم، بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالهمة والحال بلا نزاع.

صلى الله عليه وعلى آله، لا كما نعلم، ولا كأوراق الشجر، ولا كعدد الرمل، ولا كقطرات الأمطار، ولا عدد أمواج البحار، وإنما بحق قدره الرفيع عند ربه، وبمقداره العظيم لديه، في كل وقت وحين، آمين.

وعلى ضوء كل ما تقدم تفهم أن العلماء والصالحين من عصر الصحابة حتى يومنا يصلّون على النبيّ ﷺ صلواتٍ يُنَمِّقُونها بمعانٍ بليغةٍ رفيعةٍ، وألفاظٍ رقيقةٍ

لا تليق إلا بمقامه الرفيع ﷺ إلى جانب الصلاة الإبراهيمية التي علّمها أصحابه رضي الله عنهم.

ولم ير أحدٌ من العلماء الذين يعتدّ بمواقفهم العلمية منع المسلمين أن يُصَلُّوا على نبيِّهم بصلاة غير إبراهيمية، سَمِّ ذلك – إن شئت – صلاة الفاتح لما أغلق، أو صلاة ابن مشيش، أو صلاة الشافعي، أو صلاة ابن تيمية، أو صلوات دلائل الخيرات أو .... أو ... المهم أننا مأمورون بالصلاة عليه ﷺ، ونحن مجازون – إن شاء الله تعالى – عليها بأي صيغة كانت، وبأي كيفية، وأي وقت.

الشبهة الثالثة:

يقولون: إن الشيخ التجاني رضي الله عنه يقول: إن صلاة الفاتح أفضل من القرآن الكريم بستة آلاف مرة، وقد يحيلونك إلى كتاب، وإلى صفحة فيه.

الرد: والله المعين:

أقول: هذه كِذْبةٌ رَخْوٌ، أَنْتَنُ من الظَّرِبَان، يتوارثها المتغشمرون[1] على التجانية الحاقدون عليها جيلا عن جيل، يستغلون بها عواطف المسلمين وحبهم للدين، فكل مسلم غيور على دينه وأمته يفزع إذا سمع من يفضل أي شيء في الدنيا على القرآن الكريم.

إنها كذبة تقشعر منها قلوب الذين آمنوا وجلودهم، ويقصد من ورائها أن ينفضّ الناس عن الطريقة الغرّاء التي كنت قرأت الجملة الذهبية الأساسية لصاحبها الأبرّ حين قال: (إذا سمعتموا عني شيئا فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما خالف فاتركوه).

[1] – **تَغَشْمَرَ** لي الرجل: غضب وتنمّر، ورأيتُه متغشمرا: أي غضبان.

وعليه، فمتى وأينما سمعت هذه الفرية المتأججة فاسأل مفتريها أين توجد، ولا يقعدنَّ بك الكسلُ، أو يَحُولَنَّ بينك وبين البحث احترامُ عمامةٍ ضخمةٍ، أو ثقةٌ بلحيةٍ كثَّةٍ، فلن تجد في أيّ مصدرٍ من المصادر التجانية ما يقولونه.

كلِّفْ نفسك – يا أخي – عناء تصفح المصادر التي يذكرونها، والصفحات التي يحيلونك إليها، فلن تعثر – أبدا – للشيخ التجاني ﷺ، ولا لأحد من أتباعه جملة (أن صلاة الفاتح خير من القرآن) ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[1].

بل العكس تماما هو الذي يطالعك في الجواهر وغيرها، يقول شيخنا:

1 – (إن القرآن هو أفضل الذكر)[2].

2 – (إن كل حرف من القرآن لا يعدل ثوابه شيء من العمل)[3].

3 – (إنه «القرآن» أفضل درجات التقرب إلى الله)[4].

4 – (كل العبادات إذا جُمعت بالنسبة إليه كنقطة في بحر)[5].

5 – (إن ذكر الفاتحة يغني عن جميع الأمور)[6].

6 – (بل تلاوة القرآن أولى، لأنها مطلوبة شرعا لأجل الفضل الذي ورد فيه ولكونه أساس الشريعة .... وأما فضل الصلاة التي نحن بصددها فإنها من باب التخيير لا شيء على من تركها)[1].

---

[1] – سورة الكهف، الآية 5.

[2] – جواهر المعاني، جـ 1، صـ 176.

[3] – جواهر المعاني، جـ 1، صـ 176.

[4] – جواهر المعاني، جـ 1، صـ 177.

[5] – جواهر المعاني، جـ 1، صـ 178.

[6] – جواهر المعاني، جـ 1، صـ 14.

7 – أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبيّ ﷺ، وغيره من الكلام فأمر أوضح من الشمس، كما هو معلوم في استقراءات الشرع وأصوله، شهدت به الآثار الصحيحة، وتفضيله من حيثيتين:

1 – الحيثية الأولى: كونه كلام الذات المقدسة المتصفة بالعظمة والجلال، فهو في هذه المرتبة لا يوازيه كلام.

2 – الحيثية الثانية: ما دل عليه من العلوم والمعارف ومحاسن الآداب، وطرق الهدى، ومكارم الخلاق، والأحكام الإلهية، والأوصاف العالية التي لا يتصف بها إلا الربانيون، فهو في هذه المرتبة أيضا لا يوازيه كلام في الدلالة على هذه الأمور.

ثم شرع الشيخ يبين أحوال الذين يقرأون القرآن، وقسمهم أربعة:

«**الأول**: من يتلو القرآن ملاحظا كونه كلام الذات العلية، وأنه يسمعه من الذات المقدسة. فهذا – لا شك – أن قراءة القرآن أفضل له من غيره، بل إنه يضيّع وقته إن اشتغل بغير القرآن.

الثاني: من يتلوه مع حضور القلب، ويعتقد أنه يناجي به الله عز وجل مع فهمه لمعناه، ويمتثل ما فيه من الأوامر والنواهي.

الثالث: من يتلوه، وليس يدري معنى ألفاظه العربية، إلا أنه يمتثل أوامره، ويجتنب نواهيه، فهذان، وإن كانا منحطّين عن الأول بدرجة، لكن اشتغالهما بالقرآن أولى.

[1] – جواهر المعاني، ج 1، ص176-178.

الرابع: من يتلوه، وهو غير عامل بما فيه من أمر ونهي، سواء علم المعنى أم جهله، فهذا يصدق عليه حديث: رب قارئ والقرآن يلعنه، فهذا ذكر صلاة الفاتح أفضل له من قراءة القرآن بستمائة مرة، لأن ثواب الصلاة على النبيّ ﷺ مضمون، أما القرآن فثواب قراءته مشروط بالالتزام والمعرفة»[1].

ويتضح من كل ما قرأت:

1 – أن الشيخ التجاني رضي الله عنه صرّح بكل وضوح أكثر من مرة أن القرآن أفضل بل حرف واحد منه من كل ذكر بما فيه صلاة الفاتح، وأي ذكر آخر.

2 – من الصعب أن تجد عبارةً أبلغ من عباراته في بيان أن القرآن أفضل من غيره.

3 – أنه بيّن حيثيتي الأفضلية بيانا لا غبار عليه.

4 – أنه كان يبيّن مراتب الذين يتلون القرآن الكريم، ونص على أن أصحاب المراتب الثلاث الأولى قراءة القرآن أفضل لهم من ذكر صلاة الفاتح وغيرها. أما صاحب المرتبة الرابعة فالصلاة على النبيّ ﷺ خير له من قراءة القرآن؛ لأن الصلاة عليه ﷺ مضمون الثواب على كل حال. أما قراءة القرآن فمشروطة بأمور إذا لم تتوفر لا تجوز لذلك مُنِعتْ في حق:

أ – الجنب.

ب – الحائض.

جـ – النفساء.

[1] – مرجع سابق.

د – مَنْ لا يحسن تجويده على القول الأصح، لذلك قال ابن جزي رحمه الله في أرجوزته:

والأخذ بالتجويد أمر لازم من لم يجوِّد القران آثم

هـ – العاصي «لحديث أنس بن مالك ﷺ: (رب قارئ، والقرآن يلعنه)».

فماذا يريد المرجفون؟ أيقولون للعاصي الذي ينتهك النواهي، ولا يتمثل الأوامر عمدا: اقرأ القرآن يلعنك، فتنزل في سواء الجحيم. أو تخلد في الدرك الأسفل من النار؟ أما شيخنا ﷺ، فهو طبيب حاذق يصف لكل مريض الدواء الذي يناسبه في الوقت المناسب، وبالقدر الكافي. أما هؤلاء الذين جُبِلُوا على مقارعة الحق إذا نطق به غيرهم، فهم مرضى قلوبٍ ونفوسٍ وعقولٍ عليهم أن يتداووا قبل أن يحاولوا أي شيء آخر.

5 – لا يمكن الجمع بين (إن كل حرف من القرآن لا يعدل ثوابه شيء من العمل) وبين (صلاة الفاتح أفضل من القرآن). ولكنَّ الحاقدين لا يعقلون.

6 – إن الذين يُرَوِّقُون هذه الكذبة أو هذا اللغو أحد ثلاثة:

أ – أبرياء لم يطلعوا على ما في الجواهر، لكنهم وثقوا بأناس آخرين حسّنوا فيهم الظن، فأضلوهم مستغلين ثقتهم فيهم. ونعلم جميعا أن الخيانة في الدين وفي العلم ذنب لا يغتفر.

ب – مغفلون اطلعوا على شيء لم يفهموه، فحكموا متسرعين بفهمهم السقيم، وهؤلاء ممن لا يليق لهم أن يتكلموا في القضايا العلمية، لأن سوء الفهم، وعدم التحقيق في البحث العلمي داء قاتل.

جـ – مرتزقة رأوا كل ما في الجواهر وفهموه، ولكن خبث سرائرهم، وفهاهة أحلامهم وعمي بصائرهم، وحقدهم الدفين المكشوف القاتل على التجانية، وتلهّفهم إلى رنّات الريالات أو نغماتها دفعتهم إلى التحريف والافتراء والتلبيس والدس قصد التشويه والتشويش بأي ثمن.

ويقيني أنهم سيفتحون أعينهم على:

1 – أن جهودهم تذهب هباء منثورا، وأنهم ينفخون في رماد، (وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨)[1].

2 – أنهم غارقون في محيط من الآثام لا ساحل له، والله حسيبهم.

استطراد: حذار – أيها التجانيون – أن يدسّ الوهابيون في مصادرنا مفترياتهم. إن هؤلاء الذين يختصرون مطولاتهم، ويهذبون مراجعهم، وييسِّرون مصادرهم – والاختصار والتهذيب والتيسير تساوي حذف ما لا يريدون أن يروه الآخرون – قادرون على أن يدسُّوا مثل هذه الفِرَى في بعض الكتب، ثم يوزعونها مجانا عبر دعاتهم الموزعين في العالم.

وقد حاولوا ذلك في الماضي، فدسوا في بعض نسخ الجواهر جملة (أن صلاة الفاتح تعدل ستمائة مرة من القرآن) لكن علماءنا جزاهم الله خيرا اكتشفوه بسرعة لأن النسخ الأصلية للجواهر موجودة، وهي خالية من هذه الجملة السيئة.

ها هو ذا الشيخ إبراهيم انياس الكولخي الذي كانت لديه نسخة أصلية ورثها من المغفور له والده عن سيدي البشير ابن سيدي محمد الحبيب بن سيدنا وشيخنا أبي العباس أحمد التجاني رضي الله عنه يقرِّر هذه الحقيقة للشيخ سيدي محمد

[1] – سورة الأعراف، الآية 128.

الحافز التجاني المصري، ويقول: إنه قارن بين نسخته وبين النسخة التي كتبها الشيخ محمد الحافظ التجاني العلوي الشنقيطي فوجدهما متوافقتين[1].

وقد صدّق الشيخ محمد الحافظ المصري ما قاله الشيخ السنغالي، وتكلم عن الدس في كتب العلماء، ككتب الشيخ محيي الدين ابن عربي، والإمام أحمد، والفيروزابادي، والشعراني، وقبله كذب الوضاعون، ونسبوا (أحاديث) إلى سيد الوجود لنزعاتهم النفسية أو السياسية أو الطائفية، فلماذا لا يدس على سيدنا أحمد التجاني رضي الله عنه.

وقد ذهب الأستاذ بنعبد الله المذهب ذاته في بحثه (إعلام المسلمين بالحجة والبرهان لنقض ما في كلام الزمزمي ابن الصديق من الزور والبهتان) صـ14 المطبوع ضمن الكتاب (ترهات الزمزمي).

الشبهة الرابعة:

يقولون: إن الشيخ التجاني قال: إن صلاة الفاتح من كلام الله تعالى أوحاها إلى البكريّ بواسطة الملك. أو كتبها له بقلم القدرة.

الرد، وبالله التوفيق

أقول: هذا القالُ لم يقله شيخنا التجاني رضي الله عنه، وإنما استنسخه أحد المفترين من الفئة الضالة من قول صاحب الجواهر: (صلاة الفاتح لما أغلق لم تكن من تأليف البكري، ولكن تَوَجَّهَ إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصلوات، وسر جميع الصلوات .... فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور).

[1] – راجع البيان والتبيين عن التجانية والتجانيين للشيخ إبراهيم انياس 8 – 9.

[2] – راجع كتاب التقديس للمؤلف 222 – 234.

فالسؤال هنا: كيف فَهِمَ هذه المستنسخ من هذا النص أنها من كلام الله أوحاه الله إلى البكري، أو أن قلم القدرة كتبها له، ولا يدري أن مجرد إتيان الملك إلى إنسان لا يسمى وحيا، وأن قلم القدرة كتبت كتابات غيبية أخرى غير صلاة الفاتح. وبيان ذلك:

أولا: مجرد إتيان الملك إلى إنسان لا يسمى وحيا

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ٣٠﴾[1] قال ابن العربي: (المسألة الثانية: تتنزل عليهم الملائكة، قال المفسرون: يعني عند الموت، وأنا أقول كل يوم، وآكد الأيام يوم الموت، وحين القبر، ويوم الفزع، وفي ذلك آثار بيناها في موضعها).

وسيدتنا سارة زوج سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كلمتها الملائكة، وبشرتها بإسحاق ويعقوب على نبينا وعليهم الصلاة والسلام حين زاروا زوجها: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ٧٣﴾[2]

وقد نزل جبريل على سيدتنا مريم ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا١٦﴾[3] فكلمتها كفاحا. وقد بعث الله ملكا إلى ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع

[1] – سورة فصلت، الآية 30.

[2] – سورة هود، الآيات 70 – 72.

[3] – سورة مريم، الآية 16.

وأعمى، وكلمهم في حديث طويل رواه البخاريُّ في باب: عن بني إسرائيل، ورواه مسلمٌ في كتاب الزهد، كما رواه ابن سعد والبيهقيُّ.

وقد ورد أن حمزة بن عبد المطلب رأى جبريل عليه السلام على صورته، وهيأته التي خلقه الله عليها في حديث رواه ابن سعد والبيهقيُّ.

وقد رأى الْمَلَكَ عَدَدٌ من الصحابة والتابعين وغيرهم، منهم أسيد بن حضير، كما في البخاري. وحارثة بن النعمان الذي رأى جبريل جالسا مع رسول الله ﷺ كما في مسند الإمام أحمد 433/5، ورجل من الأنصار رأى جبريل يطيل القيام مع رسول الله ﷺ، يوصيه بالجار، في حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده 355/5، والبيهقيّ في الدلائل، كما رواه الطبراني.

ولم ينقل إلينا التاريخ أن أحدا بلغ به غلوه أن قال: إن هؤلاء كانوا يدّعون أو يدّعى لهم أنهم أوحي إليهم، فلماذا يفسرون لنا: (أتاه الملك بهذه الصلاة) بأنه وحي من الله تعالى.

ثانيا: إن قلم القدرة كتب كتابات غيبية أخرى غير صلاة الفاتح

1 – عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يحدِّث، لو لم أسمعه إلا مرة واحدة حتى عد سبع مرات، لكني سمعته أكثر من ذلك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنبٍ عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارا على أن يطأها، فلما قعد مقعد الرجال من امرأته، وارتعدت وبكت، فقال: ما يبكيك؟ أَكْرَهْتِكِ؟ قالت: لا، لكنه عمل ما عملته قط. وما حملتني عليه إلا الحاجة. فقال: تفعلين أنت هذا، وما قلته، اذهبي فهي لك. وقال: والله،

لا أعصي الله بعدها أبدا، فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه: «إن الله قد غفر للكفل»)[1].

وقد ذكر بعض الرواة في آخر القصة هذه الزيادة «فعجب الناس من ذلك حتى أوحى الله إلى نبيٍّ زمانه بشأنه».

2 – روى الحافظ المنذري في كتابه (الترغيب والترهيب) عن السر بن يحي عن رجل من طيئ، وأثنى عليه خيرا، قال: «كنت أسأل الله عز وجل أن يريني الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، فرأيت مكتوبا في الكواكب في السماء: يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام».

3 – نقل الشيخ يوسف النبهاني في كتابه (حجة الله على العالمين) صـ67 عن المقري قائلا: «ولقد رأيت أنا بمدينة فاس عام 1026 حجرا أسود قدر الكف مكتوبا فيه بقلم القدرة (لا إله إلا الله) في ناحية، و(محمد رسول الله) في الناحية الأخرى، وذكرت صاحبته أنها وجدته بساحل البحر المحيط».

أقول: وما زال قلم القدرة يكتب كلمتي الشهادة على الأحجار والأشجار والأسماك يشهدها الناس في مشارق الأرض ومغاربها بكثرة لم تعد تسمح أن يشك فيها إلا مُتَوَهِّبٌ سلَّم قيادة نفسه إلى هوى شيوخ مردة يوجهونه حيث تتجه رياح التعصب الأعمى.

ثالثا: ليس كل وحي معدًّا من كلام الله

اقرأ ما يلي، وقل لي بربك أهو من كلام الله أم لا، مع أنه وحي بنص القرآن الكريم:

[1] – قصة الكفل رواها عدد من رجال الحديث باختلاف يسير في لفظها، منهم الإمام أحمد في مسنده 23/2 والترمذي حديث رقم 2496، وابن حبان 302/1، والحاكم في المستدرك 254/4.

قال الله تعالى:

1 - ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[1].

2 - ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ٦٨﴾[2].

أليس في إثارة هذه الشبهة دليلا صارخا على حُمَّى عَقَدِيَّةٍ مضنيةٍ، لكنها بحول الله أصبحت زهوقا، لله الحمد والمنة.

الشبهة الخامسة:

يقولون: إن السبحة التي يستعملها التجانية بدعة لا أصل لها في السنة، فالرسول كان يَعُدُّ ذكره ﷺ بأصابعه.

الردّ، والله الموفّق:

نورد فيما يلي مقالا كتبناه في كتابنا (لا يفقهون)[3] بنقاطه وفواصله، لعل فيه كفاية وعناية:

السبحة: حبل الوصول، ورابطة القلوب

«إذا طالعت كتب القوم قديما وحديثا تجد الكلمات التالية: (السبحة، والمسبحة، وحبل الوصول، ورابطة القلوب إلى علاّم الغيوب، والمذكِّرة، والمعينة على ذكر الله). وكلها أسماء متعددة لآلة يعد بها الذاكرون الذكر الكثير في جميع أنواع البسيطة. تلك الآلة التي لها أشكال مختلفة، وأنواع متعددة، باختلاف الذاكرين، وتنوّع الأعداد».

---

[1] - سورة القصص، الآية 7.

[2] - سورة النحل، الآية 68.

[3] - نشر هذا الكتاب سنة 2008م، صـ 83 - 90.

أصل اتخاذ السبحة:

«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد الذكر ويعده بأنامله.... ولكنه لم يكن يمنع عدَّ الذكر بالأداة التي تيسر ذلك»[1] بل أقرّ صلى الله عليه وسلم أناسا على استعمال أداة في الذكر. فقد أخرج الترمذي والحاكم والطبراني عن أم المؤمنين صفية رضي الله عنها أنها قالت: (دخل عَلَيَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديّ آلاف نواة أسبح بهنّ). وروى أبو داود والترمذي عن سعد ابن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على امرأة لعلها أم المؤمنين صفية بنت حيي، وبين يديها نوى أو حصى تسبح بهنّ.

وفي الحاوي للفتاوى لجلال الدين السيوطي رحمه الله رسالةٌ بعنوان (المنحة في السبحة)[2] استهلها بقوله: «الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد: فقد وصل إليّ السؤال عن السبحة، هل لها أصل في السنة ؟ فجمعت فيها هذا الجزء متتبعا فيه ما ورد فيها من الأحاديث والآثار، والله المستعان».

ثم أورد حديث ابن أبي شيبة وأبي داود والترمذي والنسائي والحاكم عن ابن عمر حين قال: (رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيده). والحديث الذي أخرجوه – غير أبي داود – عن يُسَرة المهاجرة التي قالت – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، ولا تغفلن فتنسين التوحيد، واعقدن بالأنامل، فإنهن مسئولات ومستنطقات).

[1] – أصول الوصول جـ1 صـ69 للشيخ محمد زكي إبراهيم.

[2] – جـ1 صـ36-42.

لكنه أورد خمسة عشر حديثا تثبت استعمال نوى أو حصى أو عُقَد لعد الذكر، منها:

1 – أخرج الترمذي والحاكم والطبراني عن صفية قالت: (دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديّ أربع آلاف نواة أسبح بهنّ، فقال: ما هذا يا بنت حييّ ؟ قلت: أسبح بهن. قال: قد سبحتُ منذ قمت على رأسك أكثر من هذا. قلت: علمني يا رسول الله. قال: قولي: سبحان الله عدد ما خلق من شيء).

2 – أخرج أبو داود والترمذي وحسّنه، والنسائي وابن ماجه، وابن حبان والحاكم وصحّحه عن سعد ابن أبي وقاص: «دخل مع النبيّ صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى – أو حصى – تسبّح. فقال: أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟ قولي: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما خلق بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق. الله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا قوة إلا بالله مثل ذلك».

أقول: ففي هذين الحديثين إقرار سافر –كما ترى – باستعمال أدوات لعد الذكر تطوّرت إلى السبحة التي تستعمل الآن.

وقد علق الإمام السيوطي على الحديثين مضيفا: ثم رأيت في كتاب تحفة العباد.....فصلا حسنا في السبحة قال فيه ما نصه: (قال بعض العلماء: عقد التسبيح بالأنامل أفضل من السبحة لحديث ابن عمرو، ولكن يقال: إن المسبّح إن أَمِنَ من الغلط كان عقده بالأنامل أفضل، وإلا فالسبحة أولى.

أقول: إن الأمن من الغلط وارد فقط إذا كان المعدود قليلا كالتسبيحات بعد الفرائض. أما الذكر الكثير ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾[1]. فلا يتأتّى بالأنامل، لأن ضبط العدد يصبح الشغل الشاغل للمسبّح ويشتّت ذهنه. والقوم يرفضون ذكر الغافل اللاهي.

ويثبت الإمام السيوطي في رسالته المذكورة اتجاهات في اتخاذ السبحة مثل (كان لأبي هريرة كيس فيه حصى أو نوى يسبّح بها) كما رواه من حديث أبي نضرة الغفاري، وأن عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد من طريق نعيم بن محرز ابن أبي هريرة عن جده أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا خيط، فلا ينام حتى يسبح به، وكان لأبي الدرداء نوى من نوى العجوة في كيس. فكان إذا صلّى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبّح بهن حتى ينفذن. وكان لكل من أبي سعيد الخدري، وخالد بن معدان،[2] وفاطمة بنت الحسين بن عليّ ابن أبي طالب نوى أو خيوط أو حصى يسبّحون بها.[3]

«ومن مجموع هذه الآثار نجد أصل اتخاذ السبحة قائما في الإسلام لإحصار الذكر، وإنما تطوّر النوى والحصى، وتطوّرت العقد إلى حبات مثقوبة على صورة العقد يجمعها العابد فتذكِّرُهُ بربه، وبورده كما جاء في (مسند الفردوس)» للديلمي عن عليّ مرفوعا: (نعم المذكر السبحة).[4]

---

[1] – سورة الأحزاب، الآية 41.

[2] – كان خالد هذا يسبّح في اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ..... ومن المعلوم المحقق أن المائة ألف بل والأربعين ألفا، وأقل من ذلك لا يحصر بالأنامل. انظر الحاوي جـ2 صـ40.

[3] – الحاوي مصدر سابق جـ2 صـ39. ويراجع هناك ما ذكر من كرامات متعددة للسبحة ذاتها، ولأصحابها.

[4] – أصول الوصول مصدر سابق صـ70.

ولا يمكن أن يحصى من اتخذوا السبحة عند ما تشكّلت في صورتها الجديدة مثل أبي مسلم الخولاني، والشيخ أبي الوفا كاكيش، وأبي القاسم الجنيد،[1] والإمام أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر، والإمام أبي العباس أحمد بن أبي المحاسن، وأبي المظفر يوسف بن محمد مسعود الترمذي، وابن أحمد السمرقندي، وسري بن مغلس السقطي، ومعروف الكرخي، وبشر الحافي، والحسن البصري.[2]

ويضيف الإمام السيوطي: «فلو لم يكن في اتخاذ السبحة غير موافقة هؤلاء السادة، والدخول في سلكهم، والتماس بركتهم لصارت بهذا الاعتبار من أهم الأمور وآكدها، فكيف بها وهي مذكرة بالله تعالى، لأن الإنسان قلّ أن يراها إلا يذكر الله، وهذا من أعظم فوائدها، وبذلك (التذكير بالله) كان يسميها بعضُ السلف رحمه الله تعالى.

ومن فوائدها أيضا الاستعانة على دوام الذكر.....فيا حبذا سبب موصِّل إلى دوام ذكر الله عز وجل. وكان بعضُهم يسميها حبلَ الوصول، وبعضُهم رابطةَ القلوب»[3]

ويقول الشيخ المحدِّث منصور علي ناصف رحمه الله: «فعدّ كلمات التسبيح ونحوه مطلوب لمعرفة ما يقوله، والسبحة أسهل في العد من غيرها».[4]

وبعد سرْدِه بعض الأحاديث التي ذكرها الإمام السيوطي قال في هامش الصفحة 101 من الجزء الخامس: «فهذه الأحاديث تفيد أن العبادة بألفاظ ذات

[1] – لما قيل للجنيد: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟ قال: طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه.

[2] – الحاوي مصدر سابق جـ2 صـ39.

[3] – الحاوي مصدر سابق جـ2 صـ39.

[4] – التاج الجامع للأصول لأحاديث الرسول جـ5 صـ100.

أعداد كثيرة أفضل، وأن عدّ التسبيح ونحوه مستحب لمعرفة العدد المطلوب، كما سبق في الذكر عقب الصلاة.....ومن هذا اتخذوا السبحة، فإن النبيّ أقرّ للعد على النوى، فالسبحة أولى، فهي جائزة مستحبة، لأنها أسهل وأضبط للعد من غيرها، والله أعلم».[1]

المعارضون وعدم واقعيتهم :

على الرغم من كل هذه الأحاديث التي تقر مبدأ استعمال السبحة في عد الذكر، وكل هذه الآثار التي تثبت اتخاذ بعض الصحابة (أبي هريرة وصفية) نوى وحصى وعقدا. وكثير من السلف الصالح: (الخولاني وكاكيش والجنيد، وأبي المظفر، والترمذي والسمرقندي والسقطي والكرخي والحافي والحسن البصري). وعلى الرغم من استحسان بعض العلماء (السيوطي، ابن تيمية، ناصف) استعمالها – على الرغم من كل هذه – فهناك من يبدّعون استعمال السبحة، أو يحرّمونها، أو ينسبونها إلى ديانات أخرى بدعوى أن الرسول والصحابة لم يستعملوها، ويذهبون في ذلك مذهبا بعيدا خطيرا.

والحق أن عدَّ الرسول صلى الله عليه وسلم ذِكْرَهُ بالأنامل لم يكن يشغله عن الاستحضار. أما غيره المحتاج إلى ذكر كثير يضطر إلى آلة تساعده على العد كيلا يهتم بما يقوله وبعدّه عدًّا يصرفه عن الاستغراق في الذكر.

وحبل الوصول الذي بين أيدينا ليست إلا تطورا لتلك النوى والعقد التي استعملها سلفنا الصالحون ومن بعدهم، كما تطورت وسائل أخرى من بدائيّتها إلى تطورٍ هائلٍ، وتقدمٍ حثيثٍ.

[1] – التاج الجامع للأصول لأحاديث الرسول جـ5، صـ 100.

تطور بعض الوسائل التي يستعملها المسلمون شرقاً وغرباً:

لعل من المضحك المبكي في آنٍ واحدٍ أن يكون هناك شرذمة جامدون متزمتون يبدعون السبحة، ثم يستخدمون الأدوات التالية في مجال العبادات:

1 - استعمال الساعة لمعرفة أوقات الصلوات الخمس.

والواقع أَنْ لم يكن لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لصحابته الكرام، أو للتابعين وتابعيهم ساعاتُ يَدٍ أو جدارٍ أو جيبٍ يعرفون بها أوقات الصلوات، بل كانوا يقيسون الظل بالأقدام في النهار، ومراقبة الآفاق والنجوم في الليل. فلماذا لا يتقيد هؤلاء «السنيّون» ويقتصرون على ما كان يفعله خير الأنام وصحبه في أقدس ما يقوم به مسلم في حياته على وجه الأرض، ألا وهو الصلاة؟

والساعات هذه مجرد تطور للأقدام المقيس بها الظل، ومراقبة النجوم والآفاق، وهو تطور مهمّ لمصلحة المسلمين يجب أن يستغلوه، وذلك ما نفعله نحن وهؤلاء الجامدون. فلماذا لا يتركون لنا الساعات ويكتفون بالظلال؟ فليختاروا إن كانوا يفقهون.

2 - وسائل النقل:

كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله عنهم يسافرون إلى الحج والعمرة؟

الجواب المتفق عليه هو: بالأرجل والجمال والخيول. ثم تطورت القضية إلى السفن والسيارات ثم وصلت الطائرات بأنواعها المختلفة، وسرعتها المتفاوتة. فلماذا لا يعودون إلى الجمال لأداء الحج والعمرة؟ فذلك – في منطقهم الراكد – هو «السنة». فلماذا لا يفعلون؟

3 - وسائل الاتصال:

اسأل أحد هؤلاء المتزمتين الأسئلة التالية: من الذين ذهبوا برسائل النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الملوك حوله؟ كيف كان يتصل بصحبه الذين لم يهاجروا بعدُ وهو في المدينة المنوّرة؟ كيف كانت الأخبار تصل إليه من العالم حوله؟

نحن متفقون على أنه لم يكن هناك تلفون ولا تلكس ولا تلفزيون ولا فاكس، ولا بريد منظم كما هو الآن، فضلا عن البريد الإلكتروني أو الإنترنت.

والحق أن كل هذه الأمور تقدّم لتلك الوسائل الاتصالية البدائية. فما الذي يمنعهم من مقاطعة هذه الوسائل المتطورة الحديثة للتواصل والتي ليست إلا أشكالا جديدة للبدائيات تلك؟

4 - مكبرات الصوت في المساجد

أليست هذه المكبرات تطوراً لذلك التبليغ الذي كان النبيّ صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع قد أمر أحدَ الصحابة أن يعلو راحلة ويبلغ بصوت عال ما يقوله للناس؟ فماذا سيكون لو كان هناك هذه الأبواق التي ترمي الصوت رميا بعيدا؟

5 - أسلحة الدفاع والهجوم المتطورة:

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[1]، هذه الآية صريحة فيما نقول، لكني أخاف أن هؤلاء الضالين المضلين سيحرّمون يوما على المسلمين اقتناء الطائرات النفّاثات، والدبّابات، وناقلات الجنود، وسائر العتاد العسكري الحديث، لأن الآية تتحدث عن الخيل. وأن الصحابة كانوا

[1] – سورة الأنفال، الآية 60.

يستعملون سيوفا ورماحا وأتراسا، ويركبون خيولا وجمالا. نسأل الله السلامة والعافية.

أخي القارئ: أعتقد أن هذا البيان واضح، غير أن لسان الحال ينشد:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

أما أنت فلا تتردد لحظة في الاقتداء بأمثال أبي هريرة، وصفية وأبي الدرداء، والحسن البصري والجنيد، هؤلاء الأنجم الزاهرة رضي الله تعالى عنهم. ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا٢٥﴾[1]. ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ٦٠﴾[2].

الشبهة السادسة:

يقولون: إن لفظ «الأسقم» تنقيص بحق النبيّ ﷺ، أو سب له، لأنه من (السقم) بمعنى المرض، وذلك لا يليق بمقامه النبوي. ولفظ (المطلسم) غير معروف، فقد يكون فيه تنقيص أو سب كذلك. قال شعرور[3] منهم:

ولم يجز إطلاق لفظ مفهم نقصا على النبيّ مثل الأسقم

الردّ، والله المعين:

كنت – دائما أتجنّب الخوض في بيان الكتابة عن لفظ (الأسقم) لبيان مدى صحته معنى وصرفا، لسببين اثنين:

الأول: إن الذين أثاروا مشكلة التنقيص به وبـ(المطلسم) فَجَرة كذبة حقدة يتوارثون الأكاذيب سافلا عن سافل في افتخار مهين، ولا يكلفون أنفسهم عناء

[1] – سورة الإنسان، الآية 25.

[2] – سورة الروم، الآية 60.

[3] – **الشعرور** هو ما دون الشويعر.

البحث، أو مطالعة الكتب التي ترد على مفترياتهم لِيَتَعَلَّمُوا، ويعرفوا مدى جهلهم، أو بُعْدهم عن الواقع والحق.

الثاني: إن ساداتنا العلماء في كل عصر، ومع كل منتقد، قاموا ببيانٍ وافٍ، وقارعوهم بحجج دامغةٍ، حتى أنهم لم يتركوا مجالات شك وتردد لأيّ جاهل يريد أن يتعلم، أو لأي متوهم يقبل أن يناقش متجردا عن نزعاته الطائفية، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

1 – سيدي مرزوق التجاني/أم درمان/ السودان في كتابه (الوجه الأقسم في معنى الأسقم).

2 – سيدي أحمد بن الأمين الشنقيطي الموريتاني في كتابه (الرد المحكم على منكر الأسقم).

3 – سيدي عمر الوالي ناظم ألفية الطريق (مبلغ الأماني، وبيان أمور الصوفية وأحمد التجاني).

4 – سيدي الحاج محمد قنون في كتابه (حل الأقفال لقراء جوهرة الكمال).

5 – سيدي عبيدة بن محمد بن الصغير بن امبوجه في (ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال).

6 – سيدي الحاج عمر الفوتي في كتابه (رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم).

7 – سيدي محمد الخليفة ابن سيدي الحاج عبد الله الكولخي في (الجيوش الطلع بالمرهفات القطع، إلى ابن ما يأبى أخي التنطع).

8 – سيدي الحاج مالك سي التواوني في كتابه (إفحام المنكر الجاني).

9 – سيدي محمد الحافظ التجاني المصري في كتابه (أحزاب وأوراد الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه).

10 – سيدي الحاج أبو بكر عتيق ابن الحاج عبد الله التجاني الكنشيّ.

كل هؤلاء بيّنوا صحة لفظ الأسقم، كل بأسلوبه، وعقليته الخاصة، علاوة على ما يشتركون فيه من معنى لغويٍّ، واشتقاقٍ صرفيٍّ.

وأنا إذْ أحاول أن أقدم للقراء الكرام شيئا عن صحة هذا اللفظ الفصيح الصحيح المعبّر في شكله ومضمونه أنسج (متطفلا) على منوالهم، وإن كنت دونهم بمراحل شاسعة، راجيا من بركاتهم أن يمدني الله بمدد من عونه أقدر به على تقديم ما ينفع بإذن الله تعالى.

أقول: إن الاعتراض في جانبين اثنين:

الأول: عدم صحة لفظ (الأسقم) خما من حيث المعنى، لأنه من (سَقِمَ وسَقُمَ) بمعنى مرض.

الثاني: عدم صحة اللفظ من حيث الاشتقاق الصرفي. إذا قيل بأنه من (استقام) لأن اسم التفضيل لا يصاغ من مزيد لم يجرد من زوائده.

و(استقام) هنا حذفت منه (الألف) وهي أصل، كما حذفت (التاء)، وأُبْقِي على (السين) وهي زائدة، والقاعدة أن يحتفظ بالأصل، ويحذف الزائد.

أما لفظ (المطلسم) فالاعتراض عليه أنه غير معروف، فقد يدل على السب، أو الشتم.

المناقشة:

أولا: من الناحية المعنوية:

- ما قيمة السياق عند المعترضين؟

تقول الأدباء: ''إن السياق محدد'' يعنون به أنه يحدد المعنى، يبيّن اللبس يوضح المبهم. فإذا كان هناك لفظ يحتمل المدح والذم، والسياق امتداحي – كما هو هنا فهل يُتصور أن يُقْحم لفظ سب أو كملة شتم أو تنقيص فيه؟!

كيف يقرأ إنسان يجيد العربية بعض الإيجاد ابتداء من (اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية .... مركز الفهوم والمعني ..... صاحب الحق الرباني ..... ونورك اللامع .... عين الحق ... عين المعارف الأقوم، صراطك التام الأسقم). (ويواصل) ... طلعة الحق بالحق، الكنز الأعظم، إفاضتك منك إليك .... صلى الله عليه وعلى آله، صلاة تعرفنا بها إياه).

كيف يقرأ كل من صحت عربيته هذا السياق الامتداحي بهذه الكلمات التي تشمل من معاني الاحترام، وتعابير التوقير، وعبارات التعظيم، وأساليب التنزيه من النقص ما يثلج القلب، ويريح الفؤاد، ثم يتبادر إلى ذهنه أن لفظ (الأسقم) الوارد في ثنايا هذه الصلاة المنمقة بمراتب رسول الله ﷺ، ومكانته الرفيعة عند ربه تعالى، سب أو تنقيص؟

إن العقل السليم، بل الذوق اللغوي السليم، أو السلوك الإنساني في الاستنباط يقتضي بل يحتم الجزم بأنه مدح، أو الترجيح بأنه كذلك، لأن السياق لا يقبل – بحال من الأحوال – أن يكون غير ذلك.

فإذا تَطَلَّبَ ذلك جهودا جهيدة في البحث يجب أن يقام بها خدمةً للعلم وأهله. وحُسْنَ ظنّ بالمسلمين، أما إذا قدّم أهل المسألة إيضاحا لما استشكل فعدم وضعه في الاعتبار دليل صارخ على التعصب، أو سوء النية، أو قلب الموازين لحاجة في نفس يعقوب.

- **سيدنا محمد هو الأسقم نصا**

لو افترضنا جدلا أن (الأسقم) من (سقم) بمعنى مرض يكون ذلك وصفا معبرا صادقا في سيدنا محمد ﷺ.

اقرأ الحديث التالي: عن ابن مسعود، قال: دخلت على النبي ﷺ، وهو يوعك، فمسسته، فقلت يا رسول الله، إنك لتوعك وعكا[1] شديدا. قال: «أجل، أوعك كما يوعك الرجلان فمسسته، قلت: إن لك أجرين؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده، ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حطّ عنه خطاياه، كما تحطّ الشجرة ورقها» متفق عليه[2].

وفي ابن ماجه زيادة: (قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم الصالحون»، إن كان أحدهم لَيُبْتَلَى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يَحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء، كما يفرح أحدكم بالرخاء».

[1] – **الوعك**: المرض

[2] – رواه البخاري ومسلم وأحمد وابن ماجه، والبيهقي، بألفاظ مختلفة. وأخرجه الإمام النووي في الأذكار ورياض الصالحين، والسيوطي في الجامع الصغير، وابن كثير في البداية والنهاية، جـ5. وكلهم اتفقوا على (أوعك كما يوعك رجلان منكم) أو الرجلان بالتعريف. وأكثرهم رووه عن ابن مسعود، ورواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري.

هذا الحديث ينص بصراحة لا غبار عليها أنه ﷺ **أشد مرضا من غيره مرتين**، وذلك هو (الأسقم) في فهم هؤلاء.

فكيف يعيبون صفة أثبتها النبي ﷺ لنفسه في حديث صحيح اتفقت الصحاح والسنن والمسانيد على صحته؟

فالرسول ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين، أصلح عباد الله على الإطلاق لا بد أن يكون أشد الناس بلاء. والمرض نوع من الابتلاء صريح، فمن قال: إنه أشد الناس مرضا قال ضرورة: إنه خير الوجود وأفضل البشر، هذا ما يقبله العقل السليم، والوعي الفهيم، وغير ليس بشيء.

والمرض – ما لم يؤدّ إلى عيب لا يعدّ نقصا في حق نبي أو مرسل يعرف ذلك كل من درس مبادئ التوحيد.

قال ابن عاشر في مقدمته

يجوز في حقهم كل عرضْ ليس مؤديا لنقص كالمرضْ

وعلى هذا الفهم الوجيه يكون الأسقم بمعنى **الأصلح، والأفضل، والأكثر احتمالا** للابتداء، **والأقوى**، لأنه يساوي رجلين في تحمل المرض، ولأنه أصلح الناس وأفضلهم.

- **سيدنا محمد هو الأسقم عقلا:**

قد اتضح في ذهنك بالتبيين السابق أن سيدنا محمدا ﷺ هو الأسقم فعلا بنص نبوي صريح، لأنه يوعك كما يوعك الرجلان من البشر، ولأنه أفضل الأنبياء الذين هم أفضل خلق الله تعالى، وأشد الناس ابتلاء هم هؤلاء الأنبياء.

غير أنه ﷺ هو الأسقم، ومن أروع ما قرأت في ذلك ما كتبه سيدي الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه في كتابه (إفحام المنكر الجاني، على طريق شيخنا أحمد التجاني) حين علّق على ما كتبه صاحب روح البيان في تفسيره حول قول سيدنا إبراهيم عليه السلام: «فنظر نظرة في النجوم، وقال إني سقيم»: (قال ابن عطاء: «إني سقيم» من مخالفتكم وعبادتكم الأصنام)، فقال الشيخ مالك: «وإن كان سقمه من كفرهم، فالنبي ﷺ أسقم، لأنه قومه أشد كفرا، قال تعالى: (الأعراب أشد كفرا ونفاقا)»[1]

إنه استنباط ذكيٌّ معقول، لكنه استنتاج فطن مقبول، إلا أن معرفة الحق شيء، وقبوله شيء آخر، وهناك تتفاوت الأحلام، وتتفاضل الرجال.

وعلى هذه الرؤية الثاقبة يكون الأسقم بمعنى **الأرحم**، **والأرأف**، **والأعطف**.

أما إذا كان قوله «إني سقيم» بمعنى متغير القلب عليهم لكفرهم فيكون الأسقم هنا بمعنى **الأشد حبا لله** تعبيرا باللازم عن الملزوم، لأن من لازم الحب المفرط سقم، وسيدنا محمد ﷺ أشد من إبراهيم سقما وتغيرا على كفر قومه. كيف لا، وهو (بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨[2])؟.

وللحديث عن (الأسقم) – بَعْدُ بقية:

قال سيدي مرزوق التجاني السوداني في كتابه (الوجه الأقسم، في معنى كلمة الأسقم، في الصلاة على الحبيب الأكرم).

«أما كلمة (أسقم) الداخلة عليها (ال) فهي اسم تفضيل تلاقى بمادته ثلاثة أفعال: اثنان منها من الثلاثي المجرد، وواحد من مزيد الثلاثي. أما الاثنان فأحدهما

[1] – سورة التوبة، من الآية 97.

[2] – سورة التوبة، من الآية 128.

(سقِم) بكسر العين، و(سَقُمَ) بضمها، من (السَّقَم) الذي لم يبلغ كثيرا ممن لهم إلمام بالوقوف على مفرداتها .... والوصف من الفعل الأول (سقيم)، ومن الثاني (ساقم) كعادل وزنا ومعنى، واسم التفضيل منهما (أسقم)».

وعلى منواله نسج الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري في تعليقه على (أحزاب وأوراد القطب الرباني الشيخ أحمد التجاني الشريف الحسني ﷺ) حين قال: (صراطك التام الأسقم: أي الأعدل، المبرأ من العرج، وفي غريب اللغة، سَقَمَ يَسْقِمُ كعدل يعدل وزنا ومعنى، تقول العرب: سقمت، إذا عدلت، ولا تزال مستعملة في عرب المغرب).

ثانيا: من الناحية الاشتقاقية (الصرف):

يقول النحاة: إن صوغ أفعل تفضيل من فعل غير ثلاثي شاذ. ولكنَّ أحدًا – فيما نعلم لم يقل: إن الشاذ مرفوض، أو غير مستعمل عربيا.

قال ابن مالك في ألفيته:

صغ من مصوغ منه للتعجب أفْعَل للتفضيل وَأْبَ اللَّذْ أُبِي

وقال شارحه بهاء الدين ابن عقيل بعد بيانه شروط الصوغ التي هي: أن يكون الفعل: ثلاثيا، متصرفا، قابلا للتفاضل، مثبتا، مبينا للمعلوم، ليس الوصف على أفعل: «وشذ منه قولهم: هو أخصر من كذا، فبنوا أفعل التفضيل من (اُخْتُصِرَ) وهو زائد على ثلاثة أحرف، ومبني للمفعول، وقالوا: أسْوَدُ من حَلَكِ الغراب، وأبيض من اللبن، فبنوا أفعل التفضيل شذوذا من فعل الوصف منه على (أفعل[1])».

[1] – شرح ابن عقيل، باب أفعل التفضيل.

وعلى هذا كان على المعترضين أن يقولوا في هدوء: (الأسقم) من (استقام) شاذ، وتنتهي القضية. إذ الشاذ مستعمل في العربية، في كل باب من أبواب النحو والصرف تقريبا.

منها:

1 – (أمكنة) جمع (مكان) فوزن (مكان) مفعل جمعه القياسي هو (أكونة) على وزن (أفعلة) لكنه جمع على (أمكنة) بحذف عين الكلمة (الواو) في (كون) فجاء الجمع على وزن (أمفلة) وذلك غير قياسي، لكنه مستعمل يرتاح إليه اللسان.

2 – (أقوم) فهو من (قَوَّم) مضعف العين بمعنى (عدَّل) ففي القاموس المحيط: (قوّمته: عدلته، فهو قويم ومستقيم)، وهذا مستعمل مستساغ دون أن يثير أي انتباه.

فإن قال قائل: إن (أقوم) من الثلاثي (قام) سألناه: ما معناه، إذًا؟ أتريد أن تقول في قوله تعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ **أَقْوَمُ**[1]) أنه يعني (أشد قياما) أم أنه (أكثر اعتدالا)؟

ومن ألطف ما قرأت في هذه الرياضة العقلية اللغوية الصرفية ما كتبه الشيخ الفقيه سيدي محمد قنون رحمه الله في كتابه القيم: (حل الأقفال لقرّاء جوهرة الكمال):

«فإن قلت: بناء اسم التفضيل من السداسي غير مقيس، فهل سُمِع؟ قلت: نعم، كفى في سماعه هذه الصلاة الشريفة، لما تقدم لنا أن سيدنا الشيخ تلقاها من

[1] – سورة الإسراء، من الآية 9.

سيد الوجود ﷺ، وقد سُمع (أقوم) نحو (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) بناء على أنه مأخوذ من (استقام) ففي القاموس: (واستقام: اعتدل، وقومته: عدلته، فهو قويم ومستقيم، وما أقومه، شاذ) أي بناء فعل التعجب من (استقام) السداسي، واسم التفضيل نظيره، فيقال في (الأقوم) كذلك إنه شاذ.

فإن قلت: يحتمل أن (الأقوم) مأخوذ من (قام)، قلنا: وكذلك (ما أقومه)، فما كان جوبكم فهو جوابنا.

فإن قلت: هب أن (الأقوم) مسموع، والواقع هنا (أسقم) قلت: هو عينه غير أنه حذف الأصل أعني عين الكلمة التي هي الواو، وأقيم الزائد مقامه، أعني السين.

فإن قلت: ما فائدة العدول عن (أقوم) إلى (أسقم)؟ قلت: فائدته الاحتراز عن التكرار اللفظي».

أعتقد أن فيما بيناه كفاية وافية، لأن سادتنا رحمهم الله قد أحاطوا بالموضوع توضيحا، وفصلوه تفصيلا لا يترك للمنصف ريبا ولا شكا.

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

فلو كان الأمر مجرد لفظ يوهم تنقيصا، فقد بينا نافين هذا الإيهام نفيا قاطعا من حيث المضمون، ومن الاشتقاق. فإذا قرأوا ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾[1]، نتلو

[1] – سورة فصلت، الآية 5.

نحن ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ٢٩﴾[1] ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾[2].

أما لفظ (المطلسم) فقد اصطلحت المتصوفة أن يصفوا به كل شيء عظيم خفي، أو غير معروف، أو غير مدرك. ومعناه اللغوي البحت لا يبعد عن ذلك. فأينما تجد يعني الإخفاء، الغموض، الإيهام.

يقول اللغوي الكبير أبي الحسين أحمد بن فارس رحمه الله في كتابه القيم (معجم مقاييس اللغة): «(طم) الطاء والميم أصل صحيح يدل على تغطية الشيء بالشيء».

ومعناه أنه كلما اجتمع (طاء وميم) في كلمة تدل على التغطية والستر. وذلك ما نجده في (طرسم) الذي فسره صاحب القاموس المحيط بـ(أطرق) فقال: (طرسم الرجل: أطرق. وطلسم مثله). ولا يخفى ما في الإطراق من الخفاء أو الإخفاء. وفي لسان العرب: طرسم الطريق: أخفاه، وطرسم الرجل: أطرق وطلسم مثله.

والتعاقب بعد الراء واللام شائع في اللسانيات، فكلاهما حرف ذلقي، يتأرجح بين الشدة والرخاوة. وعليه نجد أحمد بن محمد المقري الفيومي صاحب المصباح المنير، يقول: (الطرس هو الطلس وظنا ومعنى).

يقول العلامة السعيد سعيد الخوري السرتوتي في معجمه الفريد (أقرب الموارد في فُصَح العربية والشوارد): «الطِّلْسَم وقيل الطِّلِّسْم عبارة عن تمزيج القوى السماوية الفعالة بالقوى الأرضية المنفعلة بواسطة خطوط مخصوصة يستخدمها من

[1] – سورة التكوير، الآية 29.

[2] – سورة فاطر، الآية 8.

يتعاطى هذا الفن الوهمي ليدفع كل مؤذ، وربما أطلق ذلك على تلك الخطوط نفسها، معرّب، معناه تكميل (ج) طلاسم وطلّسمات».

فالخفاء هنا ظاهر لا ريب، وذلك ما تجده في المعاجم العربية المعتمدة كلها تقريبا. أما في المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية المصري فنجده ينص على ما يلي:

«ومن كلام الصوفية: **سر مطلسم**، **وحجاب مطلسم**، **وذات مطلسم**: غامض».

وهنا أسئلة تلح على أن تطرح،

1 – هل اطلع المعترضون على هذه كلها في مظانِّها؟ فإذا كان الجواب (نعم) فلماذا يستمرون في الادِّعاء بأن لفظ (المطلسم) غير معروف حتى أنه قد يوهم التنقيص؟ وإذا كان الجواب (لا) فلماذا يتكلم هؤلاء في العلم، وهم لا يبحثون، ولا يطلعون على المراجع اللغوية؟

2 – كيف يؤاخذ صوفي كبير مثل شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه بما اصطلح عليه الصوفية، فلم يقل المعجم الوسيط: (من كلام التجاني نور مطلسم) إنما نص على (ومن كلام الصوفية سر مطلسم الخ) أليس لكل قوم أن يصطلحوا على معنى معين؟! اللهم، بلى، وألف بلى. فذلك ما فعله النحاة، والبلاغيون، والمناطقة، والمهندسون، والرسامون، ولاعبو كرة القدم، والوهابيون والراقصون.

وقد فسرت المراجع التجانية (المطلسم) بالمخفي، وهم المعنيون بالدرجة الأولى، يقول الشيخ محمد الحافظ التجاني بعد بيانه أصل الكلمة: «فالمطلسم،

معناه المخفي، أي الذي بلغ شأوا ساميا، عز الوصول إليه، فلذلك خفي على غيره من الخلق، حيث لم يبلغوا كماله ﷺ»[1].

وعلى المنوال نفسه نسج كل الذين شرحوا جوهرة الكمال أو تعرضوا لبيان لفظ (المطلسم) نذكر منهم الشيخ الحاج عمر الفوتي في الرماح، وسيدي عبيدة بن امبوجه في ميدان الفضل والإفضال، وسيدي محمد الخليفة انياس في الجيوش الطلع رحمهم الله جميعا، ورضي عنهم، ونفعنا ببركاتهم، آمين.

ونختم هذا التوضيح بأبيات لسيدي عمر بن أحمد الوالي في ألفية الطريق، ألا وهي:

واعترضوا بقوله الأسقم في جوهرةٍ مع مطلسم يفي
أن لم يجز إطلاق لفظٍ مفهم نقصا على النبيّ مثل الأسقم
قد صح عنهما بأن كل موهم صدر من أمثال هذا العلم
يُقبل إن بينه مَنْ قَالَهْ بظاهر نستحسن احتمالهْ
الشيخ قد فسره بالمستقيم فيجب الرجوع للعقبى السليم
بل يجب التأويل حيث أمكنا بحسن إن لم نجد مبينا
فانظره في قواعد البرنوسي وقوله مطلسم أنيسي
نعت قد اشتق للفظ النور فسره السادات بالمستور
فانظره في المصباح لفظه ذُكِرْ فيه، فذو الإنكار ذو جهل كثُرْ

[1] – أحزاب وأرواد القطب الرباني سيدي أحمد التجاني الشريف ﷺ، صـ18

الشبهة السابعة:

يقولون: إن التجانية تدّعي أن النبي ﷺ يحضر وظيفتهم، وهو قد مات، والميِّت لا يعود، ثم إننا لو افترضنا جدلا أنه يعود فكيف يكون في مكانين مختلفين، فضلا عن أمكنة متباينة. فإذا كان في الإسكندرية أو في دكار مثلا، فكيف يكون في خَايْ أو كَانُو؟ وماذا يكون في قبره في المدينة المنورة؟

الردّ، وبالله التوفيق:

هذه الشبهة تتألف من ثلاثة أجنحة:

1 – أن الميت لا يعود إلى الحياة الدنيوية، وسيدنا محمد ﷺ ميت.

2 – كيف يكون إنسان واحد في أكثر من مكان؟

3 – إذا رؤي ميت في مكان ما يكون قبره خاليا منه، وذلك مستحيل.

أقول: إن هذه الأجنحة المنكمشة أضعف من جناح البعوض، وتدل بصراحة أن مثيري هذه الشبهة جهلاء متعصبون، ينظرون إلى الأمور بعين واحدة كليلة، فلو كانت لديهم ثقافة إسلامية (ولو متوسطة) لأدركوا أنهم في منحى عن الحقيقة، وفي معزل عن الواقع.

ألم تر إلى كذبهم الفاتر القائل بأن الميّت لا يعود، والأنبياء عليهم السلام عادوا إلى بيت المقدس وأمَّهم نبيُّنا في صلاةٍ ليلة الإسراء والمعراج، أهُمْ أعلى مرتبة منه ﷺ؟

أما تساؤلهم الهزيل المتمثل في خلو القبر من صاحبه إذا ربئ في مكان آخر فهو اعترافٌ صريحٌ بأن الميت ينتقل من قبره إلى مكان آخر، كما سنرى مع نبي الله موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

وأقرر هنا حقيقة أكبر مما يستغربون، ألا وهي أن الله تعالى يحضر مجالس الذكر وعليه فالقول بحضور سيدنا محمد ﷺ لمجلس ذكر يصلّى عليه فيه – وخاصة بجوهرة الكمال في مدح سيد الرجال لا يدخل في عداد المستحيلات، وإن كان خصوصية تجانية.

فنحن – معشر المتصوفة – نؤمن بأكبر من ذلك، وهو أن الله تعالى يحضر مجالس الذكر، أليس القائل في حديث قدسي صحيح «أنا جليس من ذكرني» وروى عن أبي هريرة مرفوعا: «أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه» وورد في الكنز رقم 1871 وفي فيض القدير شرح الجامع الصغير رقم 7025 بلفظ «أنا جليس عبدي حين يذكرني. وأنا معه إذا دعاني» وقد أخرجه الديلمي باللفظ ذاته[1]. فمن تيقن من أن الله جليسه لا يستغرب أو يستكثر أبدا من دونه يحضر كائنا من كان.

أما هؤلاء الذين لا يذكرون الله كثيرا، وإذا ذكروه لا يستحضرون، وإذا استحضروا لا يستمرون عليه فيستغربون كل ما لم يصل إليه مستواهم الإيماني المنحطّ جدًّا.

وعليهم أن يعرفوا أن سيدنا محمدا ﷺ ليس ميتا عاديا كما يتصور هؤلاء، فهو في روضته الطاهرة:

[1] – كشف الخفاء للعجلوني.

أ – يعرض عليه أعمال أمته، ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات:

قال عليه الصلاة والسلام: (إذا صليتم عليّ فأحسنوا الصلاة، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليّ)[1] وقال أيضا: «حياتي خير لكم تحدثون، ويُحدث لكم، فإذا أنا متُّ كانت وفاتي خيرا لكم، تُعرض عليّ أعمالكم، فإن رأيتُ خيرا حمدتُ الله، وإن رأيت شرًّا استغفرتُ لكم»[2] وقد روى بلفظ «حياتي خير لكم، وموتي خير لكم، أما حياتي فأسن بكم السنن. وأشرع لكم الشرائع، وأما موتي فإن أعمالكم تعرض عليّ، فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه، وما رأيت منه سيئا استغفرت الله لكم»[3].

ب – يرد سلام من يسلمون عليه أينما كانوا في مشارق الأرض ومغاربها:

إن الذي يستغرب وينكر أن يكون رسول الله ﷺ في مكانين في آن واحد، عليه أن ينكر وينفي بالأحرى أن يرد تسليمات الآلاف الذين يسلمون عليه من المسلمين الجانّ والإنس في آن واحد. فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله علي روحي، حتى أرد عليه السلام»[4]، وقد ورد هذا الحديث بلفظ: «ما من مسلم يسلم عليّ ... الخ ...» كما في سنن البيهقي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ السيوطي، وجاء أيضا بلفظ: «ما من

[1] – كنز العمال للمتقي الهندي / المجلد الأول رقم 2693.

[2] – الجامع الصغر / المجلد الثالث / حرف الحاء رقم 3771.

[3] – تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي / المجلد الرابع. وكشف الخفاء للإمام العجلوني / حرف الحاء المهملة رقم 1178، والكنز في المجلد الحادي عشر رقم 31903، ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي / المجلد الثامن رقم 14250.

[4] – رواه أبو داود، والترمذي والنسائي، وابن حجر في فتح الباري، والنووي في الأذكار، وفي رياض الصالحين، وابن القيم في تهذيب سنن أبي داود، والعراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

مسلم يسلم عليّ في قبري إلا وكّل الله ملكا يبلغني، وكُفِي أمر آخرته ودنياه، وكنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة» البيهقي والترمذي والنسائي.

تصور أن زائريه في أشهر الحج، والمصلين في مسجده بالمدينة قالوا معا في تشهدهم «السلام عليك أيها النبيُّ» فهل يرد عليهم جميعا؟ نعم، بلا خلاف، لأنه الصادق المصدوق، وقد وعد بذلك – وتبقى الكيفية مجهولة – لكن العقل الذي لا يقبل أن يكون الرسول في مكانين في آن واحد لا يقبل – منطقيا – أن يرد لسانه المبارك سلام كل هؤلاء واحدا واحدا في آن واحد.

ولو وسّعت الدائرة حتى تشمل كل المسلمين سواء أقالوا: «السلام عليك أيها النبيُّ» أم قالوا: «صلى الله عليه وسلم» أو قالوا: «اللهم صل وسلم على سيدنا محمد»، وسواء كانوا في الصلاة أم في غيرها؟ لرأيت أن هذا النبي ليس ميتا عاديا، وإذا ثبت له ذلك – وهو كذلك – فباب خرق العوائد قد انفتح، فكيف ينغلق لأن هناك مساجد تجانية يحضر في جميعها في وقت معين.

وإذا تصور عدد المسلمين الذين يصلون الظهر مثلا على البسيطة، والذين ينطقون بجملة: «السلام عليك أيها النبيُّ» في أحايين مختلفة، وفي أماكن متباعدة، وسيدنا محمد ﷺ يردّ سلام كل واحد منهم تدرك أن سيد الوجود نبينا محمدًا ﷺ أعلى مرتبة، وأرفع درجة مما يريد المحجوبون المغفلون أن يجعلوه فيه.

لطيفة: كل مصل يخاطب رسول الله ﷺ خطاب حضور:

في حوار بين شيخ الإسلام الحاج إبراهيم انياس التجاني السنغالي الكولخي رضي الله عنه، وبين أحد أولئك الذين ينكرون حضور النبي في مكانين: «قال له الشيخ: تصلي؟ قال: نعم، قال: تقرأ التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات، الصلوات لله،

السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته؟ قال: نعم، قال: في (عليك) ضمير خطاب، هل يوجهه عربي إلى غير حاضر؟».

جاء في صحيح البخاري: «إذا مات أحد يأتيه الملكان فيقعدانه، ويقولان له: ما علمك بهذا الرجل» ألا يدلك هذا على حضور رسول الله ﷺ معه في القبر؟[1] فبهت الذي كفر.

جـ – سيدنا محمد ﷺ يحضر لدى قبر كل ميت:

ينبثق من هذه اللطيفة أن سيدنا محمدا ﷺ يحضر عند ما يدفن أي ميت، فيسأل الملكان منكر ونكير الميّتَ (ما علمك بهذا الرجل)؟ بهذه الإشارة القريبة (هذا الرجل).

وإذا تعلم أنه في كل ثانية يدفن عشرات، بل مئات، إن لم نقل آلاف من البشر – مسلمين وغير مسلمين – تقبل بسهولة أن سيدنا محمدًا ﷺ ليس بميت عاديٍّ، وبالتالي لا يستغرب أن يكون في أماكن مختلفة متقاربة أو متباعدة، فالمساجد لا تقارن بقبور الناس كثرة، والمساجد في العالم ثلاثة أرباعها ليست تجانية.

د – كيف يكون سيدنا موسى عليه السلام في الانتقال من قبره إلى مكان آخر؟

قال الشيخ ابن القيم رحمه الله: «وقد ضح عنه ﷺ أنه رأى موسى قائما يصلي في قبره ليلة الإسراء ورآه في السماء السادسة أو السابعة، فالروح كانت

[1] – الردود السنية حول افتراءات محمد بن الأنصاري على الطريقة التجانية للأستاذ محمد ابن الشيخ عبد الله التجاني صـ 31.

هناك، ولها اتصال بالبدن في القبر، وإشراف عليه، وتعلق به، بحيث يصلي في قبره، ويرد سلام من سلّم عليه، وهو في الرفيق الأعلى»[1].

ففي هذا النص تقرير أكيد وإقرار صريح بوجود شخص واحد في مكانين مختلفين في آن واحد. فقد كان موسى في قبره، ويردّ سلام من سلّم عليه، ويستقبل سيدنا محمدًا في السابعة أو السادسة.

والسؤال المهم هنا: كيف يتأتى لنبيّ الله موسى عليه السلام كل ذلك، ولا يتسنّى لسيدنا محمد ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين؟

فالله جلَّتْ قدرته شرّف خاتم النبيئين وإمام المرسلين بأكبر وأكثر مما شرَّف به موسى عليه السلام، في هذه الناحية، وقد رأيت من ذلك ما فيه الكفاية، ولعل المعترض قد رجع، أو تراجع على الأقل، وكلاهما توفيق من الله تعالى.

الشبهة الثامنة:

يدَّعون أن التجانية عند ما تقرأ الجوهرة تنشر ثوبا أبيض ليجلس عليه النبي ﷺ ورفاقه عند ما يحضرون.

الرَّدُّ، والله الموفق:

هذه الشبهة افتراء محض على التجانية، فلا توجد في أي مصدر تجاني أن الثوب الأبيض يُنشر ليجلس عليه فلان أو علاَّن، ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[2].

غير أنها شبهة تدل على مدى تخبط المعترضين أو اقتناعهم بما نقول، فقد انطلقوا من زعمهم أن كل صلاة غير إبراهيمية لا يصلى بها على النبي ﷺ، وافتروا

[1] – الرح، صـ 92.

[2] – سورة البقرة، الآية 111.

أن الجوهرة تحتوي على كلمة تنقِّص من حق النبي ﷺ، وأخرى غير مفهومة المعنى، ومروا على أن النبي ﷺ لا يمكن أن يكون في مكانين في آن واحد.

والآن نزلوا إلى أنه لا يجلس على الثوب الأبيض، وذلك اعتراف بأنه يحضر، ولم نقل نحن إلا ذلك، والكيفية مجهولة.

فالحقُّ والحقَّ أقول: إنَّ نشر الثوب الأبيض ليس شرط صحة ولا شرط كمال، في الطريقة التجانية، إنما هو أدب وتعظيم واحتياط لجذب انتباه الذاكرين لاستقبال هذا الحدث الرباني العظيم. فإذا تعذر ثوب، أو شُكَّ في طهارته لا يُنشر، ولو تعمد قوم عدم نشره فلا شيء عليهم في فقه الطريقة[1].

أما الحكم الشرعي لهذا النشر، أو لهذا الثوب فهو في منطقة العفو، أي في البراءة الأصلية، إذ لم يحرم الشرع نشر ثوب أبيض أو أسود عند أي ذكر. وبما أنْ ليس هناك نصٌّ لا في الكتاب ولا في السنة يمنع ذلك فنحن في حلٍّ من فرش ثوبنا الأبيض عند ما نذكر أو نصلي.

وعلى المعترضين المتمسلفين أن يُنْجِبُوا – ولو بعد مخاض عسير طويل – مما يسمونه (السنة) نصا واحدا ولو مهلهلا يحرم نشر أي ثوب في الحين، لأننا سنيون ملتزمون أثبتنا أن الحق أحب إلينا من أنفسنا وآبائنا وأبنائنا.

«وقد ثبت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان ينشر ثوبه للملائكة كما في **العهود المحمدية** للإمام الشعراني، وفي كتاب **تنبيه المغترين** له أيضا ما نصه: وكان إبراهيم بن أدهم يقول: بلغنا أن عثمان بن عفان كان يفرش رداءه على باب الخلاء ويقول: اجلسوا ها هنا حتى آتيكم. وإذا كان لا مانع عقلا ولا شرعا

[1] – لا يهم أن ينر الثوب في بداية الذكر بالجوهرة، أو عند استهلال السابعة منها، ففي الأمر فسحة تسع الجميع إن شاء الله تعالى.

لحضور النبي ﷺ للمصلي عليه كما حققه الجهابذة النقاد، فلا ينكر على من فرش له جبينه كما قيل:

لو علمنا مجيئكم لفرشنا مُهَجَ القلب أو سواد العيون

وجعلنا فوق الجفون طريقا ليكون المرور فوق الجفون

وقال صاحب **أدلة اليقين** الشيخ الحاج هارون محمد التجاني الكوماسي: وأما دليل نشر الثوب في الوظيفة عند الجوهرة وقد صح أن النبي ﷺ بسط رداءه الشريف لأخته من الرضاع، حين جاءت في وفد هوازن، قال الإمام البوصيري:

بسط المصطفى لها من رداء أي فضل حواه ذاك الرداء

وكذا بسط عليه الصلاة والسلام رداءه لدحية الكلبي لما جاء يريد الإسلام وذلك ظاهر في التعظيم والإجلال، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة لقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا٢١﴾[1]، إلا فيما كان خاصا له، فينبغي للمريد نشره لحضور سيدنا وسيد الوجود عليه الصلاة والسلام بل لو فرش جبينه ومقلته لحُقَّ له»[2].

يبقى نصح خالص لهؤلاء الذين إذا أرادوا أن يصلوا، أو أن يجلسوا في بيوتهم، أو في مساجدهم للقراءة، أو للذكر، أو لمجرد حديث يفرشون سجادات مزركشة غالية الثمن، أو جلودا مزخرفة باهظة السعر، وإذا زارهم ضيف محترم يفرشون له الخدود والحشايا على الحُصُر والسجادات، ثم يعارضون نشر هذا الثوب الأبيض الذي يُشْترى بثمن بخس دراهم معدودة، لا تكلف ولا تعسف

[1] – سورة الأحزاب، الآية 21.

[2] – اليواقيت والجواهر، مرجع سابق.

فيه. فأيّ الفريقين – التجانية أو المبدّعة – أولى بالرجوع إلى السنة النبوية الشريفة؟

الرجوع إليها لدراستها دراسة واعية محيطة، ولكن لاتّباعها، والتمسك بها، وتطبيقها في الحياة اليومية، ثم مقارنتها بالتجانية: أسسها وأهدافها وممارستها (الأوراد اللازمة والاختيارية) وشرائطها، بعد رفع الشكوك، ودفع الشبهات، والتخلي عن الأحكام السلبية المسبقة التي إِسّها الوحيد التعصب والحقد والجفاف الثقافي وضعف الإيمان.

والتجانيون لا يخافون أن يقارنوا بالسنة النبوية، لأنهم سنة تنتقل، فليسوا كل السنة، لكنهم ليسوا غيرها، وقد برهنّا على ذلك قلبا وقالبا، وشكلا ومضمونا، شرقا وغربا، حالا وسلوكا، لله الحمد من قبل ومن بعد.

الشبهة التاسعة:

يتناقلون فيما بينهم: أن الصوفية عامة، والتجانية خاصة يوجبون على الناس اتخاذ شيخ مرشد يستأذنونه حتى في الاستغفار، والصلاة على النبي، وتلك وساطة بين العبد وربه، وهي أقرب إلى الشرك منه إلى الإسلام.

الردّ، وبالله التوفيق:

أقول: لكل منا شيخ يَتْبَعُه

أولا: قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾[1]، وعليه فكل واحد منا – صوفيًّا ومكفِّرًا له شيخ يقتدي به، قد تختلف الأسماء لكن الماهية لا تختلف جوهريًّا. إننا جميعا نعود في أمور ديننا ودنيانا، في تصورنا للحياة، في علاقتنا بغيرنا إلى شيخ،

[1] – سورة الرعد، الآية 7.

أو مرشد، أو مرجع، أو معلم، أو مفت، أو رئيس، أو أمير فيأمر وننفذ، ونستشيره في شأن فيشير ونطيع، ولا يهم أن يكون هذا الآمر الناهي حيًّا يُزرق، أو ميِّتًا يزار، ولا كتابا مطبوعا يباع في الأسواق، أو يوزّع مجانا، أو فكرا يتداول من لحية كثة إلى أخرى خفيفة، كل ذلك شيوخ لهم احترامهم، ونحن ومنتقدونا أتباعهم على الأرض.

آية ذلك هي كيف يُستشاطون غيظا عند ما تذكر أحد شيوخهم بما لا يرتضون؟ وحتى لو ذكرت واحدا منهم بمجرد اسمه ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾[1] مستبشرين. انظر كيف يستميتون في الدفاع عنهم؟ ثم إنهم لا يستطيعون أن يناقشوك مسألة واحدة فحسب دون أن يشتطُّوا اشتطاطا في ذكر شيخ الإسلام، أو الشيخ المجدد، أو ابن القيم، أو ابن باز، أو عثيمين، أو فوزان، أو الألباني، أو غيرهم من شيوخهم المشهورين أو المخمورين، أو على الأقل يسردون لك كتبهم التي عمروها تكفيرا للمسلمين، أو شق وحدتهم.

ولا يغترن أحد إذا سمع منهم: (قال أو يقول العلماء) فإنهم يقصدون بالعلماء هؤلاء الذين ذكرتهم، ومن ينسجون على مناولهم، وأحلف لك بالله الذي لا إله إلا هو أن غير هؤلاء لا يعدونهم من العلماء، ولو بلغوا ما بلغوا، فليكن الغزالي أو السيوطي أو الجيلاني أو التجاني، أو سيد قطب أو البوطي.

إن هؤلاء المنحازين المسحنفرين[2] في تقديس آراء مشايخهم ليس لهم أن ينتقدوا أحدا في وجوب اتخاذ شيخ مرشد، لأنهم لا يتحركون إلا في دائرة مشيخة ضيقة متعصبة.

---

[1] – سورة الإسراء، من الآية 51.

[2] – **المسحنفر**: الحاذق، الماضي في أموره، والرجل المسحنفر في كلامه: إذا مضى فيه ولم يتمكَّثْ.

ثانيا: ليس كل وساطة شركا

قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا٥٩﴾[1]، والشيوخ هم الخبراء في طريق السلوك إلى الله تعالى. فإذا سألناهم عما لا نعرف في هذه الطريق، كما نسأل طبيبا ماهرا عن بعض الأدوية، فهل من حرج؟

وقال الله تعالى أيضا: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ٤٣﴾[2]، والشيوخ هم العالمون العاملون، ونحن أميُّون أو محجوبون، فإذا استفتيناهم عما استشكل علينا، فلا ينكر علينا إلا جاهل، أو متجاهل، وبتعبير آخر، لا يعارض عملنا هذا إلا من لا يزن كلام الله عنده جناح بعوضة.

والشيوخ هم الذين هداهم الله بفضله، وأراهم الطريق القويم، وبصّرهم بالعوائق المادية والمعنوية التي تحول دون الوصول إلى معرفة الله تعالى، ومكنهم من تربية المريدين الصادقين على السلوك الصحيح، فإذا تقيدنا بمناهجهم الرشيدة، فهل طبّقنا غير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[3]؟ اللهم بلى.

ونحن لسنا من القصور الديني إلى درجة الاعتقاد أن كل من يستطيع أن يتوضأ ويقرأ سورة أو سورتين عند ما يصلّي، ويحفظ خمسة أحاديث أو ستة يكون مستقلا، بل يصبح مفتيا يصدر فتاوى يكفِّر بها من يخالفونه دون تبصر، أو يزكّي بها من يشاطرونه الانتماء.

---

[1] – سورة الفرقان، الآية 59.

[2] – سورة النحل، الآية 43.

[3] – سورة الأنعام، الآية 90

فكيف يقول مسلم: إن الوساطة بين العبد وربه شرك، وهو يقتدي بإمام في صلواته الخمس، إن كان يصلّي حيث يُنادى إليها؟ ألم يكن الله قادرا على أن ينزل القرآن الكريم في قلب النبي ﷺ مباشرة بدلا من أن يتخذ جبريل وسيطا بينه وبين رسوله في إيصال الوحي؟

والآية أو الجزء من الآية الذي يرهبون به بعض السذج ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[1]. قد قاله الكفار في موقف المحَاجّة عند ما أُزْعجوا وسُفِّهُوا، لكنهم لم يكونوا يؤمنون بوجود إلهٍ مستحقٍ للعبادة وحده، حتى يتخذوا إليه زلفى تساعد على ذلك، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورَۢا۩﴾[2]، هذا رفض صريح للعبادة، وجهل أو تجاهل واضح بمستحق العبادة، فكيف يدّعي من هذا حاله أن يعبده عن طريق وسائط؟ فلينتبه خصومنا.

والصوفية يرون أن «اتخاذ شيخ مرشد متوفر على لوازم المشيخة عمل لا بد منه للسالك إلى الله حتى لا يتخذ إلهه هواه»، ويقولون أن طلب الشيخ المرشد واجب، لو بالسفر إليه، ويرددون في أوساطهم – وهم على حق – (من لا شيخ له فشيخه الشيطان).

الشبهة العاشرة:

يتساءلون في جهل مركب لماذا لا تقرأ جوهرة الكمال بالتيمم، ويقرأ القرآن به. فهل يعني ذلك أن جوهرة الكمال أقدس من القرآن الكريم؟

[1] – سورة الزمر، من الآية 3.

[2] – سورة الفرقان، الآية 60.

الردّ، وبالله التوفيق:

القرآن الكريم كلام الله العظيم تبارك اسمه، وتعالى جده، وبذلك فهو أقدس كل كلام، وكل ذكر، ولكل صلاة، ولعلك تذكر أن شيخنا رضي الله عنه قال في جواهر المعاني: (إن القرآن هو أفضل الذكر)[1]، و«وإن كل حرف من القرآن لا يعدل ثوابه شيء من العمل»[2]، و(إنه أفضل درجات التقرب إلى الله)[3]، و(إن كل العبادات إذا جُمعت بالنسبة إليه كنقطة في بحر)[4].

ولهذه الدرجة العليا لا يمكن لمسلم الاستغناء عن تلاوته سواء مع الطهارة المائية أو الصعيدية، فلا بديل له لأي متعبد، فهو الماء للكائن الحي.

أما جوهرة الكمال – وإن علت درجتها – فلا يعدو كونها صلاة على النبي ﷺ يستعملها أناس معنيون، ولا يستعمله بل يجهلها أكثر المسلمين وعباداتهم صحيحة، مقبولة إن شاء الله تعالى.

ولها بديل عند من يستعملونها، ومن البدهي أنها ليس له بديل أفضل وأكثر قيمة مما به بديل. وهذا هو الحال بين القرآن الكريم وجوهرة الكمال.

شيخ الطريقة واجب نظري، لكن ...

إن هذا الوجوب الذي تحدث عنه السادة الصوفية شرحه شيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه شرحا وافيا بيّن فيه أن هذا الواجب من طريق النظر، لا من طريق

[1] – جواهر المعاني، جـ 1، صـ 176.
[2] – جواهر المعاني، جـ 1، صـ 177.
[3] – جواهر المعاني، جـ 1، صـ 177 و178.
[4] – جواهر المعاني، جـ 1، صـ 178.

الحكم الشرعي، حتى يكون تاركه عاصيا في حكم الشرع الظاهر، ثم كتب في رسالة له يردّ فيها على سؤال حول هذه المسألة:

«ليس في نصوص الشرع إلا وجوب توفية القيام بحقوق الله تعالى ظاهرا وباطنا على كل فرد من جميع العباد، ولا عذر في ذلك من طريق الشرع، ولا عذر لأحد في غلبة الهوى عليه، وعجزه عن مقاومة نفسه.

فليس في الشرع إلا وجوب ذلك، وتحريم غيره لوجوب العقاب عليه، ولا شيخ يجب طلبه إلا شيخ التعليم الذي يعلم كيفية الأمور الشرعية التي يُطلب فعلها من العبد أمرا، ونهيا، وفعلا، وتركا. فهذا الشيخ يجب طلبه على كل جاهل، لا يسع أحدا تركه، وما وراء ذلك من المشائخ لا يجب طلبه من جهة الشرع، لكن يجب طلبه من جهة الصحة في حقه، فنقول له: إن شاء طلب الطبيب الماهر الذي له معرفة بالعلة وأصلها والدواء المزيل لها، وكيفية تناوله كمًّا وكيفًا ووقتًا وحالاً»[1].

هذا قول فصل في مسألة طلب الشيخ، ويبقى السؤال الأصليّ أو الأصيل المهمّ، من الذي ليس مريضا منا؟

ألم تر إلى ما في صدورنا، وصدور المنكرين علينا من حقد، وحسد، وبغض في غير الله، ينضاف إليها رؤية الفضل على الغير، والتعصب، والمحاباة، والمحسوبية، وحب الجاه والمال، وتزكية النفس، واتباع الهوى، والانغماس في الشهوات المحرمة، واقتفاء آثار الشيطان بخطى حثيثة. فما المنقذ؟

[1] – الجواهر 164/1.

المنقذ الوحيد هو التوكل على الله تعالى، ثم اتخاذ شيخ عالم عارف يقودك في أمن وأمان إلى بر السلام، سلام المعرفة والوصول:

يقول الشيخ عمر الفوتي ﷺ: «اعلم أيها المريد نجاةَ نفسك أن أول ما يجب عليك قبل كل شيء طلب شيخٍ يبصرك بعيوب نفسك، ويخرجك عن طاعة نفسك، ولو رحلت إليه في أقصى الأماكن والبلاد»[1].

وقال أيضا: «الفصل الثاني عشر في إعلامهم أنه يجب على كل عاقل يريد تخليص نفسه من الرذائل النفسانية والشيطانية المردية عاجلا وآجلا طلب شيخ متبحر في العلوم، عارف بالعيوب، ناصح، فيلقي إليه القياد، ويتبع أوامره، ولا يخالفه في شيء»[2].

وعلى كل حال فهؤلاء الذين ابْتُلُوا بالإنكار على الأولياء والصالحين من عباد الله أن يتخذوا شيوخا يخلّصونهم من رعونات نفوسهم الأمارة بالسوء، وكل أمراض النفوس التي يترنحون تحتها قبل فوات الأوان.

تفريع: يفرّع هؤلاء من مسألة اتخاذ شيخ مرشد تساؤلهم السخيف قائلين: لماذا لا يكون للصوفية شيخ واحد، بدل هذا الكمّ الهائل الذي يعتبر كل واحد منهم نفسه قطب الرحى؟

والجواب المُسْكت لهذا الاعتراض المعبر عنه في شكل سؤال هو: أن الصوفية لهم فعلا شيخ واحد هو سيدنا محمد ﷺ، فهو شيخ الشيوخ، وقطب الأقطاب، فمن يُسمُّون – تجاوزًا – بالشيوخ مجرد سبل إليه.

---

[1] – الرماح 354/1.

[2] – الرماح 354/1.

وإذا كانت السبل إلى الله كثيرة حتى لا تعد ولا تحصى، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ **سُبُلَنَاۚ** وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ٦٩﴾[1]، وهذا لكل المؤمنين المجاهدين في سبيل الله، لكنه هدى رسله أفضل بني البشر سبلٌ متعددة، فها هو ذا القرآن الكريم يحكي عن هؤلاء قولهم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ١٢﴾[2].

إذا كان كل هذا، فلماذا لا يكون للصوفية شيوخ متعددون يدلّون على الله بالله كلّ مسلم موفق؟!

استطرادان:

الأول: مواصفات شيخ التربية، وكيفية تعامل المريد معه:

قال الإمام الشريشي رحمه الله:

وللشيخ آيات إذا لم تكن له فما هو إلا في ليالي الهوى يسري
إذا لم يكن علم لديه بظاهر ولا باطن، فاضرب به لجج البحر
وإن كان إلا أنه غير جامع لوصفيهما جمعا على أكمل الأمر
فأقرب أحوال العليل إلى الردى إذا لم يكن منها الطبيب على خبر
وآياته أَنْ لا يميل إلى هوى فدنياه في طيّ، وأخراه في نشر
وإن كان ذا جمع لأكل طعامه مريدا، فلا تصحبه يوما من الدهر
وأما بيان الشيخ عنه لنا وتعيينه يغنى عن البحث والسير
ولا تسألن عنه سوى ذي بصيرة خليّ من الأهواء، ليس بمغترّ

[1] – سورة العنكبوت، الآية 69.

[2] – سورة إبراهيم، الآية 12.

ولا تُقْدِمَنْ قبل اعتقادك أنه مربٍّ، ولا أولى بها منه في العصر
فإن رقيب الالتفات لغيره يقول لمحبوب السراية لا تسر
ولا تعترض يوما عليه فإنه كفيل بتشتيت المريد على هجر
ومن يعترض والعلم عنه بمعزل يرى النقص في عين الكمال ولا يدر
ومن لم يوافق شيخه في اعتقاده يظل من الانكار في لهب الجمر
فذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى عن الحق نأيَ الليل عن وَضْح الفجر
ولا تعرفنْ في حضرة الشيخ غيره ولا تملأنْ عينا من النظر الشزر
ولا تنطقنْ يوما لديه، فإن دعا إليه فلا تعدل عن الكلم النزر
ولا ترفعنْ بالضحك صوتك عنده فلا قبح إلا دون ذلك فاستقر
ولا تقعدنْ قُدامه متربِّعا ولا باديًا رجلا فبادر إلى الستار
ولا باسطا سجَّادة بحضوره فلا قصد إلى السعي للخادم البر
وسجّادة الصوفيّ بيت سكونه ولا وكر إلا أن يطير عن الوكر
وما دمت لم تفطم فلا فرحيَّة عليك، ولا تلف عليها بمستجر
ولا ترين في الأرض دونك مؤمنا ولا كافرا حتى تغيّب في القبر
فإن ختام الأمر عنك مغيّب ومن ليس ذا خُسر يخاف من المكر

ثانيا: مواصفات المريد الصادق:

سئل شيخنا التجاني رضي الله عنه عن المريد الصادق، فقال ما ملخصه:

«المريد الصادق هو الذي عرف جلال الربوبية، وما يجب القيام به من حقوق الألوهية، وعرف ما عليه نفسه من العجز والكسلان، والإخلاد إلى

الراحة، والتقاعد عن صالح العمل، وأنه إن قام مع نفسه على تلك الحالة لحقه في الدارين ما لا غاية له من الوبال، فلما عرف ذلك رجع بصدق وعزم وجد واجتهاد طالبا من ينقذه من وحلته، ويحلّ وثاقه من أسر شهوته، ويدله على طريق الوصول إلى حضرة رب العباد. فهذا هو المريد الصادق، وأما غيره فهو طالب لا غير، قد يجد، وقد لا يجد»[1].

ومن هذا المنطلق قال القوم:

- من كانت بدايته أحكم، كانت نهايته أتم.
- البدايات مجلاة النهايات.
- أكثر العوائق والموانع من فساد الابتداء.

[1] – بغية المستفيد لشرح منية المريد، لسيدي محمد ابن العربي السائح 149.

الفصل الرابع: شئون خاصة

المبحث الأول: من فقه الطريقة التجانية

المبحث الثاني: تأصيل وتنظيم

الفصل الرابع

شئون خاصة

قد قدَّمْنا في الفصول الثلاثة الماضية – فيما نعتقد – مادة دسمة لمن يريد – ويقدر أن يقارن في جو من الحياد والإنصاف بين التجانية والسنة النبوية، أما تجّار المعتقدات والمرتزقون الذين باعوا الحق بالريال، والذين ينعشون جيوبهم على قلوبهم فلا حديث لنا معهم، لا من قبل ولا من بعد، غاية ما هناك أن يدركوا أنهم مرضى ويتدَاوَوْا، وكفى.

إننا نخصص هذا الفصل لمسائل تجانية خاصة، بعضها تطبيقات يومية، وبعضها تنظيميّ بحت، لذلك قسمناه إلى مبحثين: فقه الطريقة، ودعوة التنظيم.

المبحث الأول: من فقه الطريقة التجانية:

هذا المبحث يعني هؤلاء الذين اقتنعوا بالتجانية وانخرطوا في سلكها الرباني، يذكرون أورادها. ويضطرون إلى فقه ما يمارسونه صباح مساء، كيف يقومون به؟ ما الذي يفسده؟ كيف يصلحون ما يمكن إصلاحه؟ ما الذي لا يمكن إصلاحه؟ ما الجبر؟ ما صوره؟ ما البدل؟ ما موجباته؟ إلى كل ما هناك من أسئلة واستفهامات.

ونحن نحاول أن نلخص من مؤلفات ساداتها الأجلاء أصح ما نعتقد، وأوضح ما نرى، وأشمل ما وجدنا فجزاهم الله عنا وعن التجانية خير جزاء، ونفعنا ببركاتهم، وألحقنا بزمرتهم، آمين فنقول:

أركان الورد اللازم ثلاثة:

1 – أستغفر الله مائة (100) مرة.

2 – الصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة مائة (100) مرة، وصلاة الفاتح أفضل.

3 – لا إله إلا الله مائة (100) مرة.

ويفتتح الورد بالتعوذ والفاتحة مرة، وتختم الصلاةُ على النبي ﷺ بـ(سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).

وتختم الهيللةُ بـ(سيدنا محمد رسول الله، عليه سلام الله، إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).

أركان الوظيفة أربعة:

1 – أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثون (30) مرة.

2 – صلاة الفاتح خمسون (50) مرة، ولا يصح غيرها في الوظيفة. وعلى ذلك فمن لم يحفظها ولم يتقن قراءتها في ورقة تسقط عنه الوظيفة.

3 – لا إله إلا الله مائة (100) مرة.

4 – جوهرة الكمال، اثنتا عشرة (12) مرة.

وتفتتح كالورد وتختم صلاة الفاتح بما ختمت به في الورد أي آخر سورة اليقطين وتختم الهيللة بمحمد رسول الله عليه سلام الله، أو بسيدنا محمد رسول الله عليه سلام الله[1]، فالكل طريقة إن شاء الله.

وتختم الجوهرة بـ(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ثم (صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما) مع آخر سورة اليقطين (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).

ولهيللة عصر الجمعة ركن واحد هو لا إله إلا الله أو الله الله أو هما معًا ألف (1000) مرة، ويمكن أن يزاد العدد إلى ألفٍ وستّمائةٍ (1600) مرةٍ[2]، ويمكن أنْ لاَ تُعَدَّ إذا ابتدئ الذكر قبل غروب الشمس بساعة.

وتفتتح بالفاتحة مرة، وصلاة الفاتح 3 مرات، وإن الله وملائكته الخ، (صلى الله عليه ....) مع آخر سورة اليقطين. وتختم بالفاتحة مرة وصلاة الفاتح 3 مرات، و(إن الله وملائكته ..؟ الخ)، (صلى الله .... مع آخر سورة اليقطين)[3].

شروط الورد الخاصة، زيادة على شروط الصحة المتعلقة بالورد:

1 – النية في أوله.

2 – الإسرار فلا يُجْهر به.

---

[1] – قد بينا سابقا رأي الشيخ عمر الفوتي في ذلك، وكذلك رأي الشيخ محمد الحافظ التجاني. راجع الصفحة 96 – 97 من هذا الكتاب.

[2] – فالألفُ رواية سيدي محمد ابن أبي النصر العلوي، و1200 رواية سيدي محمد الحافظ الشنقيطي، و1600 رواية سيدي محمد الغالي ولسيدي إبراهيم رواية (2000)، ومهما يكن من شيء فلا أقل من ألف 1000.

[3] – إذا وجد المريد إخوانا له في الطريقة يفتتحون أو يختمون هيللة الجمعة بغير ما ذكرنا، فليذكر معهم، ففي هذه المندوبات فسحة كبيرة.

3 – عدم اللحن في ألفاظه.

4 – عدم التسرع المفرط المخلّ بالمعنى.

5 – استقبال القبلة إلا لعذر، كسفر.

مندوباته:

1 – استحضار معنى الذكر لمن يقدر عليه. أما استحضار صورة الشيخ أو صورة النبي ﷺ فشرط كمال. راجع شروط الطريقة.

2 – الجلوس كهيئة الصلاة، ويجوز للكبير التربع، والإقعاء، والجثو.

3 – تغميض العينين، لمن يخاف التشويش عليه مما حوله.

مكروهاته:

1 – تبسم كثير.

2 – التفات قليل.

3 – تفكر في أمر دنيوي.

4 – نوم خفيف.

شروط الوظيفة الخاصة جماعةً، زيادة على شروط الصحة المتعلقة بالورد:

1 – النية في أولها.

2 – التحليق.

3 – الجهر المتوسط كدويّ النحل للرجال، أما النساء فلا يجهرون أبدًا.

4 – عدم تخليط الأصوات.

5 – الجلوس كهيئة التشهد في الصلاة عند ابتداء الجوهرة السابعة إلا لعذر.

مندوباتها:

1 – الترتيب، لا التغني.

2 – نشر ثوب طاهر عند الجوهرة.

3 – ختم تلاوة الجوهرة الأخيرة برفع الأكف.[1]

4 – مصافحة مَنْ على اليمين ومن على اليسار ومن يصل إليه بعدُ.

ويكره فيها ما يكره في الورد اللازم، لكن أكلاً يسيرا، وشربا قليلا لا يبطلانها.

شروط ذكر عصر الجمعة (جماعة) زيادة على شروط الصحة المتعلقة بالورد:

1 – النية في أوله.

2 – التحليق أو الصف.

3 – الجهر المتوسط كدويّ النحل للذكور فقط.

4 – عدم تخليط الأصوات.

5 – الاتصال بغروب الشمس.

ويندب له ما يندب للوظيفة، إلا أننا لم نطلع في المصادر التجانية التي تتوفر لدينا على استحباب نشر ثوب أبيض، عند ذكر عصر الجمعة، على الرغم من ثبوت حضور النبي ﷺ له من البداية، كما في بغية المستفيد والدرة الخريدة، لكننا

[1] – «من آداب الدعاء رفع اليدين معا ... وبعضهم يكرهون ذلك ... لأنه فيما يرون يطفئ نور البصر، ويورث العمى ... هذا رأي الإمام أحمد سكيرج في الكوكب الوهّاج، وكان الشيخ سيدي محمد بن عبد الفاسي يمسح بأطراف يديه على جبهته، ولا يمرهما على عينيه. وكان الشيخ سيدي العربي بردلة يمسح يديه تحت عينيه. وكان أبو علي اليوسي يمسح يديه على صدره، ليعود ذلك النور إلى قلبه. وجل مشائخ الطريقة في المغرب يفعلون ذلك» راجع (رسالة رفع الأكف في المرة الأخيرة من الجوهرة في المرة الأخيرة) للشيخ أبي بكر عتيق التجاني ضمن مؤلفاته (أربعة كتب).

رأينا جل ساداتنا ينشرونه في زواياهم عند ذكر هيللة الجمعة. ومهما يكن من شيء فيجب أنْ لا يكون النشر وعدمه محل اختلاف بين التجانيين.

تنبيه هام:

يتساهل بعض التجانيين في ذكر عصر الجمعة حتى أنهم لا يحصرونه، أو يحضرون قسطا قليلا منه، وبعضهم لا يعرفون أنه لازم من لوازم الطريقة، ومن أغرب ما سمعتُ قول بعضهم: أنا لم أُلَقَّنْ هيللة عصر الجمعة. وهذا كله تهاون من قبل هؤلاء المريدين، لكنه قصور من جانب المقدمين الذين لا يبينون لهم أهمية هذا الذكر في الطريقة التجانية.

وقد ذكر الشيخ محمد الحافظ في قصد السبيل: «وأي بلد اصطلح أهلها على ترك الاجتماع رأسا للوظيفة والهيللة، ذلك تهاون بالطريق، وذكر سيدنا ﷺ أنه يصل بهم للخروج عن الطريقة والانقطاع، والعياذ بالله» صـ 34.

أوقات الأوراد:

للورد اللازم الصباحي وقتان:

1 – الوقت المختار، وهو من صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى، أي حوالي الساعة الحادية عشرة.

2 – الوقت الضروري، وهو من آخر الوقت المختار إلى غروب الشمس.

وكلاهما أداء، ولا يكون الصباحي قضاء إلا بعد صلاة المغرب.

وللورد اللازم المسائي وقتان كذلك:

1 – الوقت المختار، وهو من بعد العصر إلى العشاء الأخير.

2 – الوقت الضروري، وهو من العشاء الأخير إلى الفجر، ولا يكون المسائي قضاء إلا بعد صلاة الفجر.

حكم الورد التجاني:

1 – يجب أداء الورد اللازم مرتين في اليوم، مرة في الصباح، ومرة في المساء.

2 – تجب الوظيفة مرة واحدة في اليوم، وإن كانت مرتين فحسن.

3 – ذكر عصر الجمعة واجب مساء كل جمعة إذا بقي من غروب الشمس ساعة واحدة، أو قدر ما يقرأ فيه ألف إلى ألف وستمائة من لا إله إلا الله.

ويترتب على هذا الحكم أنَّ منْ فاته وقت الورد الأدائيّ يقضيه، ولو طال أو تكرر. وكذلك يقضي الوظيفة. أما هيللة الجمعة فلا تقضى، ومن هنا خطورة التخلف عن وقتها[1].

تقديم الورد اللازم:

يجوز تقديم ورد الصباح ليلا، ولو بدون عذر متوقع، بعد صلاة العشاء بساعة، أي بعد حوالي ثلاث ساعات من غروب الشمس[2].

---

[1] – ذهب الفقيه الكنسوسي إلى وجوب قضاء حضرة الجمعة كالورد والوظيفة إذا فاتت المرءَ يدون عذر. الفتح الرباني صت 51. والدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة جـ 707/1، ويرى صاحب الهداية الربانية أنه يلزمه استدراك مثلها من غير قضاء ويثقل عليه بألف من صلاة الفاتح وبكثرة الاستغفار إن لم يكن له عذر شرعي، ولا يسمى ما يفعله قضاء لأن وقت الإجابة قد فاته

[2] – **لطيفة:**

- إن تجويز تقديم الورد ليلا مجرد رخصة، والذين أجازوه يعللونه بفضل صلاة الفاتح ليلا، لكن الأمر لا يصل إلى أن بعض التجانيين لا يقرؤون الورد اللازم بعد العصر، بل ينتظرون غروب الشمس ليقع في الليل، ثم بعد العشاء يقدمون ورد الصباح التالي، وفي هذا نوع من الغلو أو ضرب من التطرف.
- فشيخنا التجاني رضي الله عنه لما حدد الورد اللازم وقته المختار بعد صلاة الصبح مباشرة، وبعد صلاة العصر مباشرة، وحدد بعد المختار الوقت الضروري، لكن هناك وقت أفضل؟

أما ورد المساء فلا يصح تقديمه ليلا إلا بشرطين:

أ – أن يكون هناك عذر محقق أو قوي احتمال الوقوع، ولذلك إن لم يقع العذر يعيده المريد في وقته.

ب – أن يكون بعد تقديم ورد الصباح لوجوب الترتيب بينهما.

ملحوظتان:

1 – إذا كان المرء يقدم الورد وطلع عليه الفجر أثناءه يتمّه للحرمة، ويعيده في وقته العاديّ[1]، ولا يقرأ الورد بين طلوع الفجر وصلاة الصبح، لأنه بعد طلوع الفجر لا بد أن تتقدمه صلاة الصبح.

ولا يصح تقديم ورد المساء نهارا، ولو تحققت الأعذار على الأصح، أو على الأشهر، أي لا يجوز أداء الورد المسائي إلا بعد أن يصلّي المرء صلاة العصر، فلو كان في مكان لا يمكنه أن يصلي فيه، أو كان على مركب لا تتأتّى الصلاة عليه ليس له أن يقدم الورد على الصلاة.

2 – إن الذاكر «يقطع ورد الصباح إن كان يقرؤه ليلا. وتذكّر أنه لم يقرأ ورد المساء، خصوصا إذا كان الوقت لا يسع إلا هو، لأن الوقت فيه، وإذا قطعه وقرأ ورد المساء وأراد أن يقرأ ورد الصباح فلا بد من استئنافه، ولا يبني على ما ذكره قبله ورد المساء.

– فقد كان المنطق أن يقول الشيخ بدءًا إن الوقت المختار للورد هو الليل جملة. وبعده عقب صرة الصبح إلى الضحى الأعلى للورد الصباحي، وعقب صلاة العصر للمغرب بالنسبة للورد المسائي.

– هذا، وقد ذهب بعض ساداتنا – ومنهم الشيخ عباس صل التجاني رضي الله عنه – إلى أن تضعيف ثواب صلاة الفاتح يتحقق في غير الورد. أما الورد فمضعّف ثواب الصلاة بأربعمائة مرة أينما وقع، والله أعلم.

[1] – الأحوط عدم تقديم الورد إذا كان المرء لا يتحقق من طلوع الفجر، فأكثر الناس هنا لا يعرفون متى يطلع الفجر الصادق بل يؤخرون الصلاة لعدم معرفتهم الوقت المناسب.

وأما من شرع في ورد الصباح بعد صلاة الصبح، وتذكر أنه ترك ورد المساء فلا يقطعه، بل يتمه، ويقضي ورد المساء، لأن الترتيب هنا غير مشروط.

وأما من شرع في ورد المساء بعد صلاة العصر فتذكر أنه نسي ورد الصباح فإنه يقطعه، ويأتي بورد الصباح، ثم بورد المساء، لأن الترتيب هنا شرط لاشتراكهما في الوقت بخلاف من شرع فيه بعد المغرب، وتذكر أنه ورد الصباح فلا يقطعه، لأن ورد الصباح صار قضاء»[1].

وقت الوظيفة:

أسلفنا أن مرة واحدة فقط هي الواجبة منها في اليوم كله، فالممنوع أن يخلو يوم وليلة كاملان من وظيفة. بعضهم وقتها من عصر إلى عصر، وبعضهم من غروب إلى غروب.

وعليه فالذي يذكرها مرة واحدة لا يمكنه أن يقدمها لا ليلا ولا نهارا، أي لا يتعلق بالوظيفة تقديم، لأن اليوم كله وقت لها، فإذا لم يتمكن من أدائها في الصباح الباكر، ففي الضحى، أو في الظهر، أو مع العصر أو بعد المغرب، أو بعد العشاء بقليل أو بكثير.

أما إذا كان المرء يذكرها مرتين فوقتاها – إذًا – كوقتي الورد اللازم في المختار والضروري صباحا ومساء، غير أن على المريد التجاني أن يعين المرأة الواجبة عليه، أهي الصباحية أم المسائية فيقضيها إذا فاتته. وتكون الأخرى نافلة لا تُقضى إلا تطوعا.

[1] – الفتوحات الربانية مع الفتح الرباني 86.

تفريعات:

1 – يجب قضاء الوظيفة إن فاتت كما أسلفنا.

2 – إذا كان المرء يذكر الوظيفة مرة واحدة في اليوم ففعلها بعد المغرب أحسن، وعلى ذلك استمر شيخنا أحمد ﷺ في آخر عمره[1].

3 – تنجبر الوظيفة كالورد بمائة (100) من أستغفر الله. وسنتناول الجبر وأحواله لاحقا إن شاء الله.

وقت هيللة عصر الجمعة:

قد سبق أنها تُوقع بعد صلاة العصر من يوم الجمعة بقدر ما يقرأ فيه ألف أو ألف إلى ستمائة، أو قدر ساعة متصلة بغروب الشمس إلا لعذر «ومن كان له عذر صحيح يمنع اتصالها بالغروب، فله أن يقرأ العدد ويمضي لشغله» قصد السبيل 32.

تخيير المريض والحائض:

إن المريض الذي اشتد عليه المرض، والحائض، والنفساء مُخَيَّرون في قراءة الورد وعدمها، ولا قضاء عليهم. أما صاحب المرض الخفيف إن لم يذكر يقضي، ولو طال الزمن وتكرر وكثر ما فاته.

وعلة جواز قراءة الحائض للورد في قياسها على قراءة القرآن في مذهب الإمام مالك ﷺ. والظاهر أنها مخيرة في قراءة الوظيفة وهيللة الجمعة، إلا أنها لا تقرأ الجوهرة، بل تأتي بالبدل، وإن لم يذكر المخير فلا قضاء عليه.

[1] – الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني مصدر سابق، والتقييد للشيخ عبد الكريم بن العربي بنيس صـ 5، وبغية المستفيد في وقت الوظيفة.

تنبيه مهمّ:

إذا ترك المريد التجاني الاجتماع بإخوانه لقراءة الوظيفة، وهيللة عصر الجمعة بدون عذر، وقرأهما في بيته، فهل يجزئه ذلك؟ قيل: إنه لا يجزئ[1]، وقيل يجزئ في إثم كبير.

ويقول الشيخ محمد السيد التجاني رحمه الله: «الأحوط عدم الإجزاء، والإجزاء مع العصيان، فهو متهاون، ومن تهاون بالورد والوظيفة حلّت به عقوبة في ماله، وبدنه ودينه، عقوبةً له».

فإن تمالأت الإخوان في البلد على ترك الاجتماع نزلت بهم مصيبة، وربما تعم الإقليم، لأن إقامة الوظيفة والاجتماع لها، وقراءتها أمانٌ للإقليم، وعليه فيقوّمهم الجيران، لئلا يهلكوهم، بنقض العهود الذي هو سبب الهلاك ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾[2].

أحكام التيمم:

1 – من تيمم للصلاة المكتوبة فهل يمكنه أن يقرأ به الورد اللازم أو الوظيفة؟

أ – سيقول سيدي محمد بن عبد الله الطصفاوي في الفتح الرباني، وسيدي محمد الحافظ التجاني في قصد السبيل، وسيدي أحمد التجاني الشنقيطي في الفتوحات الربانية: لا تصح قراءة الورد اللازم بتيمم الفريضة، ومن فعل ذلك لا بد أن يعيده، ولو طال الزمن، أو تكررت المرات.

[1] – سبق أن قلنا بأن عدم الإجزاء هو رأي كل من الشيخ البعقيلي في الإراءة، والشيخ أحمد التجاني ابن محمد الشنقيطي في الفتوحات الربانية، والشيخ إبراهيم انياس في جواهر الرسائل.

[2] – سورة الأنفال، الآية 25.

ب – يقول الشيخ الحاج مالك سي في فاكهة الطلاب:

تيمّمُ الصلاة إن قرأتا به على وردك ما حرجتا[1]

ويصح أن تقرأ الوظيفة بتيمم الفريضة لكون أمرها أخف من أمر الورد.

2 – لا يكفي تيمم واحد لوردين، أو لورد ووظيفة أو هيللة.

3 – لا يتيمم راجي الحصول على الماء للورد أو الوظيفة جميع الأوراد غير اللازمة إلا الجوهرة، والاسم الأعظم، وكل ما يقرأ بنيته.

حكم المسبوق:

المسبوق إما أن يكون متيمما، وإما متوضئا. فإذا كان متيمما سيأتي حكمه عند ما نتحدث عن البدل لاحقا إن شاء الله.

وإذا كان متوضئا يقرأ الجوهرة يُسْبَق في حالتين:

1 – حالة الوظيفة:

وهنا يبدأ بالنية مع الذاكرين حيث يَجِدهم، أي في الكلمة التي وجدهم ينطقون بها، ولكنه لا يَعُدُّ المرة إن لم يبتدئها معهم، ولا يبسمل، ولا يقرأ الفاتحة.

قال سيدي الحاج مالك سي ﷺ في نيل المرام:

ولا تعوذنْ ولا تبسملا يا أيها المسبوق نلت الأملا[2]

[1] – يقال: حَرَج الرجل يَحْرُج حرجا بمعنى (أذنب).

[2] – غير أن الشيخ الطصفاوي في الفتح الرباني يرى أنه يتعوذ ويبسمل، ولكنه لا يقرأ الفاتحة، ولكن عمل أهل عين ماضي والتماسيين هو قراءة الفاتحة بكاملها المسبوق.

وإذا أنهى قراءة الجوهرة معهم يقضي ما فاته قبل أن يقول (إن الله وملائكته على النبي .... الخ) أو بعدها، أي له أن يقرأ (إن الله وملائكته على النبي .... الخ) ثم يقضي ما فاته ولا يكرر الآية.

وإذا كان يقضي ما فاته لا يقرأ الفاتحة، لأنها ليست إلا على من حضر البداية في الجماعة، أو المنفرد.

تفريع: إذا نسي المسبوق في الوظيفة القضاء بعد الفراغ، وتذكره قريبا فإنه يأتي ما سُبق به ولا شيء عليه، فإن طال أو أحدث، أو فعل شيئا من العبادات، أو غيرها يُعِدْ وظيفته من أولها.

البدل هو: عشرون من صلاة الفاتح لما أغلق، يقرأها الذاكر بدل جوهرة الكمال في الركن الرابع من الوظيفة.

صاحب البدل: هو الذي في حالة لا تسمح له بقراءة جوهرة الكمال، فيبدلها بعشرين من صلاة الفاتح.

موجبات البدل:

هناك عشرة أمور تجعل المريد التجاني يبدل الجوهرة من صلاة الفاتح، وهي:

1 – عدم وجود الماء.

2 – عدم القدرة على استعمال الماء لسبب شرعي.

3 – وجود نجاسة في بدن الذاكر ولا يقدر على إزالتها لفقدان الماء، ولو حكما[1].

[1] – قال سيدي الحاج مالك سي ﷺ في فاكهة الطلاب:

4 – وجود نجاسة في ثوبه، وليست له قدرة على إزالتها.

5 – وجود نجاسة في المكان الذي يَذْكُر فيه، ولا يستطيع أن ينتقل عنه.

ويدخل تحت هذه الأحوال الشَّاكُّ في ثوبه الذي حمله على طهارة، كالمرضعة، وكل من في حرفته نجاسة كالحجّام، والجزّار، وحامل النجاسة وكانسها، وكذلك حامل ما عفي عنه من أقل من درهم بغليٍّ من دم أو صديد، أو أثر دمل، أو باسور، أو سلس.

فهؤلاء جميعا يذكرون البدل ولا إعادة عليهم. أما الورد اللازم فيقرأونه كما هو، ولا إعادة عليهم[1].

6 – أن يكون الذاكر في مكان ضيق لا يسع ستة أشخاص[2].

7 – إذا كان في مكان تفوح فيه رائحة كريهة، وإن كان طاهرا.

8 – إذا كان الذاكر على سرير أو مثله من كل ما فيه مظنة نجاسة.

9 – إذا كان الذاكر لا يستطيع إلا أن يضطجع لمرض مثلا.

10 – إذا كان الذاكر راكبا دابة، أو سيارة، أو طائرة، أما البواخر التي تتوفر على أفنية واسعة طاهرة فلا بأس بذكرها فيها.

لكل ذي جنابة سافر قراءة الورد بلا مناكر
كذلك السيفي واليماني وغيره كذا روى التجاني
واستثنين فاتحة الكتاب بنية الاسم بلا عتاب

[1] – اليواقيت والجواهر المضيئة في التعريف بسيدي أحمد التجاني وسيرته الرفيعة، تأليف الحاج مكي عبد الله التجاني صـ 30 – 31.

[2] – أشرنا في شروط الطريقة أن المكان إذا كان مخصصا للذكر كبيت خلوة مثلا، يُسمح فيه بقراءة الجوهرة مهما كان ضيقا، لكن المكان الواسع هو الأفضل دائما.

من أحكام صاحب البدل:

1 – إذا قرأ صاحب البدل الوظيفة مع جماعة، فإذا شرعوا يقرأون الجوهرة يقرأ هو البدل سرا. وإذا فرغ يمكنه أن ينتظر، ويختم معهم، وإن شاء انصرف.

2 – من كان فرضه البدل، وقرأ الجوهرة ناسيا، يرجع إلى فرضه ويجبر، لأن قراءته الجوهرة بغير شروطها لا تجزئه.

3 – من كان فرضه الجوهرة ونسي فذكر البدل يرجع إلى فرضه.

أما إذا كانا يذكران مع جماعة فلا شيء عليهما لبركة الجماعة، أو لتَحَمُّلِ الإمامِ السَّهْوَ في الجماعة.

4 – صاحب البدل المسبوق:

إذا سُبِق صاحب البدل، وشرعت الجماعة تقرأ الجوهرة، فإنه يقضي ما فاته قبل أن يأتي بالبدل.

5 – وصاحب الجوهرة إذا سبقته جماعة أهل البدل يؤخر الجوهرة إذا شرعوا يذكرون البدل، ويقضي ما فاته، ثم يأتي بالجوهرة. قال صاحب شهدة الجاني: «وقدّم مبدلٌ القضاءَ إن شرعوا في الجوهرة كعكسه».

جبر الخلل في الورد والوظيفة[1]:

يُقصد بالخلل كلُّ ما يطرأ على الورد، والوظيفة والهيللة – سهوًا – من نقصٍ، أو زيادةٍ، أو تنكيسٍ، أو تقديمٍ أو تأخيرٍ. وإذا تعمد الذاكر شيئا من ذلك يبطل ذكره الذي هو فيه لتلاعبه وتهاونه.

[1] – يقال في اللغة: جَبَرَ العظمَ يَجْبُرُه جبرا، وجبارة يعني أصلحه بعد كسر. ويقال في المُصْلَح: انجبر، واجتبر، وتجبّر بمعنى صلح بعد كسر.

والجبر هو الإتيان بمائة (100) من الاستغفار بصيغة الورد (أستغفر الله) بعد الإصلاح.

حكم الجبر: إنه واجب على المنفرد بعد تكميل النقص، وترتيب المنكّس، وإلغاء ما وُضِع في غير محله.

وإذا لم يَجبر المنفرد في حال وجود سبب له يبطل ذكره.

أما الجماعة فتأتي بالمنقوص، وتصلح الباقي بالترتيب أو بالإلغاء **ولا تجبر**، لأن الإمام يحمل السهو، أو لأن بركة الجماعة تقوم مقام الجبر. قال صاحب (شهدة الجاني) الذي شرحه سيدي محمد الحجوج شرحا سماه (تيسير الأماني): «ولا سهو على ذي الجمع حالته».

من صور الجبر:

1 – من شك في نقصان ورده يبني على الأقل، ويجبر.

2 – من تحقق بالنقص يأتي بالمنقوص، ويجبر.

3 – من شك في الزيادة يبني على الأقل، ويجبر.

4 – من تحقق بالزيادة يلغيها، ويجبر.

5 – من نكّس أي عكس ترتيب الذكر بالترتيب الصحيح، يرتّب ويجبر.

6 – من قدّم ما كان حقه أن يتأخر يلغيه، ثم يضع الركن المناسب في المحل المناسب، ويجبر.

7 – من وجد سبحته ناقصة، ولم يدر متى حدث النقص يعيد كل ورد لازم، ووظيفة من آخر نومة نامها إلى اللحظة التي لاحظ فيها النقص، ويجبر.

8 – من وجد في سبحته زيادة يجبر مائة واحدة من الاستغفار علم المدة أم لم يعلم.

تنبيه: لو شك الجابر في الجبر، لا يَجبر ثانيا لئلا يتسلسل، فهو كسجود السهو لا يتكرر.

استطرادان عن الجبر:

1 – يمكن جبر الأوراد الاختيارية بمائة (100) من الاستغفار إلحاقا بها على الأوراد اللازمة لمن يشاء.

2 – جبر أي عبادة فات فيها حضور القلب.

«من فاته حضور القلب في أي عبادة، فرضا كانت أن نفلا، وردا لازما أم اختياريا، أو أي عبادة فُقِد فيها القلب بسبب جولان فكره في أمور الدنيا فليذكر الجوهرة ثلاث مرات عقب تلك العبادة بنية، فإنه يكتب له – بحول الله – الحضور فيها، بشرط تحصيل شروط الجوهرة المبيَّنة في كتب الطريقة[1]».

مبطلات الورد:

يبطل الورد بمبطلات الصلاة، إلا في جواز التكلم بكلمة أو كلمتين، ومجاوبة الزوج والشيخ والوالدين، فالصلاة تبطل بذلك، ويجوز في الورد. ويزاد على مبطلات الصلاة:

1 – قصد رفض، أي سحب النية.

2 – تعمدُ نقص، أو زيادة، أو تنكيس (قلب الترتيب المألوف).

3 – لحن يغيّر المعنى، مع إمكان التصحيح.

[1] – وليست قراءة الجوهرة هنا عوضًا عن سجود سهو كيفما كان السبب وما يقوله بعض الناس في ذلك لم يرد في الطريقة.

4 – إسراع مخل بالمعنى (الهذر).

5 – نوم ثقيل.

6 – التفات كثير دون خوف.

7 – تذكر ورد منسيّ أثناء ورد آخر في وقت الأخير.

8 – قراءة الورد بين طلوع الفجر وصلاة الصبح.

وكل ما يُبْطل الورد تَبْطل به الوظيفة إلا أكل قليل، أو شرب يسير.

أحكام متنوعة في فقه الطريقة:

1 – ليس البلوغ أو الذكورة شرطا في أخذ الطريقة التجانية، ولا في التقديم، فالمهم أن يكون طالب الورد عاقلا مميزا، وأن يكون المرشح للتقديم أهلا لذلك، ذكرًا كان أم أنثى، حرًّا أو عبدًا، صغيرًا أو كبيرًا.

2 – لا يصافح المقدم المرأة ولا الخنثى مشكل عند تلقينهما الورد التجاني.

3 – لا يجتمع الخنثى مشكل مع الإخوان في وظيفة، ولا في هيللة، كالمرأة احتياطًا.

4 – من قرأ الوظيفة وحده، ثم وجد جماعة تقرأها، فالأفضل أن يعيدها معهم التماسًا لبركة الجماعة.

5 – إذا قرأها مع جماعة لا يعيدها في جماعة أخرى، لكنه لا يمنع من ذلك، لأن كثرة الذكر مطلوب شرعا، كما رأيت غير ما مرة.

6 – من قرأ الوظيفة مع صبي تجاني عاقل مميّز، فوظيفته صحيحة، لا يعيدها – إن شاء – في جماعة أخرى.

7 – من نسي وظيفة يوم الأربعاء مثلا، ولم يتذكرها إلا بعد قراءته وظيفة يوم الخميس، فإن كان ذلك قبل العصر أو الغروب من يوم الخميس، فإنه يأتي بوظيفة يوم الأربعاء، ويعيد وظيفة يوم الخميس لوجوب الترتيب.

8 – إذا عاق الذكرَ مع الجماعة شيءٌ مثل عطاس، أو تثاؤب، أو سعال، أو تنحنح، أو تنعنع، أو قحة فسبقته الجماعة بمرة، أو مرتين من الاستغفار، أو صلاة الفاتح، أو الهيللة فإنه يستمر معهم، وبعد الانتهاء يقضي المرة أو المرات التي فاتته، ولا جبر عليه.

9 – من سمع أذانا وظن طلوع الفجر، وصلى الصبح، وقرأ ورده اللازم، ثم تبين له أن صلاته وقعت قبل الفجر، فلا بد له من إعادة صلاته بعد طلوع الفجر، لأنه صلاته السابقة للفجر باطلة، وكذلك يعيد ورده، لبطلانه، لأنه لم ينو التقديم، وإنما نوى ورد الصباح بعد صلاة الصبح، ولم يصح الصبح، فأصبح الورد باطلا تبعا للصلاة.

أما الوظيفة اليومية فلا تبطل بوقوعها قبل الفجر، ولا بطلوع الفجر في أثنائها[1].

11 – إذا أقيمت الصلاة والمريد يقرأ ورده أو وظيفته يقطع الورد أو الوظيفة ويصلي مع الجماعة، وبعد السلام يبني على ما كان عليه قبل أن يقرأ الباقيات الصالحات.

12 – إذا خاف قارئ الورد فوات الوظيفة مع الجماعة يقطع ورده ويذكر معهم، وبعد السلام يبني على ما قرأ.

[1] – اليواقيت والجواهر مرجع سابق.

هذا كله إذا كان متوضئا، أما من كان متيمما فإنه يتيمم مرة أخرى للدخول في الوظيفة مع الجماعة، ويتيمم أيضا للصلاة، وبعد السلام يبني على ورده بتيممه السابق، كما يبني على الورد بتيممه السابق بعد كمال الوظيفة[1].

13 – لو كان هناك جماعة تجمع بين ذكر الوظيفة وحضرة الجمعة، فتأخروا حتى تيقنوا أنهم إن تمادوا في الوظيفة تفوتهم الهيللة، فإنهم يقطعون الوظيفة، ويُؤَدُّون الحضرة، ويصلون المغرب، وبعد السلام يبنون على وظيفتهم قبل أن يذكروا شيئا من المعقبات.

14 – من تيقن أن الجماعة التي يذكر معهم يزيدون في ركن من أركان الوظيفة ينبههم بإشارة، فإن لم يفهموا بها تكلم معهم، لأنه يجوز الكلام في الصلاة.

فإن لم يرجعوا وتمادوا فلا يتبعهم في تلك الزيادة، فإن تبعهم مع تيقنه الزيادة بطلت عليه دونهم، بخلاف الشَّاكِّ، فإنه يتبعهم، ولا شيء عليه. والله أعلم.

15 – للمسافر الذي جَمَعَ بين الظهر والعصر جَمْعَ تَقْدِيمٍ، أو جمْعًا صُوَرِيًّا أن يذكر ورد المساء والوظيفة بعده مباشرة.

أخي التجاني: هذه المسائل من فقه الطريقة التجانية انْتَقَيْتُها من أوثق المصادر والمراجع التجانية التي تتوفر لديَّ[2]، حاولتُ أن أختار الأصحَّ أو الأرجحَ

[1] – أجوبة الشيخ عمر الفوتي لأسئلة الشيخ أحمد بن محمم صـ9.

[2] – من أجمع كتب الطريقة لفقهها الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة للشيخ محمد النظيفي، والفتح الرباني للطصفاوي، والهداية الربانية لمحمد السيد التجاني، وفاكهة الطلاب لسيدي الحاج مالك سي، واليواقيت والجواهر المضيئة للشيخ عبد الله مكي، وبغية المستفيد لسيدي ابن السائح، وقصد السبيل لسيدي محمد الحافظ التجاني، وتيسير الأماني شرح شهدة الجاني لسيدي محمد الحجوني، والدرر السنية للرباطابي، والفتوحات الربانية لسيدي أحمد التجاني الشنقيطي، وأدلة اليقين للكرماسي، والنفحة الفضلية

عندي، وإلا آتي بالأشهر، أو بالأحوط، فقد وجدت في بعض المصادر إمكانية تقديم ورد المساء نهارا، أي بعد صلاة الظهر، لكن جلّ المراجع تتفق على أن الورد لا يقدم نهارا، وأن من فعل ذلك يعيده حتما.

قلت: الأحوط هنا هو الأخذ برأي الجمهور، لأن في التقديم مظنة البطلان، والجميع متفقون على أنْ لا شيء في التأخير.

والشيء عينه أقول في قول مَنْ قال من ساداتنا: إن أكلا وشربا قليلين لا يبطلان الورد في حين أن آخرين يرون البطلان بالأكل والشرب مهما قلّ، فالأحوط منع الأكل والشرب في الورد مطلقا.

والأحوط أيضا حول الخلاف في وجوب رد قارئ الورد السلام، وتشميت العاطس، وعدم وجوبه هو المنع لما علقه بعضهم عليه من بطلان الورد.

وأحيانا أذكر رأيين مختلفين لعدم رجحان أحدهما عندي، أو آتي بأحدهما في صيغة التمريض ليكون القارئ في حِلٍّ من أمره.

والله يعلم أنَّ الاختيار في بعض المسائل كان ضعيفا للغاية لصعوبة الترجيح، فكم قضّيت ليالي ساهرة في البحث عن أدلة، أو مرجحات للإتيان مما يطمئن إليه قلبي.

ولك أن تخالفني في بعض اختياراتي، وذلك هو العلم، يسع الجميع، فقد أكون رأيتُ ما رأيتَ، ولكني فضّلتُ ما أوردتُه بعد مقارنةٍ وترجيحٍ، ولغيري أن يفضِّل ما ترتاح إليه نفسُه، ونبقى جميعا تجانيين إن شاء الله تعالى. والله من وراء القصد.

للشيخ بدر سلامة، والجواهر العلية في فقه الطريقة التجانية للرباطابي، ومناهل الرشاد، وكذلك فتوحات المنان للشيخ أبي بكر عتيق، والإفادة الأحمدية للسيفاني، والكوكب الوهاج لسيدي أحمد سكيرج.

16 – إن دخل واحد في الطريقة في الوقت الضروري لورد الصباح أي بعد العصر مثلا يلزمه ورد الصباح قبل ورد المساء.

17 – إن برئ المريض في الوقت الضروري فعليه أن يذكر الورد الذي هو في وقته الضروري، وكذلك الحائض إذا تطهرت في الضروري؟ فلو تطهرت ذات النفاس في الساعة الحادية عشرة ليلا يلزمها أن تذكر ورد المساء، لأنَّ ضروريَّه يمتدُّ إلى طلوع الفجر.

18 – العذر الشرعي هو ما لا طاقة لك على دفعه.

المبحث الثاني:

تأصيل وتنظيم:

أيها التجانيون! إن هذه طريقتكم الغراء في جزء يسير من معالمها الواضحة، في أسسها الشرعية المتينة، في أهدافها السامية النبيلة، في شرائطها السَّنِيَّة السُّنِّيَّة، في فقهها الرفيع الرائع فامتثلوها، وكونوا منها على بينة وبصيرة عن طريق:

أولا: التأصيل:

وهو التمسك المتين بمبادئ الطريقة، وممارستها لتحقيق أهدافها النبيلة ظاهرا وباطنا، فليس هناك تجاني واحد واع يساوم في ذلك، كيف، والمساومة فيه نوع من التردد، والتردد ضرب من عدم اليقين، وعدم اليقين قاطع حاد؟

إن التأصيل يا أخي – هو احترام شروط الطريقة احتراما لا خور فيه، ولا فتور، كيف لا، وغير ذلك قاطع جدا؟

إن التأصيل مسألة مفروغ منها قلبا وقالبا، علم من علم، وجهل من جهل، إنه صمود لا جمود، وجهود لا ركود، وتفتح لا تحجر. وغير غرور، أو تهاون، نعوذ بالله منهما وندعوه السلامة والعافية.

ثانيا: التنظيم:

لعل التجانية أن تكون أدق الطرق الصوفية، والتجمعات الدينية تنظيما. وعلى كل حال إنها طريقة دقيقة التنظيم من أي زاوية نظرت إليها، كيف لا، وأمرها قائم بالله؟ فهي نسج خير الورى سيدنا محمد ﷺ شيخها الحقيقي.

وما ظنونك بالورد الذي نظمت يد النبوة؟ هل يبنى بلا ساس

إنها نظام دقيق مقنن تقنينا عاليا، سَهْلٌ سُلُوكُه، نَفُوعٌ اتّباعُه، كثيرٌ علماؤُه، غنيةٌ مكتبتُه، يمارس في كل بقاع المعمورة، وبالتحديد حيث يسجد لله تعالى، ويصلى فيه على رسول الله ﷺ للتجاني فيه أتباع، قل: فأينما تلوا فثمَّ تجانيون ملتزمون يحيون السنة، ويعمّرون الأرض ويفشون السلام.

ويبقى أن تنظموا أنفسكم حسب متطلبات العصر في إطار تجاني مسئول، وتنتظموا فيه في واقعية واعية، وموضوعية ملتزمة، وبصيرة ثاقبة، إنه:

1 - تنظيم معرفيٌّ:

عليكم أن تدرسوا طريقتكم حتى تعرفوها معرفة لا بأس بها، وتكون لكم ثقافة تجانية واسعة تسهل الاندماج التام بين الزوايا، وأتباع المقدمين الكبار الذين يقصدهم المريدون حتى صار كل واحد منهم كعبة تطوف حولها ألوف مؤلفة يعتقدون أنه قطب الرحى، فيُضْفُون عليه من النعوت أعظمها، ومن الأوصاف أجلَّها، وينسون أو يتناسون أنَّ الجُذَيْلَ المُحَكّك لهذه الطريقة هو شيخها التجاني وحده رضي الله عنه. أليس هو القائل: (من يعرف فليعرفني وحدي، أنا رجلها من قاف إلى قاف)؟! اللهم، بلى.

2 - تنظيم تعريفيٌّ:

عليكم أن تعرِّفوا طريقتكم هذه عشائركم الأقربين، ثم المسلمين من حولكم، إنها طريقة من الحسن والجمال، ومن النفع والكمال، لا يعاديها إلا من يجهلها، إنها حلاوة العسل لا يَمُجُّها إلا مرضى الأذواق، فداووهم بالمداراة، وبالتعريف. أَرُوهم بعض محاسنها، كونوا مثاليين أمامهم علما وسلوكا.

نحن لا نقوم بالدعاية، لأنها تنطوي غالبا على التزكي، أو رؤية الفضل، والرياء، لكنه لا يليق بنا أن نترك أبناءنا يُجْرَفُون بتيارات الإغراء الفاحش، والدعايات الكاذبة التي تغزو العالم الإسلامي اليومَ دون هوادة.

3 - تنظيم ثقافيٌّ:

تفقهوا في الدين كأسلافكم، فالتجانيون كانوا - حيثما وُجدوا - هم الفقهاء والأصوليين والنحاة واللغويين والأدباء: الشعراء والكُتّاب، لكنهم كانوا هم المناطقة والفلكيين والمهندسين والرياضيين، وما زالوا كذلك في بعض الأصقاع، لا جدال في ذلك.

غير أن بعض الخور أخذ يَدِبُّ في شرايين كثير من دُور العلم والثقافة التجانية: الشيء الذي يقتضي عملية جراحية مستعجلة لاستئصال هذا الداء العضال الذي لا يبقي ولا يذر.

إن طريقةً دعا شيخُها أتباعَها إلى موازنة كل ما يسمعونه منه بالشريعة الإسلامية لا يتأتى لجاهل أن يكون فيها عضوا فعالا يُحسب له أي حساب. فَأَعِيدُوا للتجانية مجدها العلمي الثقافي الذي أخذ يتلاشى شيئا فشيئا.

فلا بد من تعلم كل المعارف والعلوم والفنون، والإحاطة بكل الثقافات والحضارات الإنسانية، والعلوم التكنولوجية المستحدثة التي يتحتم علينا أن نتفاعل معها في هذه العولمة الطاغية التي تجدّ في طمس الهويات الضعيفة. أي غير المتسلحة علميا.

4 - تنظيم اقتصادي:

لا يمكن لأحدٍ اليومَ أن يهمل الجانب الاقتصادي في الحياة اليومية للناس «المال عصب الحياة» وقديما قال الإمام الشافعي رحمه الله (لا تستشر من ليس في بيته دقيق) ويصح أن نقول (لا تُشِرْ على من ليس في بيته دقيق) فإذا كان الأول مشتت الفكر لا يعرف ماذا سيقول لك، فإن الثاني موزّع البال لا يستوعب شيئا مما تقول له.

ألم تروا إلى هؤلاء التجانيين (اللَّيِّنِين) في انتسابهم إلى الطريقة. كيف يُحوَّلون الآن عنها بريالات معدودة لمجرد أنهم لا يتوفّرون على كفاف.

إننا في حاجة – ولو أدبيا – إلى هؤلاء المؤلفة قلوبهم، ولا سبيل إلى ذلك إلا تنظيم دقيق يستوعبهم، ويوفر لهم الحماية الاقتصادية المنيعة.

انظروا إلى هذه المخطوطات التي جادت بها قرائح التجانيين في مختلف العلوم والفنون، وهي الآن مرشحة لتقرضها الجرذان بأسنانها الحادة (المسمومة)، أو لتُبيدَها جوائح طَبَعِيَّة هائلة. لمجرد فقدان مموّل محسن يطبعها بمقابل أو بغيره.

إن طريقة كالتجانية لا يليق أن يكون أتباعها فقراء إلى درجة فقدان الكفاف، لا يجوز أن يكون إنسانٌ نظيفًا في بدنه، ولباسه، مستقيمًا في سلوكه وتصرفه، ذاكرًا الله بلسانه وقلبه، ثم يصبح أفقر الناس لا يملك قوت يومه.

أحلف لكم بالله أن هناك ضغوطا شديدة تمارس على الشباب التجاني الذي يبحث عن العمل سواء في المرافق العمومية، أو المؤسسات الخاصة ليرجعوا عن التجانية، فيوظفون، أو يساعدون على السفر إلى الخارج.

إننا – أيها الإخوة – لسنا دعاة الجري وراء المادة أبدا، ولكن لا بُدَّ مما لا منه بُدٌّ في حلالٍ وجمالٍ، وكفى.

5 - تنظيم سياسيٌّ:

نحن – التجانيين – لا تستهوينا كراسي الحكّام، ولا يبهر أعيننا بريق المناصب العالية، ولكننا لا نقول: إن السياسية خداع منظم يجب الابتعاد عنه.

إننا نخدم الإنسانية في حركاتنا وسكناتنا بكرة وعشيا. وذلك الخداع المنظم، أو النفاق المبرمج شرٌّ لا بدَّ منه، عن طريقه يصل بعض الناس إلى سُدَّة الحكم، ويتحكّمون على سائر الشعوب ومصائرها بنزعاتهم الخاصة، أو بنزوات انتماءاتهم الطائفية.

ولو اقتصر الأمر على ذلك فقط لهان الخطب، لكنه يتجاوز إلى إعلان حرب ضروس على التجانية والتجانيين بطرق خفية حينا لا تنطلي على المحنَّكين الممرّسين، وجلية ظاهرة للعيان، حينا آخر.

والذي ندعو إليه هو أن يكون حيث تُتَّخذ القرارات التي تنظم حياة الأمة، أو تُحدِّد وجهة سيرها تجانيون ملتزمون عازمون يقدرون على غرس توازن تعامليّ بين المواطنين، وإلا سنكون ضحايا تصرفات رعناء، ثم نستمر في الجانب الذي حظُّه من الخروف الشكايةُ والتبرمُ، والآخرون يأكلون.

فَمَنْ هؤلاء الذين يجب أن يكونوا هناك؟ كيف يكون ذلك؟ ما الوسائل إليه؟ هذا ما يتطلب منا تنظيما سياسيا دقيقا متينا ينتظم فيه الجميع، كلٌّ حسب مسئولياته وقدراته واستعدادته المادية والمعنوية، والله المعين.

تطوير الزوايا وأدوارها:

كانت الزاوية قديما مربطا للعبادة بصفة عامة من ذكرٍ، وتلاوة القرآن، وتسبيحٍ وتهليلٍ، وتكبيرٍ، ومحلاً لمدارسة القرآن الكريم، وعلومه، والحديث وعلومه، ومركزًا لتناول القضايا الاجتماعية، والأمور القضائية، والشئون التنفيذية، ومجلسا لتعليم الفقه والعربية وفنونها، ينضاف إليها الاستفتاء والفتوى.

والآن تخلص دورها إلى كونها تفتح للصلاة، أو لذكر الوظيفة في وقت معين، ثم تغلق إلى وقت صلاة أخرى.

ومن النادر أن تجد زاوية تحتوي على مجلسٍ علميٍّ يتعهده شيخٌ فقيهٌ متمكّنٌ من فنونٍ متعددةٍ، نعم، أخذت المدارس والمعاهد العربية، أو الفرنسية العربية تخلفُ المجالس المأهولة بالوافدين من كل حدب وصوب. ولكن أين تلك الزوايا التي في ثناياها معاهد أو مدارس تعلِّم وتثقِّف النشء في دينهم ودنياهم؟ فلماذا لا نطورها حتى تواكب الركب الحضاري الحثيث، وتحتفظ بدورها الديني الاجتماعي الثقافي التعليمي كمدارس تكوينية، أو جامعات علمية عالية المستوى؟

وأول خطوة في هذا التطوير هو تعميرها بالحضور الدائم، وهو أقوى سلاح للتجانيين في مواجهة المنكرين، فأعداؤنا لا ينتقمون منا إلا أننا آمنا بالله: نعبده، ونعمر بيوته بالصلاة والذكر، فمتى تخلينا عنه نفقد هويتنا الدينية والطَّرَقِيَّة، والعياذ بالله.

فاحرصوا على تعمير الزوايا والمساجد عامة في كل وقت وأوان، إنه علامة الإيمان بالله تعالى بنص القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[1]، وقال ﷺ: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان).

فاحرصوا على حضور الصلوات الخمس في الجماعات السُّنِّيَّة، واحرصوا على إتمام أركانها وهيئاتها، ولا تنقروا الصلاة نقر الديك. قال سيدي الحاج مالك سي رضي الله عنه في نيل المرام:

وقد يشيب عارضا الإنسان وما أكمل الصلاة للرحمان

لا تتركوا – يوما – بلا عذر شرعي حضور الوظيفة، وحضرة الجمعة في الزوايا، أو في الأماكن التي تقامان فيهما، إن الحضور واجب، ولكن أصواتكم أشد وقعا على أعدائنا من وقع السيوف والسنان، وفيها أمان للإقليم الذي أنتم فيه، وأمور أخرى لا يعقلها إلا العالمون، قال شيخنا رضي الله عنه: «لو علمتم ما في الوظيفة لجئتموها ولو حبوا».

فقد تكون لساداتنا الذين يغيبون عنها أعذارهم التي لا نُسْأل عنها. أما أنا وأنت يا أخي وأمثالنا فعلينا الحضور امتثالا لأمر الشيخ رضي الله عنه، واستمطرا للنفحات الربانية التي تهب على الذاكرين هناك، علَّ نفحةً واحدةً تصيبنا فلا نشقى بعدها أبدًا، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[2].

[1] – سورة التوبة، من الآية 18.

[2] – سورة النجم، الآية 42.

تطوير الدوائر وتحسينها:

كانت الدوا التجانية تجمعات شعبية اجتماعية ثقافية اقتصادية يرتادها الشيب والشبان، الرجال والنساء تُنْشر عن طريقها تعاليم الشيخ المرشد وإرشاداته.

وكان الجانب الفلكلوري في اجتماعاتها تنشيطا للأعصاب والأحلام، وترويحا للنفوس، غير أن الدوائر أخذت هي الأخرى تفقد دورها الأساس لتنحصر في بوتقة التنافس غير الشريف في التسلِّي والتلهِّي، وأصبح الفلكلور الهدف الأول والأخير من هذا التجمع الذي يتكرر أسبوعيا أو شهريا، فترى المغنين المطربين يتبارون في ترنيم الأصوات، في تفخيمها أو ترقيقها، مستفرغين بذلك جيوب الحضور الذين تستهويهم الكؤوس والصحون التي تملأ بالأطايب والحلاوي.

نحن لسنا ضد ترويح النفوس ساعة بعد ساعة بالأصوات العذبة المترنمة في حلال، ولكن، لماذا لا نجعله محطات استراحة، بعد دروس دينية طرقية وعلمية وثقافية؟ لماذا لا نجعل الدائرة تجمعا اقتصاديا؟ ألا يمكن أن نطَوِّرَ دَوْرَ الدائرة الاجتماعِيَّ حتى يكون ملجأً للضعفاء، ومَفْرَجًا للمنكوبين، ومَهْرَبًا للملهوفين ومدْرسة للمتعلمين.

هذا الكيان الذي يرتاده كل شريحة من شرائح المجتمع، مهما اختلفت من حيث السن، وتباينت من حيث الجنس، وتباعدت من حيث المستوى الاجتماعي يستحق إدارةً أليق وتدبيرا أَوْلَى.

من عيوب الدوائر:

1 – الاختلاط بين الرجال والنساء.

2 – ترجيح الجانب الفلكلوري على تعليم الدين ومبادئ الطريقة.

3 – عدم إيقاف مكبرات الصوت عند ما يحين وقت الصلاة، وخاصة إذا كان التنشيط بجانب المسجد.

4 – تكليف بعض الناس ما لا يطيقون ماديًّا، من تكاليف الاجتماع.

ومن السهل جدا تفادي هذه العيوب بجعل النساء في جانب، والرجال في جانب آخر، والتركيز على التعلم والتعليم، ثم التوجه إلى الصلاة إذا حان وقتها، وإيقاف كل ما يشوش على الآخرين، وتبسيط النفقات إلى أدنى صورها الممكنة.

شيخ واحد وزوايا متعددة:

كانت قوة التجانية – ولم تزل – تكمن في تعدد زواياها المنتشرة في العالم كله، يتزعمها مقدمون كبار جنّدوا حيواتهم الغالية لخدمة الدين والطريقة، وأُبْلُوا في ذلك بلاء حسنا، وكانوا يعرفون أنهم أتباع شيخ واحد، يواصلون عمله، ويوصلون تعاليمه إلى كل من قدر الله تعالى أن ينخرط في سلكه الصمداني المنظم. لا فرق لديهم بين أبيض وأسود، وأحمر، وأزرق، ولا بين قريب وغريب، فهم تجانيون بلا لون، وانتهى.

واليوم أصبحت أكثر الزوايا تحاول – دون أن تشعر – أن تستقل، بل تتمرد على الزاوية الأم (الزعامة الأصل) ويعلن بعضها على رؤوس الملأ أنَّ السِّرَّ التجاني قد انتقل إليها إلى الأبد، ويجهر بعضها أن من لا ينتمي إليها لا يعدّ

تجانيا البتة، ولو اتصلت سلسلته – مهما كانت قوية – بالشيخ التجاني ﷺ. ثم تدَّعي زاوية أخرى الشيء عينه أو شيئا آخر أخطر.

وقد استغل أعداء التجانية هذا الوضع الشنيع استغلالا سيئا، فنفخوا في كبريائهم، وأوحوا إلى كل فريق أنه الأعلى، وأخذوا يتكلمون عن التجانية الشرقية، والغربية، والشمالية، والجنوبية، والوسط، أو التجانية السوداء، أو الحمراء إلى غير ذلك من انتماءات جزئية لا تستند إلا على لباس معين أو ثوب فضفاض، أو ضيق، وقلنسوة مسنمة أو متشكلة بشكل آخر، وإلا على نغمة متميزة في أداء الذكر، في حين أن كلهم تجانيون تجمعهم صلاة الفاتح والهيللة والجوهرة، منتمين إلى شيخ واحد تعددت زواياهم فحسب.

والمؤسف أنك ترى من بين أتباع الزوايا من يجعل انتماءه الغربي أو الجنوبي المتوهم أعز لديه من انتسابه إلى التجانية العامة. والحق أن هذه الطريقة المحمدية الأحمدية واحدة لا تتجزأ، رجلها الأوحد من قاف إلى قاف هو شيخنا هو أحمد التجاني الشريف الحسني ﷺ وأرضاه، وعنا به آمين.

هذه الحقيقة لا تقبل المساومة بأي حال من الأحوال، كيف نفهم أن سر التجانية قد انتقل من أحفاد الشيخ ﷺ، وضرب خيامه على أحفاده مقدم له – ولو كان كبيرا جدا – ثم لا ينتقل عنهم أبدا.

إن هذا السر! إما أن يكون منتقلا يحط رحله حيث يشاء الله تعالى، فحينئذ لا يحدّه إلا الإرادة الأزلية. وإما أن يكون غير منتقل، فعليه لم يبرح مكانه حتى الآن.

والحق الذي نؤمن به أن هذا السر الذي يريد كل واحد من بعض ساداتنا الأعزاء أن يحتكره في بيته. أو يريد بعض الأتباع أن يحصروه في شيوخهم ليس إلا توفيقا إلهيا جاد به الجواد الكريم لشيخنا أبي الفيوض، والمواهب والبركات، الذي يتصرف من منطلق (أنفق بلالا، ولا تخش إقلالا). فيفيض على الكون عامة، وعلى ذويه خاصة بإمداد رباني قوي، وأمداد أحمدية لا تنتهي، تسع الجميع إن شاء الله، كلٌّ حسب استعداداته الربانية، وخصوصاته التجانية، حتى يعتقد كل واحد أنه هو. كيف لا، وقد أتوي شيخنا ﵁ سرّ ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ٣٩﴾[1]؟ فلماذا – بعد – نُضَيِّق واسعا؟ ولماذا نحجر على هذا السرّ الرباني التجاني الفيّاض أن ينطلق ويعم؟

صحيح أن السادة المقدمين الكبار الأجلاء ليسوا على قدم التساوي، فمنهم خلفاء الشيخ ﵁ وعنهم، ومنهم حمّال سره، ومنهم أولاده الروحيين بالمعنى الخاص، ومنهم ..... ومنهم ....

وقد خدموا طريقته خدمات جُلَّى تُذكر فَتُشكر، وأضفى كل واحد منهم على زاويته ظلالا وفيرة من شخصيته العظيمة، وهمته العالية، ورؤيته الثاقبة، وعلمه الغزير، وحنكته الفريدة، فجزاهم الله تعالى عنا وعن التجانية خير جزاء، ونفعنا ببركاتهم، آمين.

غير أن من الصعب جدا، إن لم نقل من المستحيل أن يستحقوا كل شيء من شيخهم القطب الممد ما لا يستحقه أولاده، والجميع منتسبون إليه روحيا،

[1] – سورة ص، الآية 39.

وتبقى للأولاد مزية الانتساب الدموي الذي له في عالم الروحانيات محل كبير من الإعراب ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[1] ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[2].

فَلْنُحْيِ سير هؤلاء السادة الكرام، ولنسر على خطاهم المباركة، فهم مُثُلُنا العُلى، وليكن لنا شيخ واحد، وزوايا متعددة، لا «طرق» تجانية صغيرة متفتتة.

آل رسول الله ﷺ، وآل الشيخ رضي الله عنه:

شاء الله تعالى أن سيدنا محمدا ﷺ هو الرحمة المهداة للبرية، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ١٠٧﴾[3]، «فلا جرم أنه استوجب المحبة من جميع الخلائق، أما الصحابة فحسبك من محبتهم له ﷺ أنهم هجروا في محبته ورضاه أوطانهم، وقاتلوا دونه آباءهم وإخوانهم[4]».

فقد صك أبو بكر الصديق رضي الله عنه أباه قبل إسلامه صكَّةً سقط منها، عند ما سمعه يسب رسول الله رضي الله عنه، ولما سأله النبي ﷺ: أو فعلت يا أبا بكر؟ قال: نعم، والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته. وقتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد، وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيدا يوم أحد كذلك، وقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاله العاصي بن هشام يوم بدر إلى غير ذلك من أفانين الحب الصادق، ومواقف التعلق اللائق بمقامه العالي ﷺ.

ومن المعلوم بالدين ضرورة أن محبته ﷺ يستلزم:

أولا: اتّباع سنته الغراء قدر الطاقة، وجهد المستطاع.

---

[1] – سورة الكهف، من الآية 82.

[2] – سورة الطور، من الآية 21.

[3] – سورة الأنبياء، الآية 107.

[4] – حل الأقفال لقرّاء جوهرة الكمال 117.

قال الشاعر:

ومن يدّعي حب الرسول ولم يكن بسنته مستمسكا فهْو كاذب
علامة صدق المرء في الحب أن يُرى على سنن كانت عليها الحبائب

وقال سيدي الحاج مالك سي ﷺ في خلاص الذهب:

وليس نفع على حب بلا عمل وتابعنْ سنة المختار تغتنم

وقال سيدي الحاج ابن عباس صل التجاني في جواهر البديع:

حَرٍ يُعنى بأحمد قلبه حياد عن الدنيا، وللدين ينصح
حرام عليك الدهر إن كنت صادقا حياتك أن تُلْفَى ولا أنت مصلح
حقيق على من يدَّعي الحب أن يُرى حريصا على الطاعات، لله يكدح

ثانيا: معاداة لأعدائه وهجرانهم:

قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1] وقال أيضا: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[2].

وقد قيل في ذلك:

إنما المخلص عندي في ولائي ووادي
من يوالي من أوالي ويعادي من أعادي

وقال آخر:

[1] – سورة المجادلة، من الآية 22.

[2] – سورة المائدة، من الآية 51.

تودّ، ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب

ثالثا: محبة أولاده، وأهل بيته، وقرابته، وصحابته، وأزواجه، وأمته عامة، لأن حبيب المحبوب محبوب، وهنا بيت القصيد من هذا العنوان أعلاه. فهناك منحدرون من الدوحة النبوية الشريفة يُعرفون بـ(الشرفاء)، لأنهم شرفاء من حيث انتسابهم إلى الإسلام، وهم شرفاء من حيث انتماؤهم إلى البيت التجاني نسبًا، وهم شرفاء من حيث كونهم ضيوفا علينا نحن الذين نؤمن بالله واليوم الآخر.

هؤلاء الذين بعضهم يسكنون معنا هذا البلد الحبيب، مثل أولاد الشريف الحسني سيدي محمد الحبيب التجاني، وبعضهم يفدون إلينا من حين لآخر يزورون إخوتهم في الدين والطريقة والإنسانية لهم علينا حق الضيافة، وحق القرابة من رسول الله ﷺ المنزل عليه: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1]، وقال هو: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوا لي لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[2].

وهناك أحاديث كثيرة متواترة صحيحة تدعو إلى محبة آل بيت النبي ﷺ، وعلى ذلك دأب الصحابة ﷺ، والسلف الصالح رحمهم الله تعالى. فقد روي عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: (صلة آل بيت رسول الله ﷺ أحبّ إليّ من صلة آل بيتي). في ذلك قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى:

يا آل بيت رسول الله حبّكمُ فرض من الله في القرآن أَنْزَلَهُ

يكفيكمُ من عظيم القدر أنكمُ من لم يصل عليكمُ لا صلاة لَهُ

[1] – سورة الشورى، من الآية 23.

[2] – الجامع الصغير للسيوطي مصدر سابق رقم 224 وقد صححه، والمستدرك للحاكم.

وقال آخر:

فقل لمن نابه خَطب وضاق به أكرم بني المصطفى تُكرم بِمُغْتَمِ

فإن من أكرم البنين أكرمه جزما أبوهم، ومن ضاماهُمُ يُضَمِ

كيف لا، وقد صرح رسول الله ﷺ بأن حب آله أساس الإسلام حين قال: (لكل شيء أساس وأساس حب الصحابة وحب آل النبي ﷺ) كما في البخاري، وقوله: (وأساس الإسلام حبي وحب أهل بيتي) كما في الكنز 24206، وأخرجه ابن عساكر أيضا.

تحريف وهابيّ متعدد لأحاديث صحيحة:

يحاول منذ زمن طويل بعض الوهابية العفنة أن توهم السذج وضعفاء الإيمان أن آل النبي ﷺ هم مَنْ آمنوا بالله ورسوله، بغض النظر عن الأحساب والأنساب، لأن الإسلام لا يعرف إلا الصلاح والتقوى. ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[1]. وقال شعرور منهم:

آل النبي همُ أتباع ملته على الشريعة من عجم ومن عرب

لو لم يكن آله إلا قرابته صلّى المصلّى على الطاغي أبي لهب

وبعض هذا القول كلمة حق أريد بها الباطل، وبعضه فاسد من وجوه نبيّنها فيما يلي:

[1] – سورة الحجرات، من الآية 13.

الوجه الأول:

ليس هناك مسلم واحد – لم يتوهب – يقصد من وراء ما يصلّي على النبي ﷺ قرابته غير المؤمنين أبدا.

فعند ما يقولون: (صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين) يفرقون بين الآل والصحب وأمة الإجابة، ولا يخطر ببال أحد الأقارب الذين كفروا به وحاربوه.

الوجه الثاني:

هناك أحاديث صحيحة عيّن فيها رسول الله ﷺ آله بذكر أسماء أشخاص معروفين منها:

1 – عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا٣٣﴾[1] في بيتي، فدعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كساءٍ خَيْبَرِيٍّ، وقال: «هؤلاء أهل بيتي» وقرأ الآية. وقال: اللهم أذهب عنهم الرجس، وطهِّرهم تطهيرا، فقال أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: «أنت على مكانك» رواه الترمذي وحسنه، وأخرجه غيره في اختلاف في بعض الألفاظ، وفي ترتيب الأسماء.

2 – أخرج الإمام أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عز وجل، حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض».

3 – قال رسول الله ﷺ: (أحب أهل بيتي إليّ الحسن والحسين[2]).

---

[1] – سورة الأحزاب، الآية 33.

[2] – الجامع الصغير 204.

4 – روى مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحّل فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا٣٣﴾[1].

5 – روى الترمذي رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر يقول: (الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا٣٣﴾[2]).

فماذا تقول في سلالة هؤلاء الذين صرَّح النبي ﷺ بأنهم أهل بيته؟ أيقبل العقل المسلم السليم أنهم وسائر المؤمنين في كل شيء، وهم مؤمنون مثلهم؟

الوجه الثالث:

إن القول بأن الآل هم أتباع الملة تكذيب للأحاديث التي تفرق تفريقا بيّنا بين آل البيت، وباقي المؤمنين، ومنها:

1 – قوله ﷺ: «لكل شيء أساس، وأساس الإسلام حب الصحابة، وحب آل بيتي».

فمن المعلوم عربيا أنَّ الواوَ تفيد المغايرة، فلو كان الصحابة كلهم من آل بيته لما يصح أن يقال: (حب الصحابة، وحب آل بيتي) بإثبات حبين: أحمدهما للصحابة، والآخر لآل البيت.

2 – قال الحافظ السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ٢٨﴾[1]، أن رسول الله ﷺ قال: «ذاك من

[1] – سورة الأحزاب، الآية 33.

[2] – سورة الأحزاب، الآية 33.

أحب الله ورسوله، وأحب أهل بيتي صادقا غير كاذب، وأحب المؤمنين شاهدًا وغائبًا، ألا بذكر الله يتحابون».

فجمع هنا بين (أهل بيتي) وبين (المؤمنين) مما يدل على أنهما كيانان مستقلان، فليس كل المؤمنين من أهل بيته، ولكن كل أهل بيته المؤمنين منهم بالضرورة.

تنبيه:

إن قوله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» دليل آخر على أنْ ليس كل مسلم من آل بيته. فلو كان سلمان داخلا في (آل البيت) باعتباره مؤمنا بالله ورسوله لكان ذكره هنا تحصيلا لحاصل، أو ضربا من اللغو، وحاشاه ﷺ أن يأتي بلغو ومن أبسط قواعد المنطق أن الذكر بالاسم أو بالوصف تخصيص.

لماذا تعادي الوهابية آل البيت؟

إن التحالف المصلحي بين الوهابية وآل سعود يحتم عليهم أن يبرروا لهم – ولو بِلَيِّ أعناق النصوص الصحيحة الصريحة، أو بتحريفها، أو بافتعال نصوص كاذبة – احتلالهم لأراضي الحجاز.

ولا يستطيع أحد أن يبين للناس حتى اليوم بصورة شرعية كيف أصبح آل سعود ملوكا على تلك الأراضي التي كانت تعرف بالحجاز، والتي تحولت إلى (السعودية)؟ هذا البلد الوحيد الذي ليس له اسم إلا اسم جد الملوك الذين يتوارثون عرشه ولدا عن والد.

[1] – سورة الرعد، الآية 28.

فلو كانت أراضي الحجاز متوارثة شرعا لكان أحق الناس بها أهل بيت رسول الله ﷺ، لذلك تجدّ الوهابية خدمة لساداتها السياسيين أن يوهم السذج والبسطاء أن كل من آمن بالله ورسوله من آل النبي ﷺ، حتى لو افترضنا أن واحدا جاء يطالب ذلك مستعينا بالمسلمين يقولون له: لا يعرف الإسلام إلا التقوى، أو نحن كلنا من آله.

وقد أخفقوا قبل أن يبدوا، فكيف يتوارثون أرضا لا جدود لهم فيها، ولا جذور حين كانت السيوف تلمع، والرماح تقطر دمًا في بدر، وأحد، وتبوك، وبني المصطلق، والمريسع إلى غيرها؟.

والمؤسف هنا أنك تجد بعض المسلمين، وفيهم بعض التجانيين ينجرفون وراء هذا السلوك المنحرف الخطير تجاه الشرفاء الكرام، فتسمعهم يقولون: كلنا شرفاء، أو يتساءلون – في شك مريب – هل هؤلاء شرفاء حقا؟ وبالتالي يتساهلون في تكريمهم، ولو بكلمة طيبة، إن لم يقوموا بجفائهم، والعياذ بالله.

وعلى هؤلاء أن يعرفوا:

1 – أن ذلك الوهابي يلوك بمثل تلك الكلمات النابية لا يجرؤ أن يذكر اسم أحد من سلالة سعود دون أن يسبقه بـ(سمو الأمير)، ولا يحيّيه إلا ويقبل جبينه أو بين عينيه، ويعرف أن بعض هؤلاء ليسوا على مستوى رفيع من التدين؟ فأين ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[1].

[1] – سورة الحجرات، من الآية 13.

2 – إننا لسنا مطالبين شرعا أن نحقق في أنساب الناس عند ما يجب أن نكرمهم فلماذا نشك في مؤمن صرح بأنه منتسب إلى بيت فلان؟ لماذا نعتقد أن كل من نخاطبه كذاب؟ ألا نترجم عما في نفوسنا؟

3 – أن الشرفاء الذين يفدون إلينا معروفون معرفة حقيقية، وإذا اتفق أنك رأيت منهم مَنْ لا تعرفه، فهناك من يعرفونه غالبا، ويكفيك أن تتصل ببعض الأسر فحسب.

ولنا أن نتساءل: هل من الكرم والشهامة أن تتأكد من هوية شخص معين لتكرمه؟! نحن نفضل أن نكرم بحفاوة شخصا نعتقد فيه الشرف فيبدو لنا العكس. من أن نهين شريفا اعتقدنا فيه العكس.

وعلى كل حال ففي تكريم آل بيت البني ﷺ:

1 – تنفيذ لأمر رسول الله ﷺ حين قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» متفق عليه.

2 – تحقيق لازم المحبة لرسول الله ﷺ بمحبة آل بيته الكرام.

3 – تحقيق لازم المحبة لشيخنا أحمد التجاني رضي الله عنه، إن كان الشريف تجانيا.

4 – استثمار للأموال، فقد ثبت أن الله يفيض على من يجود لهم بماله أضعافا مضعّفة، ويرزقه من حيث يحتسب.

ونحن لا ندعو إلى التكلف، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] لكن لا يُقبل من مسلم أقل من احترامهم، والتلطف باعتذارات مؤدبة، تَطْيِيبًا لخواطرهم،

[1] – سورة البقرة، من الآية 286.

وخاطر جدهم سيدنا محمد ﷺ الذي قال سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ: «ارقبوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته» رواه البخاري.

نصائح ناصعة:

أولا: نصيحة للتجاني:

أيها التجاني: أنت رباني، تذكّر دائما أنت متعهد بميثاق إلهي يربطك بطريقتك بمحض إرادتك، ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـولًا﴾[1] أثبت أنك تستحق حمل الأمانة التي عُهِدَتْ إليك، كن ملتزما حازما عازما مخلصا مستقيما تحب في الله، وتبغض فيه حركاتك كلها، وسكناتك جميعها لله، في الله، بالله.

واعلم أنك بدون إخوانك المسلمين، وبغير إخوانك التجانيين لا تساوي شيئا، فأحببهم جميعا، وأحسن إليهم قاطبة، وتيقّن أن لطريقتك شيخا واحدا لا ثاني له، ألا وهو سيدنا ومولانا وشيخنا أحمد التجاني السالمي ﷺ. وغيره في هذه الطريقة – مهما علت درجته، وبانت ولايته، وشاع صيته، وكثرت أتباعه، وأبهرت علومه، وأعجبت، وأعجزت مؤلفاته ليس إلا مقدما كبيرا يود دائما – برأسه ومقلتيه – أن يقبل له الشيخ التجاني انتسابه إليه.

نعم، إنهم درجات عالية متفاوتة، يجب علينا جميعا احترامهم كل الاحترام، وتبجيلهم أيما تبجيل، ولكن لا يليق أبدا أن يكونوا مصدر اختلاف وشقاق، أو سبب خلاف وانشقاق.

فمتى اعتقدت أن مقدمك، أو مجيزك، أو مربيك أو مرقيك – سَمِّه ما شئت – هو شيخ هذه الطريقة، وهو صاحب الحل والعقد فيها، ومن سواه تابع له، أو ليس إلا متطفلا لديه، أو لا يساوي شيئا فقد ضللت ضلالا بعيدا.

[1] – سورة الإسراء، الآية 34.

واعلم أيضا أن الرد الأمثل على المنكرين على الطريقة هو حضورك الكثيف المستمر في المساجد، بيوت الله تعالى على الأرض لأداء الصلوات الخمس في الجماعات السّنية، لتلاوة الوظيفة مع الإخوان مرة في اليوم على الأقل، لمدارسة القرآن الكريم والحديث الشريف مع المسلمين. ثم لامتداح النبي ﷺ. واتخاذ العبر من سيرته الطاهرة، وتاريخ خلفائه الراشدة المهديين، ودراسة تراجم السلف الصالح. والاعتناء بكل ما يمت بحياة المسلمين بصلة، قال رسول الله ﷺ: (من لم يهتمّ بأمور المسلمين فيس منهم).

ثانيا: نصيحة للمنكر:

أيها المعترض: تعال إلى التفكير لا التكفير. وإلى الأذكار لا الإنكار، أنت كفّرتنا زمنا طويلا وعارضتنا بلا هوادة، ونحن مؤمنون نوحد الله ونعبده مخلصين قدر الطاقة، نُصلّي ونصوم ونحج ونزكي، نذكر الله ونستغفره، نصل الرحم ونحسن الظن بالله وبالناس، ونترك ما لا يعنينا، ونكف أذانا عن المسلمين خاصة، والناس عامة.

نغدو إلى المساجد، وأنت تكفّر، نجلس فيها ننتظر الصلاة، وأنت تكفر، تكفر، وتكفر، فإلى متى تكفر مسلمين مؤمنين، إن أخطأوا يتوبوا وإن جهلوا يتعلموا، وإن ظُلموا عفوا، فإلى متى تكفر؟ لماذا لا تفكّر في هذا التكفير الذي لا ينطلق إلا من محطة الانغلاق الخانق، وإلا من الجدب الفكري الحادّ ليرسو في ميناء التعصب الأعمى، والتطرف المقيت، وبالتالي يسعى لشق وحدة المسلمين مجانا.

فكر مليًّا، وفكّر جديًّا، فالتفكير نور، والتكفير ظلمات بعضها فوق بعض. ألم تدرك أن السنة التي كنت دائما تدّعي أنك تحيط بها لا تعرف عنها إلا أحاديث معدودة توجهها حسب هواك؟ ألم تر في السنة النبوية أن من قال لأخيه (كافر) باء به أحدهما؟

أيها المعترض، فكّر مليا، راجع فكرك، ولتشغلك عيوب نفسك عن عيوب غيرك، لا تخف أبدا أن تطالع هذا الكتاب أو مثله فتعرف من نحن، بل من أنت، وقديما قال الحكماء: من يعرف نفسه يعذر غيره.

ونحن – على الرغم من جورك قولا وعملا – نشفق عليك، ولا نملك إلا التضرع إلى الله القدير، مقلب القلوب، ومدبر الأمور أن يهديك سواء السبيل، ويغفر لنا ولكم، إنه غفور رحيم.

ثالثا: نصيحة للمحايد:

أيها المحايد، هل هناك حياد؟! ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ٦٠﴾[1] كيف تكون محايدا أمام صراع مرير بين الحق والباطل. فالحياد في هذه الحال انحياز مقنّع إلى الباطل، ولكنه تواطؤ لئيم ضد الحق، وكلاهما جريمة لا تغتفر.

يا أخي المسلم! لماذا تكون «محايدًا»؟ فنحن في حاجة إليك، لأنك أخ مسلم نحب لك ما نحب لأنفسنا، وأنت في حاجة إلينا، بل إلى هذا الخير الوفير الذي نتقلب فيه بفضل الله علينا، وبانتسابنا إلى التجانية التي مكنتنا من أن نتقيد بالسنة المحمدية الشريفة تقيدا لا خور فيه ولا فتور.

[1] – سورة الروم، الآية 60.

حاول قصارى جهدك أنْ لا تفوتك هذه الفرصة الذهبية، واعلم بأن أي دقيقة أو ثانية في غير هذا المنهج القويم خسارة فادحة لا تستعاض.

خاتمة:

إذا سألك أحد عن كتاب شيخ تجان غاي (التجانية الأحمدية والسنة المحمدية) مستغربا ما فيه من مثالب وأخطاء، فقل له دون تردد: (ذلك مبلغ علمه).

نعم، ذلك مبلغ علمي فعلا، لأني – والله شهيد – لم أنطلق من علم أو معرفة، إنما:

1 – من حب عميق صادق في التجاني ﷺ، فهو شيخي الذي لا أبغي به بدلا، وهو سميي الذي أستمرئ حلاوة اسمه قراءة وسماعا، وهو حبيبي الذي أفديه بالنفس والنفيس، وهو باختصار عيني ورأسي، وهو راح روحي.

2 – من عطف صادق بهؤلاء الذي ابتلوا بالإنكار على الأولياء، وخاصة ممدهم ﷺ، وهو – مهما اشتطوا، حتى إلى درجة تكفيرنا – إخواننا في القبلة. فأردت أن أقدم شيئا ينتفع به المعتقد والمنتقد.

ينتفع به المعتقد بأن يكون على بينة من أمره، ويقف على جمال طريقته، وأهمية الانضمام إليها، وكيف يكون فيها عضوا فعالا لنفسه، ولإخوانه في المشرب، ولأمته، وللإنسانية جمعاء.

وينتفع به المنتقد بأن يقف ببصره وبصيرته على الصواب الذي ينشده كل منصف حر، غيور على أمته ودينه، ويرى بمقلتيه، وبعين قلبه – بعد توفيق من الله – أنه كان مخطئا في حكمه على التجانية، إما لجهل مركب سيطر عليه، وإما لتعصب أعمى استحوذ على لُبِّه، أو أن أناسا كان يثق بهم أضلوه عن خطأ أو عمد.

وإذا حدث شيء من هذا أو ذاك فقد كُفِيتُ، ولا يهم أنك تخالفني في بعض المسائل الفرعية، أو في بعض فهمي الخاص لبعض العموميات.

والله يعلم أنني بذلتُ قصارى جهدي في تلخيص المتفق عليه، المبثوث في ثنايا كتب السادة الأغراء، وفي انتقاء الأصح أو الأرجح عندي. وكم قضيت ليالي للبحث عن شيء ما ينقصني في مسألة معينة، أو عن مرجحات لكفة قضية ما، وقد ضحيت براحتي وبأورادي ردحا من الزمن غير يسير، أي أن العمل لم يكن سهلا أبدا.

فإذا لم يصل إلى المستوى المطلوب فذاك يعود إلى قصور علميٍّ متأصل فيَّ، لا إلى تقصير في البحث، أو في وسائله، أو في الوقت الضروري لذلك.

وأعلم أن بعض آرائي في بعض المسائل العامة لن تعجب بعض الناس، وقد يودون لو حُذفت من الكتاب، أو لو رُمِي الكتاب كله في سلة المهملات، لكني أهيب بكل من وقف على نقائص أن يبرني – مشكورا بتكملتها، وأن يوصل إليَّ ذاك الصواب، لأصحح – إن تبيَّن لي خطأي أو جهلي، ولكني لأستدركه في الطبعة المقبلة إن شاء الله تعالى.

ومهما يكن من شيء فأنا كتبتُ للتجانية المحضة التي تحتضن جميع الإخوة التجانيين الذين يرددون على حد سواء (ناصر الحق بالحق) صباح مساء، وإن لم يتعارفوا، أو تباينت بينهم المسافات. أي بغض النظر عن انتماءاتهم إلى الشيوخ الوسطاء الكرام، أو الزوايا والبيوت العظام.

وهذا الكتاب محاولة مني لإثراء المكتبة التجانية الغنية أصلا بمؤلف بسيط يستوعب جُلَّ ما افترق في المطولات، أو تناثر في المستعجلات من أسس،

وأهداف، أو من شروط وفقه. علاوة على فهوم تناسب هذا العصر الذي يعيشه أبناء الألفية الثالثة التي استهلت بروزها بروحانيات أكيدة، وكل المؤشرات تشير إلى أن للتجانية، هذه الطريقة المتوازنة مكانا عاليا، ومكانة مرموقة في تلك الروحانيات المنبعثة بقوة.

فهي الوسيلة المثلى للتوجه إلى الله، وللوصول إليه في إنسانية الإنسان، وربانية المؤمن، ورقابة المحسن، فإن أنا وُفِّقتُ فذلك من فضل الله عليّ، ثم بإمداد الشيخ إياي، وإن أخفقت يكفيني أنني حاولت، وفي المحاولة بعض فضل.

والله أسأل أن يجعله عملا مباركا مقبولا خالصا لوجهه الكريم يزداد على حسنات والديَّ اللذين ربياني على التجانية، وحبها، وحب أهلها، وإلى حسنات الشيخ عباس صل التجاني ﷺ الذي أذاقني حلاوتها، وأراني من دقائقها ما يناسب حالي، ودلَّني من رقائقها ما يلائم قدري، فجزاهم الله خير جزاء، اللهم ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا من التجانيين الصادقين الآمنين المحبين بمنك وفضلك وجودك وكرمك يا ذا المن، والفضل والجود، يا أكرم الأكرمين، وصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسره الساري على البرايا صلاة تعرفنا بها إياه، والحمد لله رب العالمين.

تقاريظ

تقريظ رقم 1:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الأبيات تظهر أقل شيء مما أحس به من شوق وسرور وحرص في كتاب (التجانية الأحمدية والسنة المحمدية) الذي ألفه السيد الجليل العالم العلامة خادم الإسلام بصفة عامة، والطريقة التجانية بصفة خاصة، ألا وهو شيخ أحمد تجان غاي حماه الله ورعاه، هذه هي القصيدة المتواضعة:

إنَّ التجانيةْ إحسانٌ بكامله طعنُ التجانيَةْ تمويهٌ وإجرامُ
بحثٌ دلائله يأبى الشكوكَ به شخصٌ له في أصول الدين إلمامُ
يخاطب العقلَ في المعنى وبِنْيَتِهِ وليس فيه لداعي النَّقْد إسهامُ
هذا الكتاب بهذا العصر معجزةٌ كأنه من إله الناس إلهامُ
حقٌّ أتى الكذْب في بغيٍ فدمغه ما للأباطيل بعد الحق إقدام
قد غيّموا في عقول الناس كذْبتهم حتى يصير بِأَجْلَى الشيء إبرامُ
لكن كشفتَ بضوء العلم سترهُمُ لليل عند طلوع الشمس إعجامُ
أبقاك ربك تحمي النهج عن تهمٍ ممنْ بصائرهم عُمْيٌ وإبهامُ

(انْجَاوَ جينغ)

تقريظ رقم 2:

هذه قصيدة همزية جادت بها قريحة الأخ مَلِّي انجاي وقاه الله كل ضير ومحظور إلى حبر الأمة فخر المستعربين السيد شيخ تجان غاي مفتش التعليم العربي في لوغا أطال الله عمره وأيده ونصره، ومطلع القصيدة كما يلي:

دَعِ القول في ذكر الدُّمى وظباء لمدح أديب سيد الشعراء
ذكيٌّ نجيب دافع كلَّ وقته عن اللغة الفصحى مع الأدباء
وبحر خضم في علوم تضلعا وبرد منير بهجة الحكماء
مربٍّ مرقٍّ تربويٌّ، مثقفٌ وملتزم تجاني بسواء
رزينٌ، ويعفو عن كثير ويصفح ويشفي غليل الجاهل المتنائي
هُوَ الشَّيْخُ تِجَّانْ غَايْ كبير الْمُفَتِّشِيـ ـن. حامي ذمار، وهو ريُّ الظماء
هو الشمس فضلا، والأناس كواكب وذا القول مشهود وما بهراء
ومثلك في السِّنْغَالِ صعبٌ منالُه وأنت بليغ، عيْلمُ العلماء
وأنت بلاغي، فقيه، ونحوي كذا لغوي. فاقد النظراء
وأنت محل المعضلات بأسرها إذا اعتذر الفصحاء دون مراء
أيا شيخ مأوى الظامئين ومرشد الـ ـحيارى إلى سبل الهدى وسناء
أيا مفخر المستعربين جميعهم وذائدَهم عن غارة السفهاء
فعش سالما من كل هول وفتنة ومن كل شر من ذوي الغُلواء
وأسأل الله أن يطيل بقاءك بعافية معْ صحة ونماء
بجاه شفيع الخلق أحمد عمدتي نبيّ الهدى هادي الورى لضياء
عليه صلاة الله ثم سلامه وآل كرام صحبه الحنفاء

تقريظ رقم 3:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، أما بعد فهذه قصيدة نونية قالها أفقر العبيد إلى رحمة ربه المجيد إبراهيم بن عبد الله بن عمر مادحا فيها الشاعر المفلق الشهير والعالم الأديب النحرير والمؤلف المربي الكبير الذي فما له في هذا العصر من نظير ألا وهو المفتش الألمعي اللوذعي الكيس سيدي الشيخ التجاني غايْ.

وهي نتيجة بعد اطلاعي على بعض مؤلفاته الكثيرة النفيسة التليدة، واستماعي الطويل إلى بعض محاضراته القيمة الثمينة وحينها وجدت الغاية المنشودة التي كنت أبحث عنها منذ أعوام كذلك نظرائي من المستعربين السنغاليين ولذلك أبن نفسي إلا أن تبين ما اكتمن فيها من الشعور والأحاسيس الضمنية فدعتني إلى أن أفوه وأبوح ولو بنت الشفة وليست عليها بمشقة بل لديها كل ثقة فقلت: «الحمد لله الذي وهب لنا شيخ تجان غَيْ» وقالت لي: تبدل كل حرف ببيت لكيْ لاَ تقول بعد ذلك يا ليت شعري، فتشمرت وأنشدت قائلا:

ا. الحمد لله هادينا ومرشدنا ثم السلامان للمختار ياسينا
ل. لله دركم يا سيدي ولكم شكر جويل لما قمتم تنادونا
ح. حدتم هديتم أناسا في تحيزكم نحو الذي يرتضي المولى لما كانا
م. محقْتُم الجهل كوّنتم لناشئنا مراجعا تحتوي هوى لماضينا
د. دللتمونا أمورا فهي تنفعنا دنيا وأخرى لأنتم فخر دنيانا
ل. لنشر دين وعلم قمتمُ كُرَمَا أرَّخْتُمُ سِيَرًا كُتْبًا لإخوانا
ل. لأنتم العلماء العاملون هدى خير الخلائق تطبيقا لقرآنا

هـ. هنئتكم شيخنا التجاني غَيْ كَرَمًا فحر الفحول كثير العلم تبيانا
ا. أقول ذلك حقا لا لمدحكمُ وما رأيت شبيه الشيخ تجانا
ل. له لسان فصيح النطق أوضحه بل شاعر كاتب الأسفار حلوانا
ذ. ذكي عقلٍ شجاع زاهد ورع ذو همة عابد الرحمن إيمانا
ي. يجتاز أرضا إلى أرض فقاريو نس ماضي الجد هاد غير حيرانا
و. والله ما قلته هدرا أفوه به وإنه العبقري ما كان جبانا
هـ. هو الأديب الذي ينعاز يعرفه والله يحفظه والرب يرعانا
ب. به المربون كلا ساجلوا افتخروا إلا حسودا به الإسلام ينهانا
ل. له علوم كثيرات ونافعة مفتش فائق الأقران قد جانا
ن. نلنا البشارة بالشيخ التجاني لذا نصوغ شعرا نبوح الود تبيانا
ا. أعني به اللغوي تجان غي سيدي مكون كائن لله منانا
ش. شمس العلوم مليح القول تجاني صوفي صاف يذيع العلم مجانا
ي. يهوى بما قدر الرحمن خالقنا يروم فضلا من الوهاب مولانا
خ. خير لصاحبه علما معاشرة له اليراعة بالأوراق سيلانا
ت. تقت الوصال لشيخ عالم حذق تالله أهوى به والله يرعانا
ج. جمع الجواد إلى لوغا يعلتني طربا لدوركم الممتاز حنانا
ا. أزورك يا فتى الفتيان سابقهم حياكم الله رب الخلق أزمانا
ن. نيل الأماني سألت الله لي ولكم عمرا مديدا بجاه الحب ياسينا
غ. غطيت شعري برمز الحمد مختتما أكرم بكم شيخنا التجاني فرحانا
ي. يسر لنا ربنا كل الأمور هدى الحمد لله هادينا ومرشدنا

ا هـ

رمز القصيدة هو: «الحمد لله الذي وهب لنا شيخ تجان غَيْ» 27 حرفا وبيتا.

لعبيد ربه الضعيف الفقير إلى رحمة خالقه القدير إبراهيم بن أحمد لي الجابي الفولي المالكي الأشعري الساكن في حومة جمغين تياس.

تقريظ رقم 4:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي المتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة السلام على عين المعارف الأقوم، صراط الله المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، ورضي الله عن الختم المحمدي الأكبر والكتم الأحمدي الأنور شيخ المشائخ وبرزخ البرازخ الخليفة المطلسم عن جده العدناني أبي العباس شيخنا ومولانا أحمد ابن مولانا مَحمد الحسني التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين.

وبعد السلام من الله والرحمة والبركة والحفظ والصيانة والعافية تعم حضرة الأح الحبيب المفدى ومن له في سويداء قلوبنا أعز مكانة وأعلاها سمي الشيخ الأكبر وخادمه المدافع ألا وهو العلامة السيد الشيخ أحمد التجاني غي حفظه الله ورعاه وسدده خطاه وبلغه في الدارين مناه.

ويدعى في كريم علمكم أنني اطلعت على تأليفكم المبارك الموسوم بالتجانية الأحمدية والسنة المحمدية وتصفحت صفحاتها وأمعنت النظر إليها وجدت أنكم أفدتم فيه وأجدتم وأوفيتم بالمراد لما تضمنه من حقائق ثابتة وبراهين ساطعة وأدلة واضحة قاطعة لم تذر فاذة ولا شاذة من شئون هذه الطريقة الحمدية الإبراهيمية

الحنفية إلا وبينت مئاخذها من الكتاب والسنة. وقد تناولتم في هذا الكتاب جميع مواضيع هذه الطريقة التي تدور حول أربع نقط:

1 – التجاني – وأمره أوضح من الشمس وأشهر من نار على علم وقد أتيت من التعريف به ما يغني كل مولع بذلك ولله الحمد.

2 – التجانية – وأمرها أيضا كالغزالة في الخضراء رابعة النهار وقد بينت كونها مبنية على الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح ولم تخرج عن هذه قيد أنملة.

3 – التجانيون – وجلّهم ولله الحمد على أحسن سيرة وأعدل محجة وأفضل مسيرة.

إلا شراذم يجهلون حقائقا ويلطخون محارم الإخوان

أخذوا ولكن لخلف ظاهر وأتوا ولكن لا بقلب حان

إذ كل طائفة فيها الغث والسمين، والميزان هو الاتباع والاقتداء فمن انتسب إلى طريقتنا ولم يعمل بعمل أهلها الحقيقيين ليس منهم كائنا من كان وكل هذا بينته في هذا الكتاب بيانا شافيا فجزاكم الله خيرا.

4 – المنكرون – هداهم الله – وهم أصناف قد بينت أمرهم وكِلْت لكل واحد منهم قسطه بأوفى مكيال وأعدل ميزان.

وأعتقد أنك قد ألزمتهم الحد، ونفضت ما في جرابهم وتركتهم خاليي الوفاض ونقضت ما أبرموه من الخزعبلات والتمويهات التي من القطن أرق وألين، ومن بيت العنكبوت أضعف وأهون، فلا يطالع هذا الكتاب منصف يتأدب مع الحق وهو الإذعان له متى بان وظهر إلا رجع عن إنكاره على هذه الطريقة

التجانية السَّنِيَّة السُّنِّيَّة وعلى شيخها الإمام الرباني السني القائل (الخير كل الخير في اتباع السنة والشر كل الشر في مخالفتها)[1]، والقائل: (إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق الشرع فخذوه وما خالف فاتركوه).

إلا أن يكون معاندا سرت الشقاوة في دمه وعروقه فانطمست عين بصيرته فأصبح كمن قيل في حقه وهو واحد من أبرز هؤلاء المنكرين الناهشين لحوم الأبرياء الصالحين.

نعق اللعين الزمزمي بسبه لجفائه ولبعده عن ربه
عين الولاية لا يراها أعمه إن الشقا أعمى بصيرة قلبه
هيهات يبصر نور أحمد ملحدٌ عن دين طه الهاشمي وحزبه
من حارب الشيخ التجاني إنه قد حارب المولى وباء بحربه

ولا نتفاجأ منك أيها السيد الكريم بهذه الخدمة الرائعة لأنه ليست أول مرة توجه أو تصدر لأهل الطريقة خاصة وللمسلمين عامة مثل هذا الكتاب الميمون لأننا ما نسينا ذلك الكتاب القيم الذي نعتبره قنبلة تجانية فجرتها على أحد المطرودين عن حضرة الرحمن وعلى كل من حذا حذوه من ذلك الصنف وفللت بها حدهم واستأصلت شأفتهم فجزاكم الله عن المسلمين عامة والتجانية خاصة أحسن الجزاء وأدام بقاءكم مدة طويلة نفعا للبلاد والعباد في صحة كاملة وعافية دائمة وصلاح الأحوال في المال والمئال والعصمة من كل ضرر وإذاية من الإنس والجن والأمن من جميع الشرور والبلية الظاهرة والباطنة.

[1] – وكان يحث على القيام – ولو مرة واحدة – بكل ما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم فعله.

ونقول فيكم ما قاله سيدي مولود فال في حق شيخنا عمر الفوتي «لم يقدر أهل الطريقة الشيخَ عمر حق قدره» لأنكم صانكم الله ما زلتم مغورين ومنجدين وغادين ورائحين لنشر هذه الطريقة ونصرها بأسلوب علمي سلفي تصبحكم في كل ذلك شنشنة حسنية وبسالة عباسية وهمة أحمدية تجانية وهذا كله دفعني أن أقول:

إن التجانية الغراء تشكركم بسعيكم يا سمي الشيخ ذي الكرم
إن التجانية السمحاء تشكركم بما بذلتم لها من خالص الخدم
إن التجانية المثلى تقدّركم بما كتبتم لها من أصدق الرسم
بيّنت أوضحت للقراء قاطبة ما للطريق من البرهان والقيم
بينت من سنة الهادي أدلتها ومن كتاب إله اللوح والقلم
ومن نصوص ذوي علمٍ ومعرفةٍ أدلة ظهرت كالنار في العلم
رفعت رايتها فهي خافقة في الأفق فوق بنود الغر كلهم
لم يبق للمفتري قولٌ يميل له إلا وأبطلته بواضح الحكم
إلا وبينت ما يحويه من هتر ومن ثغاثغ في جهر ومكتتم
إلا وصيّرته أضحوكة وهُرا لكل مبتصر وكل مفتهم
نطقت والله بالحق المبين بلا خوفٍ وقدت الورى في أقوم اللقم
جددت نهج رجالٍ كُمَّلٍ سلفوا في ذي الطريقة في جد وفي عزم
حققت آمال أهل الورد كلهم وجئتمُ بمعان جئن كالجلم
تركت أهل القلى والنكر في قلق مزيل ما لذوي وُدٍّ من الغمم
كتابكم فيصل بان الصحيح به كذا السقيم لكلٍّ مَنْ له يَقُم
يا إخوتي طالعوا هذا الكتاب تروا فيه الجواهر والرماح للبُهم
كذا جوامع عرفان وفاكهةٍ ودُرَّةٍ، بُغْيةٍ، ومنية الفهم

تحوون فتحًا وكشفًا للحجاب به ومرهفات لحسم الظالم الكزم
من رام قصد سبيل منكمُ علنًا كتاب ذا العلَم المقصود يلتزم
فيه الإفادة والإفحام فيه كذا التْـ ـتِبْيان والكوكب الوهاج في الظلم
ميدان فضل وتيسير الأمان تروا وحلّ قفل لأهل الحق والكرم
هذا الكتاب حوى ما ليس حاويه سواه من كتب الأعيان والرُّزم
شمس على أُفْقِ هذا الجيل طالعةٌ تجلي الدياجي من الأذهان والظلم
تبارك الله في ذا النَّدْبِ خِدْمَتُه جليلة عند أهل الله كلهم
قد هيّأتك عنايات الإله له فجئت ما أعجب الأقران بالقلم
ولا يقوم بما قمتم به علنا إلا الموفق منْ قد خص بالنعم
ولا يقوم به إلا أخو رتب أولاه مولاه كل الخير والرفم
ولا يقوم به إلا أخو مدد سقاه قدوتنا من ورده الشبم
إذ ليس يدرك ما للشيخ سيدنا إلا الذي خصه المنان بالوذم
إلا الذي خصه الباري برحمته فصار من خيرة الأخيار في الأمم
كم عالم بارع تلفيه ينكره إذ لم يوفق لهذا الخير من قدم
وصده عنه عدل الحق جل علا وظل في حجب الرحمن والقتم
حبيبنا وسميّ الشيخ ملجأنا لا زلت في كنف الستار والعصم
لا زلت في نعم صفوا وعافية يمدك الختم ما ينهلُّ كالديم
لا زلت ليثا هزبرا في طريقتنا تصول كل جريء غاشم يُلم
لا زلت يرعم رب الكون حاسدكم يدوم في الذل والخذلان والسدم
أمد في عمرك الباقي لنا زمنا بجاه من مدحه في النون والقلم
صلى عليه بتسليم بلا عددٍ والآل والصحب والأتباع كلهم

تقريظ رقم 5:

من الأخ أحمد سه انجاي حول كتابكم: التجانية الأحمدية والسنة المحمدية:

ش شفاء صدري ربيع القلب مورده صافي الشراب جلاء الظلم والتهم
ي يكسي المريد لباسا ليس يدنسه مستنسرو اليوم من بيض ومن عجم
خ خلاص ما النجبا في كتبهم سطرا ينور العقل عقل الألمع الفهم
ت تجان جئت بما قد أعجز البلغا وكَلَّ عن مثله البغاث من سدم
ج جادلتهم وفق ما القرآن قد أمرا ـب الله طه رسولٍ رحمةِ الأمم
ج جذب القلوب إلى مرقى الصعود حبيـ وجادلوا بالتي أحسن من الكلم
ا أتقنت أكملت يا نحرير يا سندي سميُّ تجان سبط المصطفى العلم
ن نلنا المرام كميت الخير رضت لنا بشرى لنا معشر التيجان والنعم
غ غمستهم في بحار مفعم دررا فليرتعوا دررا من بحرك الديم
ي يا عبقري ويا فخر العشير فدم في أخضل العيش هذا غاية الكرم

أهم مراجع ومصادر هذا البحث:

01 – القرآن الكريم

02 – صحيح البخاري

03 – صحيح مسلم

04 – فتح الباري، شرح صحيح البخاري

05 – سنن الترمذي

06 – سنن ابن ماجه

07 – سنن أبي داود

08 – سنن النسائي

09 – سنن البيهقي

10 – مسند الإمام أحمد

11 – المستدرك للحاكم

12 – الجامع الصغير للإمام السيوطي

13 – الدرر المنتشرة للإمام السيوطي

14 – كنز العمال للمتقي الهندي

15 – تحفة الأحوذي للمباركفوري

16 – التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي

17 – صحيح الكلم الطيب ابن تيمية

18 – الترغيب والترهيب للحافظ المنذري

19 – مسند الفردوس للديلمي

20 – تخريج أحاديث الإحياء للعراقي

21 – الدلائل للبيهقي

22 – التاج الجامع للأصول لأحاديث الرسول ﷺ للشيخ المحدث منصور علي ناصف

23 – جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني رضي الله عنه للشيخ علي حرازم برادة

24 – الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التداني لسيدي الشيخ محمد بن عبد الله بن حسين

25 – رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لسيدي الشيخ الحاج عمر بن سعيد الفوتي تال
26 – فاكهة الطلاب، أو جامع المرام لسيدي الحاج مالك سي رضي الله عنه
27 – قصد السبيل في الطريقة التجانية لسيدي الشيخ محمد الحافظ التجاني المصري
28 – الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة للشيخ محمد النظيفي
29 – كشف الحجاب للإمام سكيرج
30 – سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين للشيخ يوسف النبهاني
31 – حجة الله على العالمين للشيخ يوسف النبهاني
32 – الحاوي للفتاوى للإمام السيوطي
33 – القول البديع للحافظ السخاوي
34 – نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب كرم لله وجهه
35 – دالية كناكري للشيخ الحاج عباس صل رحمه الله تعالى
36 – تربيتنا الروحية للشيخ سعيد حوى
37 – السلفية مرحلة زمنية لا مذهب إسلامي د/محمد سعيد رمضان البوطي
38 – نونية الشيخ أحمد التجاني سي رحمه الله تعالى
39 – مختصر ابن كثير للشيخ علي الصابوني
40 – حصول الأماني في سيرة سيدي أحمد التجاني / أبو بكر عتيق
41 – إعلام المسلمين بالحجة والبرهان لنقض ما في كلام الزمزمي بن الصديق من الزور والبهتان، المطبوع ضمن كتاب (ترهات الزمزمي) للأستاذ عبد الواحد بنعبد الله
42 – دالية القاضي مجختي كل الكجوري السنغالي
43 – الجامع لما افترق من العلوم من بحار القطب المكتوم لسيدي محمد بن المشري الحسني السائحي
44 – نصرة الشرفاء على أهل الوفاء لسيدي محمد بن المشري الحسني السائحي
45 – روض المحض الفاني لسيدي محمد بن المشري الحسني السائحي
46 – بغية المستفيد شرح منية المريد لسيدي محمد ابن العربي السائح
47 – البداية والنهاية لابن كثير

48 – إعلام النبيل بأن الترك ليس بدليل للشيخ محمود حامد إدريس
49 – سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان
50 – المجموع شرح المهذب للشيخ جلال الدين الدواني
51 – بذل المجهود شرح سنن ابي داود
52 – اقتضاء الصراط المستقيم للشيخ ابن تيمية
53 – مجموع الفتاوى للشيخ ابن تيمية
54 – البدعة الحسنة أصل من أصول التشريع د/عيسى بن عبد الله الحميري
55 – حلية الأولياء لأبي نعيم
56 – مناقب الشافعي للبيهقي
57 – الأذكار النووية
58 – أهل الحق العارفون بالله للشيخ محمد الحافظ التجاني المصري
59 – الذكر في القرآن الكريم والسنة المطهرة محمود الصباع
60 – حاشية الرسالة لأبي زيد القيرواني للحطّاب
61 – شرح الموطأ للزرقاني
62 – مشكل الحديث لابن قتيبة
63 – كجلة منبر الإسلام، السنة الخامسة، العدد 7
64 – كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب
65 – تمام المنة في التعليق على فقه السنة للألباني
66 – فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ
67 – حكم السحر والكهانة وما يتعلق بها للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
68 – إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للشيخ ابن القيم الجوزي
69 – أرجوزة ابن جزي رحمه الله
70 – البيان والتبيين عن التجانية والتجانيين للشيخ إبراهيم انياس الكولخي السنغالي
71 – حل الأقفال لقرّاء جوهرة الكمال لسيدي الحاج قنون
72 – جواهر البديع لسيدي الحاج عباس صل التجاني السنغالي

73 – خلاص الذهب لسيدي الحاج مالك سي السنغالي
74 – الكوكب الوهاج لسيدي أحمد سكيرج
75 – الإفادة الأحمدية للسيفاني
76 – فتوحات المنان للشيخ أبي بكر عتيق
77 – مناهل الرشاد للشيخ أبي بكر عتيق
78 – الجواهر العلية في فقه الطريقة التجانية للشيخ محمد سعد الرباطابي
79 – النفحة الفضلية للشيخ بدر عبد الهادي سلامة
80 – أدلة اليقين للشيخ الحاج هارون محمد التجاني الكوماسي
81 – الفتوحات الربانية لسيدي أحمد التجاني الشنقيطي
82 – تيسير الأماني شرح شهدة الجاني لسيدي محمد الحجوني
83 – اليواقيت والجواهر المضيئة للشيخ عبد الله مكي
84 – أجوبة الشيخ عمر الفوتي لأسئلة الشيخ أحمد بن محمم
85 – أقرب الطرق لسيدي عمر بن أحمد الوالي
86 – أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد السعيد سعيد الخوري السرتوتي
87 – المصباح المنير أحمد بن محمد المقري الفيومي
88 – معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس رحمه الله
89 – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك
90 – روح البيان لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي
91 – إفحام المنكر الجاني، على طريق شيخنا أحمد التجاني للشيخ الحاج مالك سي السنغالي
92 – الجيوش الطلع بالمرهفات القطع إلى ابن ما يأبى أخي التنطع لسيدي محمد الخليفة ابن سيدي الحاج عبد الله الكولخي السنغالي
93 – أحزاب وأوراد الشيخ أحمد التجانيﷺ لسيدي محمد الحافظ التجاني المصري
94 – ميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال لسيدي عبيدة بن محمد بن الصغير بن امْبُوجَهْ
95 – مبلغ الأماني، وبيان أمور الأماني وأحمد التجاني لسيدي عمر الوالي ناظم ألفية الطريق

96 – الرد المحكم على منكر الأسقم لسيدي أحمد بن الأمين الشنقيطي الموريتاني
97 – الوجه الأقسم، في معنى كلمة الأسقم، في الصلاة على الحبيب الأكرم لسيدي مرزوق التجاني السوداني
98 – أذكار اليوم والليلة للشيخ ابن القيم الجوزي
99 – علم الحديث للشيخ ابن تيمية
100 – الشفا للقاضي عياض
101 – الاستذكار لابن عبد البر
102 – لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للشيخ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي
103 – جواهر الرسائل للشيخ إبراهيم انياس الكولخي السنغالي
104 – فصل المقال في رفع الإذن عن المريد التجاني في الحال للشيخ محمد الحافظ التجاني المصري
105 – أصفى مناهل الصفا للشيخ محمد الحافظ التجاني المصري
106 – التقييد للشيخ عبد الكريم بن العربي بنيس
107 – رفع الاعتراض والملام عمن قدم المرأة لتلقين ورد خاتم الأعلام لسيدي أبي بكر عتيق بن خضر التجاني رحمه الله
108 – تحقيق المباني في أحكام وشروط طريقة أحمد التجاني لسيدي الحاج عباس صل التجاني السنغالي

فهرس كتاب التجانية الأحمدية والسنة المحمدية

إهداء..... 1

الفصل الأول.....11

المبحث الأول.....11

التجانية والسنة المحمدية، لماذا هذا العنوان؟.....11

فما الحيلة إذن؟.....11

المبحث الثاني 14

في البدء كانت الكلمة.....14

ولكن، من ذا الذي يزن؟.....15

فلتحكم السنة بيننا:.....17

أصناف المنكرين على التجانية:.....18

الشيخ أحمد التجاني ﷺ، من هو؟.....20

ازدياد سيادته، ونشأته:.....21

أولا: الرحلة إلى المغرب:.....22

العدوة إلى عين ماضي:.....23

ثانيا: الرحلة المشرقية:.....24

في طريق العودة:.....26

ثالثا: الرحلة المغربية الثانية:.....26

عام الفتح 1199هـ 1784م:.....26

الختمية والكتمية:.....27

لطيفة:.....28

توضيحة:.....28

وفاته رضي الله عنه:.....29

تنبيهٌ مهمٌّ:.....30

من أخلاقه رضي الله عنه:.....31

المبحث الثالث.....36

ما السنة؟.....36

البدعة، ما هي؟.....47

تعريف ابن تيمية:.....48

هل هناك بدعة حسنة؟.....49

الفصل الثاني:.....55

المبحث الأول:.....55

الطريقة التجانية:.....55

أسس الطريقة التجانية:.....55

القاعدة التجانية العامة:.....56

أهداف الطريقة التجانية ووسائل تحقيقها:.....58

المبحث الثاني:.....61

الأوراد التجانية ومشروعيتها:.....61

مشروعية الأوراد أو سنيتها:.....68

أوقات الذكر:.....76

كيفيات الذكر:.....78

معالم تجانية.....93

1 – التجانية والاستقامة.....93

2 – التجانية وتعمير المساجد.....94

3 – التجانية والاستمرارية، أو خير الأعمال.....95

4 – التجانية والتزكي: 96

5 – التجانية والجهاد في سبيل الله:.....98

6 – التجانية وأهل الإنكار:.....100

7 – التجانية ووحدة المسلمين:.....102

المبحث الثالث:.....107

شروط الطريقة التجانية:.....107

أولا: شروط أساسية تلزم المريد مدى الحياة:.....109

ثانيا: شروط صحة تتعلق بالشخص:.....111

ثالثا: شروط صحة تتعلق بالورد:.....113

شروط كمالية تتعلق بالشخص:.....114

شروط كمالية تتعلق بالورد:.....117

صفات المقدم:.....119

تفريع وتنبيه:.....120

كيفيات التلقين:.....124

الفصل الثالث:.....127

المبحث الأول:.....127

شبهات وردود:.....127

الشبهة الأولى:.....128

الشبهة الثانية:.....134

الشبهة الثالثة:.....141

الشبهة الرابعة:.....147

الشبهة الخامسة:.....151

السبحة: حبل الوصول، ورابطة القلوب.....151

أصل اتخاذ السبحة:.....152

المعارضون وعدم واقعيتهم :.....156

1 – استعمال الساعة لمعرفة أوقات الصلوات الخمس.....157

2 – وسائل النقل:.....157

3 – وسائل الاتصال:.....158

4 – مكبرات الصوت في المساجد.....158

5 – أسلحة الدفاع والهجوم المتطورة:.....158

الشبهة السادسة:.....159

الشبهة السابعة:.....172

الشبهة الثامنة:.....177

الشبهة التاسعة:.....180

الشبهة العاشرة:.....183

الفصل الرابع.....191

شئون خاصة.....191

المبحث الأول: من فقه الطريقة التجانية:.....191

أركان الورد اللازم ثلاثة:.....192

أركان الوظيفة أربعة:.....192

شروط الورد الخاصة، زيادة على شروط الصحة المتعلقة بالورد:.....193

مندوباته:.....194

مكروهاته:.....194

شروط الوظيفة الخاصة جماعةً، زيادة على شروط الصحة المتعلقة بالورد: ..194

مندوباتها:.....195

أوقات الأوراد: 196

حكم الورد التجاني:.....197

وقت الوظيفة:.....199

وقت هيللة عصر الجمعة:.....200

مبطلات الورد:.....207

أحكام متنوعة في فقه الطريقة:.....208

المبحث الثاني: 213

تأصيل وتنظيم:.....213

أولا: التأصيل:.....213

ثانيا: التنظيم:.....213

1 – تنظيم معرفيٌّ:.....214

2 – تنظيم تعريفيٌّ:.....214

3 – تنظيم ثقافيٌّ:.....215

4 – تنظيم اقتصاديٌّ: 216

5 – تنظيم سياسيٌّ:.....217

تطوير الزوايا وأدوارها:.....218

تطوير الدوائر وتحسينها:.....220

من عيوب الدوائر:.....221

شيخ واحد وزوايا متعددة:.....221

آل رسول الله ﷺ، وآل الشيخ رضي الله عنه:.....224

تحريف وهابيّ متعدد لأحاديث صحيحة:.....227

لماذا تعادي الوهابية آل البيت؟.....230

نصائح ناصعة:.....234

أولا: نصيحة للتجاني:.....234

ثانيا: نصيحة للمنكر:.....235

ثالثا: نصيحة للمحايد:.....236

خاتمة:.....238

تقاريظ.....241

أهم مراجع ومصادر هذا البحث:.....251

فهرس كتاب التجانية الأحمدية والسنة المحمدية.....256

لقد منَّ الله عليَّ أن انخرطتُ في سلك الطريقة التجانية الغراء، وأنا ابن أربعة عشر ربيعا، مارستُها في حب وصدق وجد وعزيمة، وتعلمتُها – كما قدر الله لي – من رجالاتها العلماء في مظانها، وتربيتُ فيها عند أهلها المؤهلين، وأُجزْتُ فيها إجازات متعددة مختلفة.

وبعد أربعين سنة من المزاولة المتواصلة، والمباحثة المكثفة، والمناقشة الموضوعية ومحاضرات متنوعة ارتأيتُ أن أجمع في كتاب من حصيلة مطالعتي الخاصة، وإن كانت ضيقة. ومن خبرتي الشخصية، وإن كانت ضئيلة، ما بدا لي مناسبا أو ضروريا لفهم هذه الطريقة في ظاهرها المشهود على الأقل، والظاهر والباطن عندنا وجها عملةٍ واحدةٍ لا ينفصلان.

ولعل أن يكون تناولنا لهذا البحث فرصة ذهبية سانحة لمن يريد أن يقف على حقيقة التجانية في بساطتها الربانية، ولمن يقدر أن يقارن ممتلكا الأدوات اللازمة للمقارنة أن يقوم بها عن بصيرة. والقدرة هنا تعني معرفة واسعة بالسنة، وإحاطة مقبولة بالتجانية، ثم تجردا صادقا من التعصب والأهواء النفسية، والأحكام المسبقة.

إن أيَّ مقارنة على هذا الوجه المسئول تثبت لا محالة – أن التجانية إذا لم تكن سنية، فليس هناك سنيون على ظهر المعمورة إطلاقا.